مكتبة

ألكسندرا أندروز
ALEXANDRA ANDREWS

مكتبة
٧٥٣

من هي صاحبة الاسم السري؟

ترجمت إلى 22 لغة عالمية وستحوّله استديوهات يونيفرسال إلى فيلم سينمائي

WHO IS MAUD DIXON?

رواية

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

من هي صاحبة الاسم السري؟

WHO IS MAUD DIXON?

مكتبة | 753
سُر مَن قرأ

إهداء لـ ..

جودي

ما زال هناك صاحب ظل لطيف

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
WHO IS MAUD DIXON?
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونيًا من الناشر
Little, Brown and Company
Hachette Book Group
New York, Boston, London
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.
Copyright © 2021 by Alexandra Andrews Beha
All rights reserved
Arabic Copyright © 2020 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: تشرين الأول/أكتوبر 2020 م - 1442 هـ

ردمك 978-614-01-3158-3

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

مكتبة
t.me/t_pdf
٢٤ ١١ ٢٠٢١

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

ألكسندرا أندروز
ALEXANDRA ANDREWS

من هي صاحبة الاسم السري؟

WHO IS MAUD DIXON?

رواية

مكتبة | 753
سُر مَن قرأ

ترجمة

نهى حسن

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

تقديم

سيمات، المغرب

مكتبة
t.me/t_pdf

"سيّدة ولكك؟".

فُتحت عينُها اليُسرى مرتعشةَ الأجفان، يداعبُها ضوءٌ أصفرُ دافئٌ عبر فتحةٍ صغيرة يكتسي البياضُ فيها مجالَ رؤيتِها المشوَشِ، ثمّ ما لبثت أن أُغمضَت مجدّدًا.

"سيّدة ولكك؟".

سمعَتْ صوتًا حادًّا من مكانٍ ما، فأجبرت نفسها على فتحِ عينيها. لقد كانت مستلقيةً على سريرٍ غيرِ مريحٍ تحيط به من الجانبين ستارتان قذرتان.

"سيّدة ولكك؟".

أدارت رأسها نحو مصدرِ الصوتِ فتراءى أمامها رجلٌ ضخمٌ داكنُ البشرةِ يرتدي قميصًا وبنطالًا أزرقين داكنين، ويتحزّم بحزام جلدي ضخمٍ، يجلسُ على كرسيٍّ بمحاذاة السرير. انحنى الرجلُ إلى الأمام، مستندًا إلى فخذيه، وراح يراقبها بانتباه شديد، كان وجهه منتفخًا مثل وجوه الفتيات اللواتي خضعْنَ لعمليات تجميل.

قال للمرة الرابعة: "سيّدة ولكك".

أوضحت له بصوت متهدّج: "هيلين".

أومأ إليها برأسه وقال: "هيلين، هل تعرفين أين أنتِ؟".

"في المستشفى؟".

"هذا صحيح، ليلةُ أمس كانت الأهمّ في حياتك".

"الأهمّ في حياتي؟!".

"نعم، الأهمّ في حياتك".

فأطلقت ضحكةً صغيرةً لا إرادية، واستطاعت أن تلاحظ في إثرها انزعاجه الذي تجلّى عبوسًا واضحًا على وجهه، ثمّ انفتحت الستائر عن يسارها، ودخلت امرأة تضع حجابًا أبيض على رأسها وترتدي سترة سوداء، أهي ممرضةٌ؟ انحنت فوق السرير، وابتسمت بدفء، وقلبت شَفتها السفلى، وقالت شيئًا بلغةٍ لم تستطع المريضة فهمه، بعدها مسّدت الملاءة الرقيقة، ثمّ استدارت نحو الرجل الجالس إلى جانبها، وقالت شيئًا بنبرةٍ حادّةٍ، ما جعل الرجل يقف وهو يمسك راحتي يديه برضى، فابتسم ببرود ودفع الستارة جانبًا، ورحل. نظرت الشابة المستلقية على السرير إلى الممرضة، لكنّها رحلت هي الأخرى. صاحت بصوت أجشّ: "انتظري". ربّما لم تسمعها الممرضة، وربّما لم تعرها اهتمامًا، وهكذا صارت الشابّة وحيدةً.

أخذت تُحدّق إلى السّقف، كان مبقّعًا بقعًا بنيّة نتيجة تسرّب المياه إليه، حاولَتِ الجلوس، ولاحظت للمرّة الأولى أنّ كلّ شبر من جسدها يؤلمها. نظرت مجدّدًا إلى الكرسيّ الفارغ الذي كان الرجل يجلس عليه، ويناديها باسم "السيّدة ولكك"، إذ بدت لها المعلومة مهمّة، ولكنّها لم تتمكّن من وضعها في جملة ذات معنى، فأغمضت عينيها مجدّدًا.

بعد لحظات، وربّما بعد عدة ساعات، فُتحت الستائر مجدّدًا، وعادت الممرضة برفقة رجل آخر، فقال: "سيّدة ويلكوكس؟ أنا سعيد لأنّك مستيقظة". تحدّث الإنكليزية بطلاقة أكثر من المتحدّثين الأصليين، فكلّ مقطع صوتيّ مرسوم ومحدّد بوضوح أكبر من المقطع الذي سبقه. عندها أومأت إليه برأسها، فبادرها قائلًا: "أنا الدكتور تازي، كنتُ مناوبًا عندما وصلْتِ الليلة الماضية، أخبروني أنّك أصبت بحادث سيارة، كنتِ غائبةً عن الوعي، وتعانين من ارتجاجٍ في الدماغ ولديك ضلعان مكسوران، كما أنّ رسغك الأيسر مكسورٌ ولديك أورامٌ دموية في وجهك

وجذعك. إلّا أنّ إصاباتك ليست خطيرة، وهي تتعافى على نحو جيّد، أظن أنك ستغادرين المستشفى غدًا". عندها قدّمت لها الممرضة - وكأنّها كانت تنتظر دورها- كأسًا من الماء، وحبّة دواء بيضاء بحجم ضرس. فقال الطبيب: "إنها لتخفيف الألم". فتناولتها وابتلعتها بانزعاج، ثمّ ما لبث أن قال لها الطبيب: "سأعود ظهرًا لتقييم وضعك، عليك أن ترتاحي حتّى ذلك الحين سيّدة ويلكوكس".

غادر، وانسحبت الممرّضة المتّشحة بالبياض خلفه، وكأنّها طرحة فستان زفاف، وحينها همست المرأة بصوت منخفض: "السيّدة ويلكوكس، هيلين!". ثمّ أغمضت عينيها، وغطّت في النوم مجدّدًا.

@t_pdf

انضم إلى مكتبة في تيليجرام امسح الرمز

القسم الأول

1

تسلّلت فتاتان عبر الدرج الضيّق نحو مصدر الموسيقى والضحك، كانت فلورينس دارو في المقدّمة، وسحبت خلفها يدها على امتداد جدارٍ باللون الأحمر القاني، وقالت: "هناك شيء غير منطقيٍّ في إقامة حفلات نشر الكتب هنا".

إنهما تعملان مساعدتيِ تحرير في دار نشر تدعى فوريستير، وكان اليوم موعد الحفل السنوي والذي يقام في الطابق الثاني من حانة "ذا لايبراري" المعتمة الفاخرة، كان ديكورها يشبه المكتبات القديمة، أو متنزّه والت ديزني التجريبي إيبيكوت حيث تعقد هيئة الأمم المتّحدة اجتماعات القمّة الخاصّة بها.

وافقتها لوسي غاند بصوت خفيض: "تمامًا". كان فستانها قد ارتفع قليلًا كاشفًا عن فخذيها خلال صعودهما الدرج، سحبته إلى الأسفل، ولكن من دون جدوى. ولمّا وصلتا إلى أعلى الدرج، دخلتا لتُعاينا المشهد، لم يكن قد مضى على الحفل أكثر من نصف ساعة، ولكنّ الضجيج ارتفع من أفواه أفراد الحشد، وحام فوقهم كالضباب. تجمّع قرابة المئة شخص في مجموعات محشورة منغلقة على نفسها، لم تُرِد فلورينس أن تصل باكرًا، ولكنّها كانت راضية أنهما وصلتا في الوقت المناسب لتحجزا زاويةً خاصّةً بهما. أجالت الفتاتان أنظارهما في الصالة بحثًا عن وجوهٍ مألوفةٍ، يمكن التواصل معها، إلا أنهما لم تجدا أحدًا، فاقترحت فلورينس: "أنشرب أوّلًا؟". أومأت إليها لوسي برأسها موافقة.

بدأت الفتاتان بالعمل في دار فوريستير في الوقت ذاته قبل سنتين، ووثقت لوسي فورًا بفلورينس، ذلك النوع من الثقة أو بالأحرى الإخلاص المرتبط بكلاب الخدمة أكثر من ارتباطه بالنساء اللواتي يبلغْنَ من العمر ستّ وعشرين سنة.

من حيث المبدأ، كانت لوسي من الصديقات اللواتي أمَلت فلورينس مصادقتهنّ في نيويورك. ترعرعت في آميرست حيث علّم والداها في قسم اللغة الإنكليزية، وكتب والدها السيرة الذاتية الرسمية للروائي ناثانيل هاوتورن. أمضت فلورينس مع لوسي ووالديها مناسبة الشكر الأولى بعد انتقالها من فلوريدا، وكانت سعيدة عندما اكتشفت أن منزلهم القديم في نهاية شارع منزل إيميلي ديكسون. كان ذلك بمثابة الأنشودة الذّهنية التي تمنّت فلورينس أن تعيشها بنفسها. فكان منزلهم على النقيض من شقّة والدتها في بورت أورانج.

في الواقع، افتقرت لوسي إلى الرّقي والثقة اللذين افترضت فلورينس أنّهما الإرث الطبيعي الذي قد يحصل عليه المرء عندما يقضي طفولته في منزل كهذا، ومع والدين مثل والديها. كان خجلها مزعجًا، وشكّت أحيانًا في أنّ والدة لوسي قد طلبت منها أن تجد صديقة واحدة فقط في نيويورك، لتكون على ما يرام إذا فعلت ذلك. على كلّ حال كانت فلورينس أوّل شخص قابلته لوسي في دار فوريستير.

لم تندمجا مطلقًا في النطاق الاجتماعي الأوسع للشركة، ربما يُعزى السبب في ذلك إلى أنّ لوسي لم تحاول ذلك، وإلى أنّ فلورينس لم تنجح في ذلك. كانت لوسي صديقتها المفضّلة والوحيدة من كل النواحي بما أنّها قد قطعت علاقاتها بأصدقائها القدامى في فلوريدا، حيث قرّرت أنّ ماضيها ما هو إلا غصنٌ مريضٌ يجب قطعه لتحقيق مصلحتها الأكبر.

شقّتا طريقهما كدودتين بين الحشد، وتجاوزتا طاولةً كسدت فوقها عناقيد العنب وأنواع الجبن، واتّجهتا إلى بار من خشب الماهوجني في الخلف. ابتسم الساقي الذي يرتدي سترة بلا كمين من الساتان الأسود ونظر إلى نقطة غير محدّدة فوق رأسيهما، يبدو أنّهما لا ترتقيان إلى المواصفات التي تجذب اهتمامه الكامل. كانت لوسي معتادةً على غضّ البصر عنها، يبدو أنّها أحبّت ذلك في الواقع، ولكنّ فلورينس حظيَت بنجاح كافٍ مع الرجال يحميها من أن تشعر بالإحباط بسبب عدم ملاحظة مفاتنها الطبيعية. لم تكن غيرَ جذّابةٍ ولم يكن فيها شيء استثنائيّ. أوّل ما

يلاحظه أي شخص فيها هو شحوبها، إذ بدت مثل شخص ترعرع في قبو، أكثر مما بدت شخصًا ترعرع تحت وهج شمس فلوريدا. ولطالما فكّرَتْ في الأمر إلى حدّ أنها توصّلت إلى قناعة مفادها أنها ولدت في المكان الخطإ. فبَشَرَتُها الفاتحة تحمَرّ بسهولة، ولم يكن واضحًا إن كان هذا بسبب خجلها أم شهوتها. صحيح أنّ بعض الرجال وجدوا هذا خلّابًا، إلا أن كثيرًا منهم وجدوه منفّرًا. وعلاوةً على ذلك، تتبعثر خصلات الشعر الأشقر المجعّدة فوق رأسها كثعابين مِيدوسا[1]. وبالرغم من مئات الدولارات التي صرفتها على البخاخات، وكريمات التّثبيت، ومستحضرات الشعر لم تتعلّم فلورينس بعد كيف تروّض ثعابينها.

قال الساقي بنبرة شخص متمرّس: "ماذا ستطلب السيّدتان؟". انعكس الضوء على خصلات شعره المرفوعة والمتيبّسة، وتخيّلت فلورينس أنّها قد تتكسّر بين أصابعها كأعشاب يغطّيها الصقيع. وسرعان ما أشارت لوسي إلى لوحة إعلانية لمشروب خاصّ وقالت: "أعتقد أنّني سأجرّب مشروب دوارز ديسمال سيستم، بينما طلبت فلورينس شرابًا أحمر، فردّ السّاقي: "لديّ كابرنت وبينوت".

فقالت: "لا فرق بينهما".

ارتشفت كلّ منهما رشفةً، ثم انطلقتا، لتجدا مجموعةً يمكنهما التواصل معها، فوجدتا ثلّةً من المساعدين الآخرين المجتمعين بالقرب من طاولة الطعام، تتوسّطها محرّرةٌ مبتدئةٌ تدعى أماندا لينكولن، تخوض بفخر نقاشًا مع رجل طويل القامة في العقد الثاني من عمره، يرتدي بذلة من المخمل البنيّ المضلّع. وتقول له: "هذا مستحيل أيّها اللعين الكاره للنّساء"، فاستدارت غريتشن التي يقابل مكتبها مكتب فلورينس لتوضح قائلةً: "يدّعي فريتز ويعرف تمام المعرفة أنّ مود ديكسن رجل". عندئذٍ همست لوسي واضعةً أربع أصابع على فمها: "لا، مود ديكسن هو

(1) ميدوسا: كانت في البدء بنتًا جميلة، غير أنّها مارست الجنس مع بوسيدون في معبد آثينا، وهذا ما جعل آثينا تغضب، فحوّلتها إلى امرأة قبيحة المظهر، كما حوّلت شعرها إلى ثعابين، وكان كلّ من ينظر إلى عينيها يتحوّل إلى حجر. المترجم.

الاسم المستعار لكاتب مجهول الهُويّة، نشر روايةً مثيرةً، ورائعة، وناجحة قبل سنتين، عنوانها رقصة الفوكستروت في مسيسيبي، كانت عن فتاتين تدعيان مود وروبي، شعرتا برغبة ملحّة في الهروب من بلدتهما الصغيرة كولير سبرينغز في مسيسيبي، لأنهما شعرتا بالإحباط بسبب عمريهما، وجنسيهما، وفقرهما، وقسوة محيطهما، حتّى حرارة جوّ مسيسيبي بدت تعترض طريقهما، وتتسارع الأحداث عندما تقتل مود مقاولًا يسافر عبر البلدة، أبدى اهتمامًا بروبي ورفض الابتعاد عنها. وفي النهاية، أطلقت الجريمة سراح الفتاتين من مخالب بلدتهما، فانتهى مطاف الأولى في السّجن، بينما حصلت الأخرى على منحة من جامعة مسيسيبي. وقد أثنى النّقّاد على ذكاء الروائيّ، ومنظوره الحداثي، ولكنّ الكتاب لم ينتشر إلا بعد أن تبنّته امرأةٌ مشهورة مؤيّدة لحقوق المرأة. تصدّر هاشتاغ الكتاب بعنوان *"وأنا أيضًا"*، ربّما حدث ذلك بسبب تأثير المرأة المشهورة أو بسبب الحظّ، وامتصّ بشكل مثالي توتّر الغضب الوحشيّ المحقّ والمنتشر في الأرجاء. ولا يمكن لوم مود أيًّا يكن، فما حصل خلف محلّ دريفتوود تافين في الليلة التي طعنت فيها فرانك، يدلّ على أنّ الأخير شخصيةٌ لا يمكن الشّكّ بأنّها خطرة وداعرة". توقّفت هنيهةً ثمّ تابعت: "وحتى الآن بيع من الكتاب أكثر من أربعة ملايين نسخة في الولايات المتّحدة وحدها، ويتمّ إنتاجُ مسلسلٍ قصير مستوحى من قصّة الكتاب. ومُذ أن لاقى الكتاب رواجًا، شاع تخمين هُويّة مود ديكسن في الوسط الأدبي. إذ اعتقد العديد من القرّاء أنّ الكتاب كان سيرة ذاتيّة؛ لأن الراوي يحمل الاسم مود ديكسن نفسه، ولكنّ الآخرين اعتبروا ذلك تبسيطًا للأمر، فمن الواضح أنّ القصّة ما هي إلا استعارة رمزية فقط.

وتبيّن أن هناك شخصين يحملان الاسم مود ديكسن في أميركا، واستبعدت صلتهما بالكتاب، عاش أحدهما في مركز رعاية المُسنّين في شيكاغو، وهو لا يستطيع تذكّر أسماء أبنائه، بينما ترعرع الآخر في بلدة للطّبقة الوسطى في لونغ آيلند، واتّفق الجميع أنه لا يمتلك مَلَكَةَ الكتابة أو يُظهِر ميلًا لها. حتّى إنّ بعض المحقّقين

تمكّنوا من إيجاد نقاطٍ مشتركة بين الجريمة المذكورة في الكتاب وبين الجريمة الّتي حقّقوا فيها، ولكن هذه النقاط لم تكن كافية للقول إنها نفسها. بالإضافة إلى ذلك، كانت ولاية ميسيسبي تُخفي سجلّات المحاكم الخاصّة بالأحداث عندما يبلغون العشرين من عمرهم، كما أنه لم يكن هناك من بلدة تسمى كولير سبرينغز، وهنا انتهت نقاط التشابه.

مالت فلورينس بشكل عامّ إلى التقليل من شأن الكتب التي تدين بنجاحها إلى المناورات الدرامية في الحبكة، فهي ترى أن رواية الجرائم روايات رخيصة، ولكنّها عندما قرأت رقصة الفوكستروت في مسيسيبي، ذُهلت، فالمؤلّف لم يلجأ تقنيًّا إلى حيلة الجريمة ليرفع من وتيرة التشويق في الرواية، بل على العكس كانت الجريمة سببَ الرواية. فالقرّاء شعروا بضرورة إقدام القاتل على جريمته، حتى إنهم شعروا بالرضى الناتج عن غرس السكين. بالإضافة إلى ذلك، كان التعبير عن الصوت في الرواية لا يشبه أي شيء سبق لفلورينس أن قرأته: حادّ، ووحشي ويكاد يكون عنيفًا. في النهاية، لم تُعرِ اهتمامًا لحقيقة إن كان مود ديكسن رجلًا أو امرأةً، عرفت أنّه أيًا تكن هُويّته فلا بدّ من أنّه دخيل، دخيل كما كانت فلورينس ذاتها.

عندئذٍ سأل فريتز أماندا: "لماذا انزعجتِ بشأن هذا؟ يا إلهي، لم أقل أنّ النساء لا يستطعْنّ الكتابة، كل ما قلته هو أنّ هذا الكاتب بالتحديد ليس امرأة". عقصت أماندا جسر أنفها، وتنفّسَت بعمق وردّت بلغة السّاخر: "أتسألني لماذا انزعجت؟ لأنّ هذا الكتاب بالتحديد كان الأكثر مبيعًا هذا العام، ورُشّح كاتبه لنيل جائزة الكتاب الوطني. لكن بالطبع، لا يمكن أن يكون الكتاب مهمًّا إلا إذا كان مؤلّفه رجلًا، أما إذا كتبته امرأة، فلن يكون سوى كتاب لأندية الكتب السخيفة. بالله عليك، لا يمكنكم تناول كل كعكاتنا اللعينة ثمّ العودة لسرقة فُتاتنا أيضًا".

عندها تدخّلت فلورينس قائلةً: "عمليًّا كان جيمس باترسون أفضل الكتّاب تلك السنة، بالرغم من أنّ كتاب رقصة الفوكستروت في ميسيسبي كان الكتاب الأكثر مبيعًا". وبحركة متناغمة، استدارت المجموعة لتنظر إليها، فأضافت: "هذا ما

أعتقده". ولكن بالرغم من أنّها واثقة من ذلك، شعرت بالسوء لأنها بدت مشكّكة في ما قالته. فأردفت أماندا: "شكرًا لك يا فلورينس، ها قد خسرنا قطعة فتاة أخرى". فقال فريتز: "هذا لا يخصّ أيّة بطاقة نقاط تحملينها في جيبك الخلفيّ يا أماندا، تعمل صديقتي- وهي امرأة بالمناسبة - في "فروست/ بولن" الوكالة الأدبية لمود ديكسن، وأقسمَتْ لي إنّه رجل". بعد ذلك اعتذر عن متابعة النقاش.

اخترق صوت أماندا الصّمت الّذي أطبق للحظات سائلةً: "من هو إذًا؟ ما اسمه؟". قال فريتز بتردّد: "لا أعرف، سمعت عن طريق الخطإ أحدهم يشير إليه بصفته رجلًا". قالت أماندا بغضب: "هذا هراء، من المستحيل أن يكون كاتب هذه الرواية رجلًا، ما من رجل على وجه البسيطة يمكنه أن يكتب عن النساء ويكون مقنعًا إلى هذا الحدّ". عندها تدخّلت فلورينس، وكأنّها تعاقب نفسها على خجلها السابق وقالت: "ماذا عن هنري جيمس؟ أو إي إم فورستر؟ أو ويليام ثاكري؟". فاستدارت أماندا نحوها وقالت: "حقًّا يا فلورينس؟ هل أنت مقتنعة أنه يمكن لكاتب رواية رقصة الفوكستروت في ميسيسبي أن يكون رجلًا؟". رفعت فلورينس كتفيها وقالت: "ربما، لا أرى الاختلاف الذي قد يُحدثه ذلك". نظرت أماندا إلى السقف وقالت باستغراب: "لا ترى الاختلافَ الذي قد يحدثه ذلك". ثمّ عادت بنظرها إلى فلورينس وسألتها: "هل أنت كاتبة يا فلورينس؟".

أجابت فلورينس بسرعة: "لا".

في الحقيقة، لم تُرِدْ شيئًا أكثر من أن تصبح كاتبة. أليس هذا هو حالهم جميعًا؟ من المرجّح أنّ كل واحدٍ منهم لديه نصف رواية محشورة في أحد الدروج، ولكن لا يمكنك التجوّل وتسمية نفسك بالكاتب قبل أن تُخرِجَ روايتَك من دُرجها.

"حسنًا، قد يكون من الصعب عليكِ أن تقدّري تمام التقدير كم من المهمّ بالنسبة إلى الكاتبات أن يكون لديهنّ نماذج يتطلّعْنَ إليها، أن يكون لديهنّ نساء سبقنهنّ، ورفضن السماح بتفسير حياتهنّ الداخلية من قبل الرجال، فلا أحتاج إلى الرجل ليخبرني عن ماهيّة المرأة، أتوافقينني؟ أتستطيعين فهم هذا؟". لم تقل

فلورينس شيئًا، ولكنّها أومأت إليها بحركة يمكن تفسيرها أنّها إمّا متجهّمة وإمّا موافَقة.

ثمّ أضافت أماندا: "الأرض التي تحتاج إلى أبطالٍ لن ترتاح أبدًا". لكنّ فلورينس لم تقل شيئًا، بيد أنّها شعرت بدفقة حرارة تندفع إلى وجهها، فأدارت جسدها بشكل غريزيّ بعيدًا عن المجموعة لإخفائها. تجرّعت المتبقي من كأسها دفعةً واحدة، وعادت إلى البار حيث رفعت كأسها الفارغة في اتجاه الساقي، وابتسمت ابتسامة مُقتَضَبة، ثمّ استندت إلى الطاولة الخشبية، ورفعت قدميها المتقرّحتين من حذائها ذي الكعب العالي.

لم تحبَّ أبدًا الفتيات اللواتي يتمتّعْن بثقة أماندا، فقد كنّ الفتيات أنفسهنّ اللواتي احتضنّ فلورينس في المدرسة الثانوية لمدة أسبوع، وأخذنَها معهنّ في مَواكِبهنّ، كأنّها كلب إنقاذ قبل أن يفقدن اهتمامهنّ بهذه اللعبة. عرفت فلورينس أنّها لا شيء بالنسبة إليهنّ، لا شيء سوى أداة يستخدمْنَها في عروضهنّ، وإذا لم تتعاون عن طريق تأدية دور التلميذة الممتنّة، فلن يحتجنَ إليها. كان روتينًا سخيفًا أيضًا، وهذا أكثر ما أزعج فلورينس، أن تعتنق أماندا التي ترعرعت في أبرويست سايد مبادئ الحركة النسائية، كما كانت ترتدي زيّها المدرسي في السابق، بمعنى أنها اعتنقتها بحكم العادة، من دون أن تفكّر كثيرًا فيها، وبفعل الالتزام فقط.

لم تستطع فلورينس الوصول إلى درجة الغضب التي تطلّبتها تلك الأوقات، وغالبًا ما تركتها هذه الحصانة من السّخط المجتمعيّ على هامش كل شيء. بدا الغضب كالصّمغ الذي يجمع كل الأشخاص الآخرين تقريبًا معًا، كل الأزواج، وكل الأصدقاء، وكل الجمهور، والهدف الذي تخاطبه معظم تكتّلات الإعلام. حتّى إنّ جامعي التواقيع على العرائض، وهؤلاء الشبّان المتجوّلين في الشوارع، تجاهلوها وكأنّهم استطاعوا ملاحظة فطرتها المغرورة.

لم تكن فلورينس شخصًا وديعًا، بالطبع لم تكن كذلك، ولكنّها احتفظت بغضبها من أجل استخدامات شخصية خاصّة، بالرغم من أنّها لم تعرف ما هي

بالتحديد، بدت في بعض الأوقات متفاجئة من نوبات غضبها مثل كلّ شخص آخر. كانت تَجارب مربكة ونادرة تركتها تشعر بأنّها ضعيفة ومحتارة وكأنّها تعاني من الدّوار بسبب السفر وكأنّ جسدها قد خذلها متقدّمًا عليها، وتركها، فحاولت عبثًا اللحاق به. هناك أربع مرّات أو ربّما خمس في حياتها استفاقت فيها لترى أمّها أو أستاذها في الجامعة أو زميلها ينظر إليها بما لا يمكن وصفه إلا بنظرة رعب، ولم يكن في رأسها أيّة ذكرى عما قالته في اللحظات التي سبقت ذلك.

أفزعها صوت رجلٍ من خلفها: "أنا معك". كان مدير محرّري دار فوريستير سايمون ريد، وهو رجل طويل القامة، نحيل الجسم، نضر الشعر، يُعتبر وسيمًا في هذا الوسط. وبالرغم من أنّ فلورينس تستطيع تخيّل ما قد يقولونه عنه في موطنها، نحيف جدًا، شاحب جدًا، لا يعرف كيف يستخدم البندقية، عرفت هذه الانتقادات جيدًا فقد كان حبيبها في المدرسة الثانوية عرضةً لكل انتقاد منها، فاستدارت لتجيبه، وقالت: "من أي منطلق؟".

"من منطلق عدم الاهتمام بهُوية مود ديكسن". انسابت الكلمات من فمه، كأنّها قطرات من حساء، فأدركت أنّه كان مخمورًا، وتابع: "لن تُغيّر هُويّتُه من معنى الكلمات على الصفحات، أو أعتقد أنّها ستغير منها بالنسبة إلى بعض الأشخاص، ولكن لا ينبغي حدوث ذلك، لقد كان إيزرا بوند فاشيًّا، ولكنّه مع ذلك كتب بعض الجمل الجميلة اللعينة". فقالت فلورينس: "النملة قنطور[1] في عالم التنانين الخاصّ بها". عندها أشار سايمون برأسه وقال: "اهدم غرورك، قلت لك أن تهدمه". وتشاركا ضحكةَ التواطؤ الصّامت.

كانت أماندا تراقبهما، ولكنّها أشاحت بنظرها عندما عرفت أنّ فلورينس لاحظت ذلك. وضع الساقي كأس الشراب الخاصّ بفلورينس على الطاولة، وعندما رفعته طرق سايمون كأسه بكأسها، واقترب منها قائلًا بهدوء: "نخب كتمان الهُويّة".

---

(1) قنطور: مخلوق أسطوريّ في الميثولوجيا الإغريقيّة له جسد حصان وجذع ورأس إنسان. وكان يعيش في الغابات وعلى الجبال وعُرف عنه حبّه للنّساء وإفراطه في شرب النّبيذ. المترجم.

2

شعرت فلورينس باهتمام سايمون المركّز عليها، وكأنّه إعجاب جسدي، وكأنّ الملابس التي على جسدها أثارته. لم يكن إعجاب الرجال الأكبر منها سنًّا شعورًا جديدًا عليها تمامًا، ولكنّها كانت تجد نظراتهم المختلسة إليها متطفّلة في بلدتها، وكأنّ تحديقهم إليها ورّطها في شيء لم ترده. ولكنّها استمتعت بتمعّن سايمون فيها الليلة، إذ إنه ينتمي إلى صنف مختلف عن صنف الرجال في مسقط رأسها، صنفه يضمّ الرجال الذين يخيطون ثيابهم لدى خياطين خاصّين، ويتمتّعون بحسّ الفكاهة، بدلًا من السمرة وصناديق المعدّات. بالإضافة إلى ذلك، بالطبع لم يكن سرًا أنّه كان متزوّجًا من الممثلة إنغريد ثورن. جعلها تقديرها من قبل رجلٍ كهذا تشعر وكأنّها استحقّت موقعًا في مكان أعلى في هذا الوجود، وكأنّ اهتمامه جذبته قوّة مغناطيسية فيها، لم تعلم هي نفسها أنّها تمتلكها.

بعد ساعتين، بدأ الحشد بالتقلّص، وسألت لوسي فلورينس إن كانت مستعدّة للرحيل. فهما تعيشان في أستوريا وغالبًا ما تستقلّان قطار الأنفاق عائدتين إلى منزليهما معًا.

قالت فلورينس: "اذهبي أنت، أعتقد أنّني أريد مشروبًا آخر".

"لا بأس، سأنتظر".

"لا! اذهبي حقًّا".

"حسنًا، سأذهب إن كنت واثقة من ذلك".

"أنا واثقة".

مكتبة
t.me/t_pdf

في بعض الأحيان كانت فلورينس تجد أن صداقة لوسي تقيّدها، ولكن إذا فكّرت مليًّا في الأمر، عليها أن تعترف أنّ تطرّف تفاني لوسي في صداقتها أعطاها شعورًا بالراحة يتفوّق على الخوف من الاحتجاز الذي تعاني منه، ربما لأنّ والدة فلورينس درّبتها مبكرًا على التعرّف إلى الأنواع الجامحة من المشاعر، فبدا أيّ شعور بالنسبة إليها رقيقًا باردًا وخاطئًا.

غادرت لوسي تجرّ أذيال ضعفها، وطلبت فلورينس كأسًا أخرى من الشراب، وارتشفت منها ببطء وهي تتفحّص الصالة. لم يتجاوز عدد الأشخاص الأربعة والعشرين، ولم تعرف أيًّا منهم بشكل وثيق. كان سايمون يجري محادثة مع رئيس قسم الدعاية عند الزاوية، لم يُظهر أيّة إشارة على أنّه سينهيها، لذا شعرت فلورينس فجأةً أنّها غبية، فما الذي ظنّته أنّه سيحدث؟

وضعت كأسها على طاولة المشرب بشكل أقوى مما عزمت عليه، وذهبت لتجد معطفها من بين الكُدْسِ الفوضوية بالقرب من الباب فانتزعته، وغادرت.

لفحت الرياح في الخارج ساقيها العاريتين، استدارت باتجاه المدينة، وبدأت تمشي بسرعة نحو محطّة قطار الأنفاق. كانت على وشك أن تنعطف عند ناصية الشارع لتدخل الشارع الثامن عندما سمعت شخصًا ينادي باسمها. استدارت، وإذ بسايمون يهرول خلفها، واضعًا معطفه على ذراعه بأناقة، وسألها باهتمام رجلٍ كان يلاحق فتاةً في الشارع: "هل ترغبين في تناول شراب آخر؟".

3

ذهبا إلى حانة غريمي في شارع إليزابيث حيث أصرّ سايمون على أن يطلبا شراب غينيس، وقال: "لقد اعتدت أن أثمل من احتساء هذا الشراب عندما كنت ادرس في جامعة أوكسفورد، لذا فإنه يجعلني أشعر أنني أصغر سنًا". قالها بإيقاع ولهجة رجل إنكليزي. تفهم سبب ذلك الآن.

وجدا مقصورة فارغة في الخلف، فجلسا إلى طاولة صغيرة بمواجهة بعضهما، أخذت فلورينس رشفة من مشروبها وكشّرت.

ضحك سايمون وقال: "إن طعمه مركّز جدًا".

قالت فلورينس: "يجب عليك ألا تجرب مثل هذه الأشياء، الأمر مشابه لإجبار شخص ما نفسه على قراءة كتاب ما وهو لا يستمتع به، أغلقه وحسب، وابحث عن شيء آخر".

"أكره أن أخبرك هذا، ولكن من الممكن أن تكوني في مجال العمل الخاطئ، هل تعلمين كم من الكتب التي لا أحبّها عليّ أن أقرأها كل أسبوع؟ فرزُ الكتب الجيّدة عن السيئة هو عملي".

قالت فلورينس وهي تلوّح بيدها: "لكي أكون صريحة معك، أنا حقًّا لست مهتمّةً في أن أصبح محرّرةَ كتب".

فردّ عليها سايمون بابتسامة ملؤها الارتباك: "أنت تدركين أنني رئيسك في، أليس كذلك؟ ما رأيك أن تدّعي قليلًا من الحماسة تجاه العمل الذي تتقاضين أجرًا على القيام به؟".

ابتسمت فلورينس وردّت قائلة: "أشعر أنّك لن تخبر أحدًا عن هذا اللقاء، وخصوصًا أغاثا".

"صحيح، أنت تعملين أكثر عن أغاثا هايل، لن تكون سعيدة بهذا اللقاء، فبوصلة أخلاق هذه المرأة في حاجة ماسّة إلى بعض التزييت، علّها تتحرّك بشكل أكثر سلاسةً".

خرجت ضحكة خبيثة من فم فلورينس، فقد منحها سماعها شخص ما يسخر بطريقة تقليدية من امرأة تتفوّق عليها في كلّ المجالات وتمتلك القوّة الشخصية والمهنية رضًا مستساغًا.

وضع سايمون راحة يده بخفّة على الطاولة وقال: "حسنًا دعينا نحسم الأمر، ولنبقِ ما حدث الليلة بيننا سرًّا بما أنك مصرّة".

رفعت فلورينس كأسها وقالت: "نخب الهويّات المجهولة".

من أسفل الطاولة، ردّ سايمون بوضع يده على فخذها، لم تبدِ فلورينس أي تعبير على وجهها، فبدأ برفع أصابعه إلى الأعلى ببطء شديد، ثم جلسا صامتين ينظران إلى عيون بعضهما، وعندها بدأ سايمون يداعبها بإبهامه، وحولهم طلاب جامعة نيويورك يضحكون ويشربون ويصرخون بشدّة، متعامين عن الثنائي الجالس أمامهما، كان من الممكن أن يكونا مخفيين.

قال سايمون بصوت أجشّ: "دعينا نذهب إلى مكان ما".

هزّت فلورينس رأسها مبدية موافقتها، وغادرا وتركا كأسيهما مليئين على الطاولة، قادها إلى خارج الحانة ممسكًا بيدها. في الخارج، صرخت بسبب الرياح الباردة العاصفة التي اجتاحتهما، فخلع سايمون وشاحه ولفّه حول عنقها مرّتين، وربطه ربطة مُحكمة، ثمّ سألها: "أهكذا أفضل؟" هزّت رأسها مجدّدًا.

هرولا في مهبّ الرياح وقد أحنيا رأسيهما، وعلى بعد عدّة خطوات من فندق بويري حيث كان الحارس يرشّ الملح على جانبي الممشى من وعاء بلاستيكي، كان هناك مشرّد يتّكئ على جدار البناء تخشخش نقوده في كوب يهزّه، بدا وكأنه صوت سعال طفل، حاولت فلورينس أن تتبيّن ماذا كان يتمتم: "يقولون الرجال لا تبكي، الرجال يبكون، الرجال يبكون".

وفي الداخل، مرّر موظّف مكتب الاستقبال بطاقة ائتمان سايمون مباشرة، كما لو كانت الساعة الثانية ظهرًا، فكّرت فلورينس: "هل هكذا تتمّ الأمور؟". لطالما اعتقدت أن الحصول على غرفة في الفندق لبضع ساعات سوف يتضمّن نظّارات سوداء تخفي الهويّة وأسماء زائفة، وسرير يهتزّ عندما تضع فيه النقود، ولكن يبدو أن أربعمئة دولارًا لليلة تشكّل حصنًا فعّالًا في مواجهة قذارة كهذه.

صعدا في المصعد برفقة ضيف آخر، رجل في منتصف العمر يتأرجّح بخفّة، كان الرجل يراقب رقم كلّ طابق يضيء على حدة، بينما يبتسم سايمون وهو ينظر إلى فلورينس، اقترب منها، فابتسمت له بدورها، ولكنّها هزّت رأسها.

كانت غرفتهما مظلمة، لا يضيئها سوى شمعدانين نحاسيين على طرفي السرير، تجوّلت فلورينس في الغرفة ونظرت من النافذتين الكبيرتين اللتين احتلّتا جدارين، وقالت وهي تمرّر أطراف أصابعها على السطح البارد: "يا لهما من نافذتين بابيّتين". فتركت أصابعها أربعة بقع بسبب تكاثف الماء المجمّع على زجاج النافذة.

قال سايمون: "تعالي إلى هنا". وذهبت إليه بالفعل.

مكتبة
t.me/t_pdf

4

في الصباح التالي، استيقظت فلورينس وهي تشعر بدفق من الحماسة كما لو كانت الليلة أمامها لا خلفها. فكانت بمفردها، بعد أن غادر سايمون الفندق عند الساعة الرابعة. شاهدته وهي مستلقية في السرير يجمع أغراضه المتناثرة حول الغرفة، بذلته الرمادية التي علّقها في الخزانة، ومحفظته، وهاتفه، ومفاتيحه التي بدت كومة منظّمة على الطاولة بجانب السرير.

مدّ سايمون يده بقوّة إلى عنقه في أثناء تزرير قميصه وقال: "اللعنة، لقد أضعت مثبتة ياقة القميص".

سألته ما هي مثبتة ياقة القميص، فرفع رأسه متبخترًا بحيرة أبوية وقال: "أنت لطيفة". من دون أن يشرح أي شيء.

توقّعت فلورينس بعض الغرابة، ولكن لم يكن هناك أثر لها، تحدّث بلطف بينما كان يرتدي ملابسه وقبّلها برفق على جبهتها وعاد إلى زوجته في المنزل، حاولت بعد ذلك حمل نفسها على الشعور ببعض الذنب، لم تفكّر في نفسها على أنّها شخص قد يقيم علاقات حميمية مع الرجال المتزوّجين، ومع ذلك كان الذنب غائبًا بشكل غريب كما كانت الغرابة غائبة.

تمدّدت فلورينس في السرير الباهظ الثمن، اليوم هو السبت، وموعد الخروج من الغرفة لن يحلّ قبل منتصف الظهر، ولا يتوجّب عليها الذهاب إلى أي مكان، غمر ضوء الشمس الأصفر الغرفة، ضوء بدا أنّه ينتمي إلى فصل مختلف ومدينة مختلفة، ربما ينتمي إلى مدينة روما.

نهضت ودخلت الحمام، كانت المستحضرات التجميلية قد لطّخت عينيها،

وخصلات شعرها الملتفّة والمشعّثة تناثرت فوق رأسها وكأنّها مُكهربة. استحمت ونشّفت علب الشامبو والبلسم الصغيرة ووضعتها في حقيبتها لتأخذها معها إلى المنزل.

دعاها سايمون إلى تناول الفطور، ولكن عندما اتّصلت بالمكتب في الطابق السفلي أخبروها أنّ فاتورة الغرفة قد دُفعت، وسيتوجّب عليها أن تدفع ثمن الفطور من بطاقتها الائتمانية. فردّت قبل أن تغلق الهاتف بعنف: "لا عليك". ارتدت ملابسها وجلست على السرير، فما من شيء يمكنها أن تقوم به. اتّجهت نحو الباب، ووضعت يدها على المقبض، ثمّ عادت إلى الحمام، وحزمت عدّة الخياطة.

* * *

في أستوريا، أغلقت فلورينس باب شقتها، ووقفت بسكون محاولةً سماع صوت صديقتي سكنها، فتمنّت أن تكونا في الخارج. وجدت بريانا وسارة في محلّ كراغيسليست قبل عدّة أشهر وبالكاد تعرفهما الآن بشكل أفضل مما عرفتهما حين انتقلت إلى المنزل.

فتحت البراد، وأخذت علبة من اللبن الخالي من الدسم مكتوب عليها بقلم عريض بريانا!. استقرّت في سرير غرفتها، وجذبت حاسوبها المحمول إليها، بحثت في محرّك البحث غوغل عن مثبتة ياقة القميص.

مثبتة ياقة القميص هي شريطة صلبة ناعمة من المعدن أو العظم أو العاج أو اللؤلؤ أو البلاستيك يدخلها المرء في جيب مخصّص لها في الجزء الداخلي من ياقة القميص لتثبيت بروز الياقة.

قالت بصوت عالٍ: "مثبتة ياقة القميص، العظم".

فكّرت فلورينس بالجيوب الصغيرة التي توجد في الجزء الداخلي من ياقات القمصان. فكرت في الرجال الذين يشبهون سايمون والذين يقلقون بشأن ثبات ياقات قمصانهم. جميع الرجال الذين أقامت علاقات معهم، أي عمال الحانات

وموظّفي المكاتب الذين قابلتهم على موقع تندر، دخلاء على نيويورك ويبدون ضائعين فيها مثلها. الرجل الوحيد الذي خرجت معه أكثر من موعدين منذ أن وصلت طلب منها أن تقرضه 50 دولارًا في الموعد الثالث.

كان هناك عالم خلف حدود عالمها، عرفت فلورينس أنّه غريب عنها تمامًا. بين الحين والآخر، يمسك أحد ما عالمها هذا بين يديه، ويهزّه مزيلًا عنه قطعةً صغيرةً تسقط عند قدميها فجأةً. جمعت تلك القطع المكسّرة مثل العالم الذي يجمع الحشرات، ويعلّقها بدبوس على لوح، كانت تلك القطع دلائل ستنصهر يومًا ما لتشكّل شيئًا أكبر، ربّما خدعة كبيرة أو إجابة ما أو حياةً، لا تعرف ذلك بعد.

بحثت بعدها عن زوجة سايمون، فإنغريد ثورن مثّلت بشكل أساسي في الأفلام، وكانت لديها مشاركات متقطّعة في برودواي. لم تكن من الممثّلات اللواتي تظهر صورهنّ في مجلت بيبول أو مجلة إن-تتش فأغلب قراء هاتين المجلتين لن يعرفوا من تكون، ولكنّها ظهرت على غلاف مجلة بيبر كما اكتشفت فلورينس. سمّاها من أجرى المقابلة معها بسيّدة السينما الطليعية.

على الأغلب لم تكن خلفية إنغريد تضمّ أي شيء طليعي، كبرت في مدينة صغيرة ثرية في كونيتيكيت، كانت ابنة محامٍ ناجحٍ وربّة منزل، أطلقت على مدينتها اسم كونيتيكلت في مقابلة جريدة بيبرز، قالت في المقابلة: "يعيش الناس هناك على عبادة مشروب الجين والفريتز"، تعيش في أبر إيست سايد من نيويورك وترسل أبناءها إلى مدرسة راقية خاصّة، ولكنّها تمكّنت بطريقة ما من أن تجعل هذه الخيارات تبدو ثورية.

لم تعد شابّة، لم تكن جميلة بالشكل الكلاسيكي، ولكنّ ملامحها فيها غموض مذهل. تمتّعت بوجه يدفع المرء إلى النظر إليه طويلًا، وهذا بالتحديد ما كانت فلورينس تفعله عندما رجّ هاتفها بجانبها، فنظرت إليه نظرة سريعة، كانت أمها من يتّصل، راقبت الهاتف يهتزّ على اللحاف للحظة قبل أن تلتقطه.

"مرحبًا أمي".

قالت أمّها بنبرة من يقول سرًّا: "اسمعي، أخبرني كيث البارحة أنّ شركة هيدج فند هي المكان الذي تريدين أن تكوني فيه". كان كيث الساقي في حانة بي-أف-تشانجز حيث تعمل والدتها، وكان عمال الخدمة ينسبون إليه كل القوى الخارقة للمخابرات تقريبًا، ولم تستطع فلورينس فهم أسباب ذلك.

قالت فلورينس: "لا أتمتّع بالمؤهّلات لذلك".

"تخرّجت من جامعة سوما مثل لودي! أعلم أنّك تعتقدين أنّني ريفية بسيطة التفكير، ولكنّني أعرف تمام المعرفة أنّ سوما تعني الأفضل، لذلك لست واثقة من نوعية المؤهّلات الأخرى التي قد تحتاجينها".

"لا أعتقد أنّك ريفية يا أمي، ولكن..."

"حسنًا، فهمت، أنا بسيطة التفكير وحسب".

"لم أقل هذا، ولكنّني لست جيدة في التعامل مع الأرقام، أنت تعلمين هذا".

"لا أعرف هذا يا فلورينس! لا أعرف هذا أبدًا، في الواقع، بعد أن ذكرت الأمر، أتذكّر أنّك كنت قوية جدًا في التعامل مع الأرقام، قوية جدًا". تحدّثت أمّها بإيقاع واعظ كبرامج الكرتون أو بإيقاع مذيع أخبار، ربما امتصّت هذا التكلّف من الساعات التي أمضتها تستمع إليهما كل أسبوع.

للحظة لم تنبس فلورنس ببنت شفة ثم قالت: "أعتقد أنّني لا أريد العمل في المجال المالي وحسب، أنا أحبّ عملي".

لم يكن هذا صحيحًا بالكامل، ولكنّها تعلّمت أن تتواصل مع أمّها مستخدمة مصطلحات بيضاء وسوداء صارمة. وهكذا قدّمت درجات الرمادي لها ثباتًا وحزمًا.

"هل تحبّين أن تكوني رهن إشارة شخص ما كلّ النهار؟ كنت رهن إشارة أحدهم خلال السنوات الستة والعشرين السابقة لسبب واحد فقط وهو أن تتمكّن ابنتي الوحيدة من أن تقول لأي شخص يحاول ممارسة سلطته عليها أن يغرب عن وجهها".

تنهّدت فلورينس قائلةً: "أنا آسفة يا أمي".

"لا تعتذري يا عزيزتي، الله هو من أعطاك مواهبك، يكره أن يراك تهدرينها أكثر مما أكره ذلك أنا".

"حسنًا، أنا آسفة يا الله".

"لا! لا تتصرّفي بذكاء معه يا فلورينس، لا تفعلي هذا معه".

لم تقل فلورينس شيئًا.

سألتها أمّها بعد صمت قصير: "من يحبّك؟".

"أنت".

"من هي أفضل فتاة في العالم كلّه؟".

ألقت فلورينس نظرة سريعة على باب غرفتها، وكأنّها تتأكّد من أنّ أحدًا لن يسمعها عن طريق الخطإ ثمّ قالت بسرعة: "أنا". خبروها ا

"هذا صحيح". عرفت فلورنس أنّ أمّها تهزّ رأسها بقوة على الطرف الآخر من الخطّ: "لست فريسةً ضعيفة يا حبيبتي، لا تتصرّفي وكأنّك كذلك، هذا يقلّل من احترامي، ويقلّل من احترام خالقك".

"حسنًا".

"أحبّك يا حبيبتي".

"وأنا أيضًا".

أنهت فلورينس المكالمة، وأغمضت عينيها. غالبًا ما أشعرها تملّق أمّها غير الدقيق بمعظمه بأنّها بلا أي أهمية بشكل غير متعمّد، تمنّت أحيانًا لو كانت أمّها قاسية على غير حقّ، لاستطاعت حينها على الأقل أن تقطع صلتها بها من دون أن تشعر بالذنب. ها هما محبوستان عوضًا عن ذلك في هذا التنكّر اللانهائي، فيرا تقدّم التشجيع الذي توهنه الخيبة، وفلورينس تستجيب بحماسة من دون أن تشعر بندم حقًّا.

كانت فيرا دارو في الثانية والعشرين من عمرها عندما حملت، لم تكن فتيّة بما يكفي لتجذب إليها النظرات اللائمة ولكنّها بالتأكيد لم تكن كبيرة بما يكفي لتعرف ما

أقحمت نفسها فيه، كما قالت لفلورينس معظم الوقت. لم يرغب الرجل المسؤول عن ذلك والذي كان مجرّد ضيف اعتيادي في الفندق الذي عملت فيه في أيّ علاقة بالطفل، ولكنّ فيرا لم تجهض نفسها، وأخبرت كل من أراد أن يسمع أنّ ذلك كان أفضل قرار اتّخذته في حياتها. بدأت حياتها عندما بدأت حياة فلورينس، وجدت الله أيضًا عندما حملت، لذلك فربما يرجع الفضل في تحسّن حياتها إليه أيضًا.

أخبرت فتاة حيث تعمل فيرا بأنّ الكنيسة الواقعة في الشارع السادس عشر قد ساعدت ابنة عمّها التي كانت أمًّا عزباء أيضًا، فذهبت إليها فيرا وفي رأسها فكرة مبهمة الملامح بأنّها ستغادرها وفي حوزتها علبة من حفاضات الأطفال إلا أنّها غادرت عوضًا عن ذلك وقد دعمها مجتمع كامل.

منذ أن كانت طفلة، طلبوا منها أن تهدأ، أن تصمت، أن تعقل، ولكنّ حماستها وجدت هدفًا هنا، هذا ما قاله القس دوغ، شجّعها على الاجتماع بالآخرين وعلى مشاركة قصتها. أكّد لها أنّ الطفل الذي تحمله ليس خطيئةً بل هدية ثمينة من الله.

عرفت فلورينس أنّه كان هناك بعض الأشخاص في الكنيسة اعتقدوا أنّ أمّها ليست مؤمنة تمامًا كما جعلت نفسها تبدو، إذ لم تُخفِ فيرا أبدًا أنّها تجد بعض أجزاء الإنجيل مثارًا للشكّ، مثل فكرة أنّ الحواريين سيرثون كل شيء، وبدا أنّها تثير النزاعات بين أعضاء كلّ لجنة تنضم إليها، لكنّ منتقديها قد يُفاجئون لو عرفوا كم كان إيمانها قويًّا في الحقيقة لو لم تهتمّ كثيرًا بالتفاصيل. فضلًا عن كل شيء، آمنت فيرا كل الإيمان بأنّ الله يخبئ شيئًا مميّزًا لابنتها.

لطالما كرّرت هذه الخطة الإلهية على مسامع فلورينس خلال نضوجها وكأنّها قصة ما قبل النوم، وقبلتها كما كانت معتادة على قبول كل شيء تقوله أمّها، قبلتها بشكل سلبي وبلا أسئلة. الشكّ هو صفة خطرة على أطفال الآباء العازبين.

توقّفت فلورينس عن الإيمان بالله في المدرسة الثانوية، ولكنّها لا تزال تفترض أن العظمة مقدّرة لها. غُرست في باطنها منذ وقت طويل جدًّا، وسيكون التخلي عنها كالتخلي عن شعرها الأشقر أو كالتوقّف عن كره الخردل.

المشكلة هي أنّ فلورينس وفيرا لديهما أفكار مختلفة كلّيًا عما تعنيه العظمة، فبالنسبة إلى فيرا، العظمة ببساطة هي أفضل نسخة من الحياة يمكنها التعرّف إليها، لذلك انحصرت توقّعاتها ضمن حدود مخيّلتها الخاصة. ولطالما فكّرت أن الله سيمنح الله فلورينس ما أرادته هي دائمًا، المال والنجاح والاحترام، وستمنحها فلورينس بدورها شقّةً.

لكنّ كلمة عظيم أثارت في قلب ابنتها شيئًا أوسع وأكثر غرابةً، شيئًا يتخطّى سيطرة فيرا. تبيّن أن أفق فلورينس يمكنه التوسّع بطرق لم يعهدها أفق أمّها.

خلال نضوجها، بدأت فلورينس تشعر بحدود عالم أمّها تخنقها بسبب القصص التي قرأتها أو التي اختلقتها. خمّنت أنّ العالم قد يكون أكبر بكثير مما عرفته أمّها. ما أرادته هو حياةً تتمدّد حتّى أقصى أطراف الواقع، لا يمكن أن تكون هذه الحياة برأيها إلّا حياة كاتب. أرادت أن تعطي الآخرين ما أعطاها إياه الأدب، شذرة من حياة أخرى تختلف عن تلك التي وجدت نفسها عالقةً فيها.

5

شغلت دار فوريستير للنشر طابقين من مبنى للمكاتب في شارع هودسن في وسط مانهاتن، ولم تكن الدار إحدى دور النشر الكبيرة في نيويورك، ولكنها كانت تتمتّع بسمعة طيّبة منحت بعض العزاء لموظّفيه. أخبرها محرّر مخضرم عندما أجرت مقابلتها هنا: "نحن لا ننشر الأدب الخيالي التجاري". وكأنّ هذا النمط ما هو موادّ إباحية للأطفال. كانت هناك شائعة بأنّ هذا المحرّر نفسه هو من رفض النص المبدئي لكتاب رقصة فوكستروت في مسيسيبي، ولكنّ هذا لم يُثبت أبدًا.

يوم الاثنين الذي تلا حفلة العطلة مشت فلورينس بحرص وانتباه شديدين، لازم هذا الأداء الحذر أفعالها الاعتيادية كتمرير بطاقة هويّتها في جهاز مراقبة الدوام وتحية رجل الأمن بإيماءة. بحثت عن سايمون بين الحشد المنتظر أمام المصاعد، ولكنّها لم ترَه.

كان مكتبها في الطابق الثالث عشر، محشورًا بين الطابعات وخزائن الملفّات والمساعدين الآخرين، أمّا مكاتب المحرّرين فقد اصطفت حول محيط المكتب مانعةً وصول ضوء النهار إلى الداخل. أخيرًا فهمت وهي تنتظر أن يشتغل حاسوبها أنّ أحدًا لا يراقبها، وأنها ستتابع حياتها وكأنّ ليلة الجمعة لم تحدث مطلقًا.

عند الساعة الحادية عشرة، دخلت أغاثا بسرعة وهي تتصارع مع معطفها لتخلعه، كانت حاملًا وفي الشهر السادس، وقفت فلورينس لمساعدتها.

"يا إلهي! أكره طبيبتي، أكرهها حقًّا، لو لم يكن الوقت قد تأخر كنت لأستبدلها". أصرّت أغاثا على كلامها وهي ترمي حقيبتها القماشية على

الأرض بالقرب من بابها، هناك ورقة مثبتة على الباب كتب عليها: "كوني شخصًا لطيفًا".

"ما الذي فعلته هذه المرّة؟".

تعلّمت فلورينس أنّ التواجد بالقرب من أغاثا يكون باعثًا على السرور عندما تتعاطف فلورينس مع معاناتها الشخصية كما هي، في الواقع، كانت فلورينس معجبة جدًا وبشكل غريب بأغاثا التي تبدو أنّها قد اتّسمت بالمواصفات الدقيقة التي يعتقد الناس في موطن فلورينس أن سكان نيويورك يمتلكونها. تشارك في المظاهرات، وتقاوم، وتطلق على الأفلام اسم الأشرطة السينمائية.

"أعني أنّها لا تستطيع أن تقتنع بحقيقة أنّني لا أريد إبرة تخدير فوق الجافية". تعثّرت أغاثا وهي تلتفّ حول مكتبها المكتظّ، وتبعتها فلورينس تجرّ كرسيها المدولب نحو فتحة الباب.

"ألا تريدين إبرة تخدير فوق الجافية؟ لماذا؟".

استقرّت أغاثا في مكتبها، ونظرت إلى مساعدتها نظرة جادّة. غالبًا ما أشارت إلى نفسها بصفتها معلّمة فلورينس، ولكنها لم تتصرّف على هذا النحو. "فلورينس! كان الألم ضروريًا للأمومة منذ آلاف السنين، لا يمكنك ولادة إنسان جديد من دون ألم، إنّه طقس المرور، يشبه هؤلاء الصبية المنتمين إلى القبائل الإفريقية الذين يتوجّب عليهم جرح أنفسهم قبل أن يُعتبروا رجالًا".

"أي قبائل؟".

"أعني كل القبائل".

قالت فلورينس بشكّ: "صحيح".

"ولكنّ صناعاتنا الطبية الصناعية تريد انتزاع هذا الألم، ألم النساء المقدّس، وتريد تعريتنا من علاقة الأم بطفلها، تعلمين أنّ انضغاط الطفل ليخرج من قناة الولادة ليس سهلًا عليه أيضًا، الألم يربطنا، أن تصبحي أمًّا هو شرف وامتياز، عليك أن تستحقّيه".

قالت فلورينس: "أعتقد أنّ هذا منطقيّ". ثمّ أضافت: "هل تعلمين أنّني قرأت عبر شبكة الإنترنت أنّ صغار فقمات البحر تأكل لحم أمهاتها لتخرج من الرحم عندما تصبح جاهزة لتولد، إنها تمضغ كل شيء في طريق خروجها من الرحم، تمضغ أعضاء أمهاتها ولحمها، وتتمزّق الأمهات إربًا حرفيًا وتموت".

أومأت إليها أغاثا برأسها موافقة: "تمامًا يا فلورينس".

عادت فلورينس إلى مكتبها وقرّرت أن تعتبر هذه المحادثة نصرًا.

* * *

خرجت فلورينس بعد تجاوز الساعة الرابعة بقليل إلى متجر حلويات دنكين الواقع عند ناصية الشارع، عندما خرجت من المصعد رأت سايمون أخيرًا. كان يتحدّث عبر هاتفه ويسير داخلًا إلى المبنى، فابتسم عندما رآها، ورفع إصبعه طالبًا منها الانتظار.

قال لشخص ما عبر الهاتف: "حسنًا، طبعًا، أنا أوافقك الرأي". أبدى حركة امتعاض بعينيه وهو ينظر إلى فلورينس وتابع: "حسنًا يا تيم، يجب أن أنهي المكالمة هنا، حسنًا، حسنًا، أنت أيضًا، بالطبع، وداعًا". وضع هاتفه في الجيب الداخلي لسترة بذلته وابتسم ابتسامة اعتذار من فلورينس وقال: "آسف على هذا". نظر حوله وأضاف: "هيّا، لنختفي خلف الزاوية لبرهة". قادها إلى خارج المبنى إلى منتصف شارع جانبي.

قال مجبرًا نفسه على الضحك: "حسنًا، كانت تلك الليلة ليلة رائعة، اسمعي، أردت فقط الاطمئنان عليك والتأكّد من أنّ كل شيء بخير هنا، هل تشعرين بأنّك بخير بشأن ما حصل؟ من الواضح أنّه شيء لا أقوم به عادةً ولكنّني لا أعرف..." تنهّد تنهيدة عميقة وهزّ رأسه وتابع: "هناك شيء فيك يا فلورينس، كسرتُ كلّ قواعدي من أجله".

فتحت فلورينس فمها لتجيب ولكنّ سايمون تابع: "بعد قول هذا..." توقّف وحاول المتابعة بنبرة مختلفة: "يجب القول أنّ ذلك كان خطأً، كان خطأي، خطأي

مئة بالمئة، أتحمّل كامل المسؤولية، ولكن لا يمكن لذلك أن يتكرّر، أحترمك بشكل أكبر من أن أضعك في هذا الموقع".

قالت فلورينس: "سايمون! لن أفضحك باستخدام هاشتاغ وأنا أيضًا".

ضحك سايمون بصوت عالٍ قليلًا: "حسنًا شكرًا لك، شكرًا على هذا، لا، لا أعتقد أنّ الحالة هنا تشبه حالات ذلك الهاشتاغ".

رأى أحدهم خلف فلورينس، فألقى عليه تحيةً وابتسم له، قال موليًا اهتمامه إليها مجدّدًا: "صحيح، هذا عظيم، شكرًا لك".

لم تقل فلورينس شيئًا.

"هل نحن بخير هنا إذًا؟"

قالت فلورينس: "كل شيء بخير يا سايمون".

ربّت على كتفها وقال: "جيد، جيد، وهل كل شيء بخير في الأعلى؟ هل تحبّين العمل مع أغاثا؟".

قالت فلورينس إنّها تحبّ العمل معها.

قال مجدّدًا: "جيد، جيد".

افترقا عند الزاوية، وعاد سايمون إلى البناء، ومشت فلورينس إلى متجر القهوة. استرجعت المحادثة في رأسها عندما كانت تنتظر دورها. لقد أخبرته الحقيقة، كانت بخير، عرفت أنّ سايمون متزوّج عندما أقامت العلاقة معه، علّمت أنّ ذلك على الأغلب كان لمرة واحدة فقط، لم تكن العلاقة بتلك الروعة، لمسها بحنان وباحترام وبطريقة وجدتها منفّرة بعض الشيء. فكّرت بأنّه من المحزن أن يمارس الجنس كرجل متزوّج حتّى في أثناء خياناته. ولكن عليها الاعتراف بأنّه هناك جزء منها شعر بشيء من الندم، ليس الأمر أنّها أرادت صحبته بالضبط، ولكنّها أحبّت شعور أن تكون في مداره، حتّى ولو كان ذلك لعدة ساعات. أحبّت فندق بويري، وأحبّت مثبتة ياقة قميصه، وأحبّت جذب انتباه زوج إنغريد ثورن.

6

لم تعد فلورينس إلى منزلها في عيد الميلاد، إذ أخبرت والدتها بأن الرحلات كانت باهظة الثمن على الرغم من أنّ ثمن الرحلات على خطوط جيت-بلو يبدأ من 79 دولارًا.

في ليلة عيد الميلاد، استقلّت قطار الأنفاق عائدةً إلى فندق بويري، يوجد في الصالة الكبيرة المفتوحة التي تمتدّ إلى شرفة محاطة بالزجاج حانة كبيرة، كانت كلّ طاولاتها فارغة تقريبًا، فجلست على كنبة منجّدة ذات قماش مخملي أصفر، ومرّرت يدها على القماش إلى الأعلى والأسفل، وعندما وصلت النادلة، طلبت كأسًا من مشروب غلينليفيت ثمنه أربعة عشر دولارًا.

أخرجت الكتاب الذي أحضرته معها، ولكنّها لم تفتحه. تفحّصت ما حولها، فبدا للفندق جوّ موقع بريطاني مهجور في مستوطنة غريبة ما، رسمات قاتمة اللون، وأرضية أثرية، وسجادات عتيقة. كان هناك أيضًا أكاليلُ وزهور معلّقة من أجل هذا الموسم.

وقعت عيناها على رجل كبير في السنّ يرتدي بذلة رمادية مكوّنة من ثلاث قطع، يخرج من جيبه منديلًا أرجوانيًا. كان يراقبها، وعندما التقت عيونهما رفع نفسه عن كرسيه بجهد وسار متثاقلًا نحوها.

انحنى مقتربًا منها، تفوح منه رائحة الكحول والعطر، وسأل بزمجرة متقطّعة: "هل أنت يهودية أم كارهة للبشر؟".

نظرت إليه بارتباك ونفور، ولكنّها لم تقل شيئًا. حافظا على تبادل النظرات بصمت حتّى كسر هو هذا الصمت.

"لا تكوني هكذا يا عزيزتي، لم أقصد الإساءة، تنطبق عليّ كلتا الصفتين كما ترين، أنا أقدّم متعةً مزدوجة". أطلق ضحكة متقطعة تحوّلت إلى سعال، فسحب منديله المزركش ووضعه على فمه، فعلق في طيّاته رذاذ رطب.

جاءت نادلة فلورينس، ووضعت يدها على أسفل ظهره. "حسنًا، فلنترك هذه السيّدة اللطيفة تستمتع بمشروبها بسلام، هلّا فعلنا ذلك؟". قادته بلطف إلى كرسيه بالقرب من المدفأة وهو يتمتم: "ليست سيّدة، إنّها ليست سيّدة".

تجرّعت فلورينس باقي مشروبها، وذهبت إلى الحمام، ونظرت إلى نفسها في المرآة، هناك صنبورا ماء، واحد ساخن والآخر بارد، فثبّتت يدها تحت الصنبور الساخن حتّى لم تعد تتحمّله، كانت قد اكتشفت أيام الجامعة أنّ هذا الطقس بالتحديد أفضل دواء لعلاج الغضب واليأس. ثمّ عادت إلى طاولتها وتركت عشرين دولارًا، وتوجّهت إلى محطّة قطار الأنفاق.

وفي اليوم التالي، في يوم عيد الميلاد، عادت وكرّرت كل ذلك مجدّدًا.

* * *

أمضت فيرا يوم عيد الميلاد مع صديقتها المفضّلة غلوريا وولديها. وقد أخبرت فلورينس بشأن ذلك في تلك الليلة: "أنا متأكّدة من أنّهم لم يكونوا متحمّسين بشأن تجوّل امرأة صغيرة مسنّة مثلي في منزلهم كل اليوم، ولكن بالطبع لم تكن غلوريا لتتركني أمضي اليوم وحيدةً. لا ألومك على عدم القدوم ولكنّ غلوريا لا تريد أن ترى أي شخص يعاني كما تعلمين، وابنتها الكبرى غريس! لن تصدّقي ذلك، إنّها تدير كامل مكتب بلدة تامبا التابع لشركة غولد كوست ريالتي. أعني... فكّري بذلك، إنّه تكتّل على مستوى البلاد، بالإضافة إلى أن لديها أربعة أطفال".

أجابت فلورينس: "أنا متأكّدة من أنّ شركة غولد كوست ريالتي ليست تكتّلًا على مستوى البلاد، فهي تسمّى غولد كوست تبعًا لمنطقة وجودها".

زفرت فيرا بقوة: "حسنًا أعتقد أنّ هذا ليس مبهرًا بما فيه الكفاية برأيك، أربعة أطفال وعمل براتب من ستّ خانات، وفي الوقت نفسه وجدت الوقت لتشتري لي هدية عيد الميلاد".

قاطعتها فلورينس بنبرة دفاعية: "أنا أيضًا اشتريت لك هدية". أرسلت إلى والدتها قصصًا مجمّعة للكاتبة ليديا ديفيس. عرفت أنّ أمّها على الأغلب لن تكسر تقاليدها، ولكن جزءًا منها أمل بشدّة أن تتغيّر فيرا. لم تحبّ فلورينس أن تشعر بالإحراج منها.

"أنت من العائلة يا عزيزتي، بالطبع ستشترين لي هدية، لن تخمّني أبدًا ما جلبته لي".

"ماذا؟"

"زودلز".

قالت فلورينس بجفاف: "لا أعرف ما هذه الكلمة".

"أنت تعرفينها، زودلز".

"صدّقيني، لا أعرفها مطلقًا".

تنهّدت فيرا مجدّدًا: "حسنًا يا حبيبتي، سأدعك تذهبين إلى حياتك المذهلة في نيويورك إذًا".

فركت فلورينس وجهها بعنف، لم ترد أن تتصرّف بهذه الطريقة مع أمها، ولكنّها تعاني من مشاكل السيطرة على نفسها.

"أنا آسفة يا أمي، حقًّا، أنا متأكّدة من أنّها هدية عظيمة".

رضيت أمّها وقالت: "إنّها عظيمة بالفعل، في المرّة القادمة التي ستأتين فيها إلى المنزل سأعدّ لك بعض الزودلز، طعمها مثل الباستا تمامًا، طعمها مذهل".

"رائع".

"صحيح! هل تعرفين من صادفت ذلك اليوم؟ تريفور، يا له من صبيّ لطيف، جاء نحوي مباشرةً وألقى عليّ التحية في المركز التجاري".

شعرت فلورينس بندمها يتلاشى: "أمّي! لقد كنت تحتقرينه". كان تريفور حبيب فلورينس في المدرسة الثانوية، وشجّعتها فيرا مرارًا وتكرارًا على قطع علاقتها به، وجزء من سبب بقائها معه لأكثر من سنتين هو حرمان أمّها من هذا الرضى. الشيء الوحيد الذي كان مشتركًا بينها وبين تريفور هو القناعة العميقة بأنّهما أذكى من أي شخص آخر، وبشكل لا يثير الدهشة، انتهت العلاقة الضعيفة جدًّا بينهما بعد أن غادرا البلدة، إذ كانت أضعف من أن تساعدهما على البقاء معًا، ولا سيّما أن تريفور لم يهتمّ أبدًا بالأدب.

قالت فيرا: "اصمتي! لم أشعر بمثل هذا، على كل حال، أصبح مهندسًا مهمًّا في فيريزون وطرح العديد من الأسئلة عنك، لم يستطع أن يصدّق أنّك في نيويورك".

قالت فلورينس ببرود: "ومع ذلك، ها أنا ذا".

"يجب أن تتّصلي به".

"لماذا؟"

"سيكون ذلك لطيفًا هذا كلّ شيء".

عرفت فلورينس أنّ هذا ليس كل شيء، ولكنّها سمحت للأمر بأن يمرّ، عدم الوقوع في الفخّ سيكون هديّتها الحقيقية لفيرا: "حسنًا يا أمي، ربما سأتّصل به، أحبّك، عيد ميلاد سعيد".

"أحبّك أكثر يا حبيبتي".

* * *

أغلقت دار فوريستير أبوابها من ليلة عيد الميلاد حتى ليلة رأس السنة، فخطّطت فلورينس لاستغلال الوقت والبدء بكتابة رواية، إلا أنّها عانت كل الأسبوع من المشكلة نفسها التي كانت تعاني منها منذ أن انتقلت إلى نيويورك قبل سنتين، لم تستطع الكتابة، لم تستطع كتابة كلمة واحدة.

كانت تجربتها الأولى مع حبسة الكاتب. كانت قد بقيت في غينزفيل بعد الجامعة، وعملت في متجر للكتب لتكرّس نفسها للكتابة. فعلت ذلك فعلًا، كانت تنقر بشكل محموم على حاسوبها في كل دقيقة لم تكن فيها في المتجر، وغالبًا ما كتبت في الليل وهي تأكل النودلز اليابانية التي تسخّنها بالمايكروويف صحنًا بعد صحن. كانت قد اكتشفت منذ وقت قصير روبرت كوفر، ودونالد بارثليم، وخوليو كورتزار، وقد أشعرتها قراءة أعمالهم بأنّها قادرة على الدخول إلى عالم آخر حيث تُفكّ قيود الحياة الصارمة، وتُقصّ الأربطة بين السبب والمسبّب وكل ما يمتدّ أمامك هو الحرية. وجدت الفكرة مثيرةً، وكتبت عدّة قصص غريبة خلال هذه الفترة. تتحدّث القصة المفضّلة لديها عن امرأة أكلت زوجها رويدًا رويدًا على مرّ السنين حتّى استهلكته كلّه. عندما أرتها لأمّها أشارت فيرا إلى أنّها سقطة قاتلة للمنطق بالنسبة إليها، وسألتها: "ألم يدرك زوجها أنّ زوجته تأكله؟ ألم يتّصل بالنجدة؟".

حثّتها أمّها خلال فترة ما بعد الجامعة والتي أمضتها في غينزفيل على الحصول على عمل حقيقي كل يوم تقريبًا. امتثلت فلورينس بعد سنتين وبعد عدد لا يحصى من ردود الرفض التي وصلتها من العديد من المجلات الأدبية. أرسلت طلبات التوظيف إلى كل شاغر في مجال النشر أمكنها إيجاده في البداية، وقبلت أول عرض صادفها، وكان العمل بصفتها مساعدة محرّرة في دار فوريستير للنشر.

وصلت إنتاجيتها إلى نهاية مفاجئة بعد ذلك بوقت قصير، استطاعت تتبّع هذا العجز المجنون عن الكتابة لليلة واحدة خلال أوّل أسبوع لها في نيويورك. اجتمع معظم الموظّفين الجدد من مساعدين ومحرّرين مبتدئين لاحتساء المشروبات كل ليلة جمعة في حانة ريد لارك، وهي حانة قريبة من مدخل نفق هولاند. كانت مكانًا كئيبًا أكّدت طاولاته الدبقة لأثرياء المجال المالي الذين يعيشون في تريبيكا أنّهم لا يزالون ظرفاء بالرغم من بذلاتهم وأطباء التغذية الذين يزورونهم وغرف الألعاب في شققهم الفاخرة. ذهب الموظّفون الجدد إلى هناك، لأنّهم حصلوا على حسومات قيمتها 5 دولارات من الساعة الخامسة إلى الساعة الثامنة.

تجمّعت مجموعة متجهة إلى حانة ريد لارك في يوم الجمعة الأولى لفلورينس أمام المصاعد عند الساعة السادسة، ووقفت هي ولوسي بصمت عند أطرافها. كانت تشعر بالخوف كما شعرت لوسي، وهي تكره الاعتراف بذلك. كانوا واثقين من أنفسهم وواضحين، يشعرون بالراحة في الحفلات الأدبية التي تضمّ كتّابًا معروفين. ترتدي الفتيات فساتين ضيّقة ومجوهرات عتيقة، فشعرت فلورنس بنفسها بينهم وكأنّها مزيفة.

كانت أماندا لينكولن قائدة هذه المجموعة، عيّنت نفسها قائدةً بنفسها. كبرت في نيويورك وكانت ابنة كاتب يكتب الأعمدة في صحيفة نيويورك تايمز ونائبة أدبية في مجلس أدب نيويورك العام. بعد دراستها في مدرسة ديلتون، ارتادت جامعة ييل وتبع ذلك تدريب في مجلة ذا باريس ريفيو. بكلمات أخرى، كان نسبها طاهرًا، وعلى الأغلب لم تطأ قدمها أرض بورت أورانج في فلوريدا خلال حياتها كلّها.

عندما استقرّت المجموعة إلى طاولة كبيرة في الجهة الخلفية من الحانة، رفعت أماندا كأسها وصاحت: "تشين-تشين!" نظرت فلورينس ولوسي إلى بعضهما بشك ثمّ تمتمتا مع الباقين: "تشين-تشين!"

استدارت إيميلي، وهي فتاة لطيفة عرفتا لاحقًا أنّها تعمل مع سايمون، إلى الوافدتين الجديدتين لتحاول أن تجذبهما إلى المجموعة وسألتهما: "من أين أنتما؟".

قالت لوسي بصوت بالكاد يُسمع: "آميرست".

تدخّلت أماندا قائلةً: "هل ذهبت إلى المدرسة هناك؟ ذهب أخي إلى المدرسة هناك، هل تعرفين ستيورات لينكولن؟".

أومأت إليها لوسي برأسها نافية، ولكن لم يكن من الواضح على أي السؤالين تجيب ولم تقدّم أي تعليق إضافي.

سألت إيميلي فلورينس: "ماذا عنك؟".

"ذهبت إلى جامعة غينزفيل في فلوريدا".

قالت: "رائع!" أومأ الجميع إليها برؤوسهم داعمين إعجابها. كان بإمكانها أن تخبرهم أنّها تعاني مع مرض السرطان وستظلّ إجابتهم لبقة هذه اللباقة الحادّة. ارتاد جميعهم تقريبًا جامعات رابطة اللبلاب أو جامعات تضاهيها.

سأل فريتز: "هل ذهبت إلى منزل هيمينغوي في كي ويست؟"

هزّت فلورينس رأسها.

"إنّه رائع، هناك قطط ذات الستّ أصابع المنحدرة من قطته ذات الأصابع الستّ".

قالت أماندا: "يا إلهي! لا تقل لي إنّنا لا نزال نتظاهر بأن همنغواي شخص مهمّ، ما هذا؟ هل نحن في درس اللغة الإنكليزية للصف التاسع؟".

قال فريتز: "يا إلهي يا أماندا! كل ما قلته هو إنّه كان لديه قطّة بستّ أصابع".

بعد بعض الوقت، وبينما كانوا يتناولون الدفعة الثانية من مشروباتهم، دار رجل في أواسط العمر يرتدي قميصًا برتقاليًا حول الحانة يبيع الورد الجوري. اقترب من طاولتهم وقال للرجال: "من أجل السيّدات الجميلات". ونظر إلى كل واحد منهم واحدًا واحدًا، فابتسموا جميعًا وقالوا بطرق مختلفة: "لا شكرًا يا رجل".

عندما انتقل من مكانه قالت أماندا: "ليس هناك حرفيًا شيء أكثر ابتذالًا من وردة جورية حمراء وحيدة، يجب أن يقول أحد ما لذلك الرجل المسكين أن يبدأ ببيع أزهار الفاوانيا، يمكنه حينها أن يتخلّص من بعض بضائعه".

ضحك الجميع ما عدا فلورينس، جلست تحدّق إلى أماندا، مرعوبة بعض الشيء، من لا يحبّ الورد الجوري؟ ومن لا يحبّ همنغواي؟ كيف يمكن لهذه الفتاة التي لا تكبرها عمرًا أن تحمل هذه الآراء الشاذة بشكل اعتباطي؟

واستمر الأمر، أسقطت أماندا خلال باقي الليلة مراجع ثقافية بدت وكأنّها مجرّد سلسلة من المقاطع الصوتية غير المرتّبة حتّى بحثت عنها فلورينس لاحقًا، مراجع مثل: أدورنو، بينا بوش، كويانسكاتسي.

ترعرعت فلورينس في فلوريدا معتادةً على أن تكون الشخص الأكثر ثقافةً في الغرفة. ولكن هناك، في تلك الحانة القذرة، شعرت بأنّها قاصرة، شعرت أنها غبيّة للمرة الأولى في حياتها. كانت تتجوّل غير مبالية معتقدةً بأنّها تعلم أكثر من الجميع، وأدركت فجأةً أنّها لا تعلم شيئًا. لو سألتها ذلك الصباح، كانت ستجيب بأنّ الجوري الأحمر أكثر الأزهار أناقةً، ولم تكن تدرك أنّ التقليل من شأن همنغواي شيء متاح حتّى.

بدأت المشكلة في اليوم التالي، كانت قد أمضت الأسبوع الماضي بالاستقرار وأصبحت جاهزة أخيرًا للجلوس والكتابة. ولكنّها عندما بدأت بصفحة بيضاء، شعرت بشعور غير مألوف، بشعور الخوف.

إذا كانت ورود الجوري الحمراء مبتذلة جدًا، ما هي الأمور الأخرى التي أخطأت بشأنها أيضًا؟ كم عدد الأخطاء الأخرى التي ستظهر في أي شيء تكتبه؟ وهل يمكنها البدء بالتفكير بكتابة رواية من دون قراءة أعمال أدورنو أولًا؟ لا، بالطبع لا. أعادت قراءة قصصها القديمة ووجدتها طفولية وساذجة، فشعرت بالامتنان في الواقع لتلك الحقيرة المتعجرفة أماندا لينكولن بسبب كشفها أنّها تعرف القليل فقط قبل أن تذلّ نفسها.

للمرّة الأولى في حياتها شعرت أنّ نيل العظمة ما هو إلا احتمال من بين العديد من الاحتمالات، وأنّه ليس حقًّا منحها الله إياه. من المعقول تمامًا أنّها ستصبح محرّرة بدلًا من أن تصبح كاتبة، أو من المعقول أن تعود إلى فلوريدا لتبيع البيوت أو القروض البنكيّة. لا شيء مضمون، ولا تستحقّ شيئًا.

شعرت بثقتها بنفسها تنزلق منها بسهولة انزلاق معطف عن ظهر كرسي، عادت الفتاة التي كانت في فلوريدا، عادت روحًا ضائعةً متمسّكةً بمجموعة من الأصدقاء الذين يجمعهم اليأس المشترك بدلًا من الانجذاب. ولكن كيف يتسنّى للمرء بناء شخص جديد؟ جرّبت جميع الحالات النفسية والشخصيات كأنّها ملابس ترتديها وتخلعها، اهتمّت في أحد الأيام بالقسوة، وفي اليوم التالي أرادت أن

تصبح شخصًا يحبّه الجميع، وضعت إيمانها في القوى التحويلية للأحذية الجديدة، وكحل العين السائل، وقبعات الرسامين وكأنّ هويّتها يمكن أن تُرتشف من خلال تغيير مظهرها من الخارج، كما يُرتشف النيكوتين من السجائر.

بحلول الوقت الذي قابلت فيه سايمون ريد في حفلة العطلة التي أقامتها دار فوريستير، كانت قد أمضت في نيويورك شهرين ولم تنسجم هويّتها الحقيقية معها. كانت سفينةً بلا مرساة، تدور وتدور تائهة بين الأمواج. في الحقيقة، ربما كان هذا النوع من عدم الثبات هو ما جذبه إليها في المقام الأول. كان أحد هؤلاء الرجال الذين ينجذبون بلا حول ولا قوة إلى تلك الأشكال المتحوّلة الفتية، وكانت هي الفتاة الوحيدة التي بلغت السادسة والعشرين، ولا تزال تلهث في الظلام خلف هويّتها. شعر الرجال الذين يشبهون سايمون باهتمام يجعلهم يريدون صقل تلك الأسطح غير المستوية لتصبح كالمرايا حتّى يتثنّى لهم مشاهدة أنفسهم في انعكاسها، ومن النادر أن يفكروا باحتمال أنّ المرآة ستريهم شيئًا لا يرغبون في رؤيته.

7

فتحت الدار أبوابها مجدّدًا في الثاني من كانون الثاني. يظهر في ذلك اليوم من كل سنة اختلاف الطبقات المخفي عادة بين الموظفين، كان هناك هؤلاء الذين اسمرّت بشراتهم وهؤلاء الذين لم تسمرّ. في السنة السابقة، خدعت فلورينس هذا النظام، تمتّعت ببشرة سمراء قليلًا حصلت عليها بسبب العودة إلى بلدتها وحسب، ولكنّها اعتقدت أنّ بعض الزملاء في المكتب اعتقدوا أنّها زارت منتجعًا في جزيرة هاربور أو تركيا أو كايكوس أيضًا.

هذه السنة فوّتت فلورينس هذا الطقس. لم تكن شاحبةً كالأشباح وحسب، بل استيقظت ذلك الصباح مع ألم مبرّح في رأسها، وارتفاع حرارة بلغ مئة واثنتين. جرّت جسدها لتخرج من السرير، وابتلعت أربع حبات دواء بلا ماء، وكانت مصمّمة على الذهاب إلى العمل ولم يكن ذلك بسبب مبادئ راسخة فيها، بل لأنّ رفيقة سكنها بريانا تعمل في أغلب الأوقات في المنزل، ولم تستطع تحمّل فكرة قضاء يوم كامل في الشقّة معها. أصبحت مؤخّرًا غير قادرة على التوقّف عن التركيز على الشعيرات السوداء الخشنة التي تخرج من أصابع قدمي بريانا وكأنّها أقدام بعوضة مقلوبة على ظهرها.

عندما وصلت أغاثا إلى المكتب، نظرت إلى شحوب فلورينس ووجهها المتصبّب عرقًا وقالت: "يا عزيزتي! أنت في وضع سيّئ، اذهبي إلى المنزل وارتاحي، لسنا في معسكرات العمل القاسية".

قالت فلورينس: "أنا بخير، أنا بخير حقًّا".

تجهّمت أغاثا وقالت: "فلورينس، أنت مريضة، اذهبي إلى المنزل". ووقفت هناك تراقبها حتّى جمعت فلورينس أغراضها في حقيبتها وغادرت.

أمضت فلورينس باقي اليوم وهي تهذي وتتصبّب عرقًا في سريرها، ظلّت تحلم بأنّ ذلك الرجل العجوز من فندق بويري كان في غرفتها، ولكن عندما تستيقظ لا تجد أحدًا. سحبت كتاب رقصة فوكستروت في مسيسيبي عن الرفّ فسقط مفتوحًا على صفحة الجريمة التي أشارت فلورينس إلى سطورها بخطوط، وشرحتها باستفاضة.

انزلق السكين بسهولة أكبر مما توقّعته، دخيل حادّ النصل بين طيّات أحشاء فرانك الدافئة اللينة. رفعت السكين مجدّدًا، وضربت ضلعًا هذه المرة فارتجّ بعنف، انزلقت يدها عن المقبض وصفقت اللحم الشاحب الناعم. معدته مغطّاة بالدم الآن والشعر الأسود الخشن ممسّد عليها وأصبحت تشبه فروة رأس مولود جديد.

حلمت فلورينس بها عندما نامت مجدّدًا.

في اليوم التالي، لم تشعر أنها أفضل حالًا، ولكنها بالرغم من ذلك ذهبت إلى العمل، وعندما وصلت أغاثا حدّقت إلى فلورينس ولم تقل شيئًا. خرجت من مكتبها بعد خمس دقائق، وأعطت فلورينس قُصاصة ورق.

"فلورينس! لا يمكنك القدوم إلى المكتب بهذه الحالة، لا يمكنني أن أتحمّل المرض وأنا حامل، خذي، هذا عنوان طبيب الباطنية الذي أزوره، لديك موعد عند الظهيرة، لا تتأخّري، وأرجوك لا تعودي إلى العمل بعد الموعد".

أومأت فلورينس إليها برأسها قائلة: "حسنًا، آسفة".

تقع عيادة الطبيب في طرف المدينة في منطقة إيست ريفير على بعد خمسة أحياء كبيرة من مكان توقّف قطار الأنفاق في جادتي إيتي سيكس وليكسنغتون. كان على فلورينس أن تجلس على درج بالقرب من الجادّة الثانية لتستريح، قبل أن تعثر على بعد عدة بنايات شرقًا على العنوان الذي أعطتها إياه أغاثا. كان بناءً سكنيًا يحرسه حارس يرتدي لباسًا رسميًا وتمثالان.

سألته: "أين عيادة الطبيب غولدسميث؟".

"في الداخل إلى يسارك".

كانت العيادة محشورةً في الزاوية الخلفية لصالة مجهّزة تجهيزًا جيدًا. ضغطت على جرس نحاسي بجانب الباب.

أدخلتها موظّفة بليدة إلى غرفة انتظار تحتوي العديد من المعالم المألوفة في عيادات الأطباء، كنبة بسيطة ومجلات مجعّدة الصفحات، ولكن عوضًا عن المصابيح الكهربائية كانت الغرفة مضاءة بمصابيح توضع على الطاولة، وهناك مزهرية تحتضن أزهارًا نضرةً على الطاولة، أما الأغرب من كل هذا أنّه لم يكن هناك أحد آخر. لم تذهب فلورينس إلى غرفة انتظار في عيادة طبيب من قبل من دون أن تشعر أنّها محاصرة بحشد متذمّر وأطفال ناحبين مرضى. ابتسمت موظّفة الاستقبال، وأشارت إليها من وراء المكتب طالبةً منها الاقتراب، مشت فلورينس إليها، وقالت اسمها وغابت عن الوعي على الفور.

استفاقت لاحقًا وهي تجلس على كرسي لتجد امرأتين تنحنيان فوقها.

قالت: "يا إلهي!"

قالت المرأة التي عرفت فلورينس أنّها موظفة الاستقبال: "أنت بخير يا عزيزتي، لقد غبت عن الوعي فحسب، أنت بخير، الطبيب قادم".

مدّت فلورينس يدها إلى الخلف، وشعرت بلفافة من المناديل الورقية مطويّة تحت قميصها.

شرحت موظّفة الاستقبال: "لم نرد أن تبتل ملابسك". أدركت فلورينس أنّها غارقة في العرق.

كان الطبيب رجلًا طويلًا في أواخر الستينيات من العمر، أشيب يضع نظارتين من دون الإطار. قادها إلى غرفة فحص صغيرة حيث أجرى فحصًا سريعًا لها وأخبرها بما عرفته بالفعل، إنّها تعاني من الإنفلونزا. ووضعت الممرضة قسطرة وحقنتها من أجل تفريغ السوائل في جسدها وإعادة ترطيبه، وأعطتها بعض التيلينول للتقليل من حدّة الحمى وألقت عليها محاضرة حول أهمية أخذ لقاح الإنفلونزا السنوي.

أطلقوا سراحها بعد ساعة من تعليمات تفرض عليها أن تعود إلى منزلها وتستريح. ولكنّ الشمس تتربّع على عرش السماء، وهي تشعر أنّها أفضل حالًا مما كانت عليه في الصباح، فقرّرت أن تتمشّى قليلًا. انطلقت باتجاه النهر، لم يسبق لها أن أتت إلى هذا الحي، إذ لم يكن من سبب لتأتي إلى الشارع التاسع والخمسين فما بالك بالوصول إلى شرق المدينة. تجوّلت في حديقة كارل شورز، وأصبحت على الفور محاطة بقطرات الثلج الذائب المتساقطة. لفح النسيم الذي يهبّ من ناحية النهر وجهها المتورّد. كانت الحديقة فارغة إلا من بعض النساء العجائز اللواتي يأخذن كلابهنّ الصغيرة في نزهات ورجل أبيض وحيد يتدرّب على الدراجة الرياضية تاي تشي. وجدت مقعدًا بالقرب من النهر على بعد عدة أبنية إلى الجنوب وجلست عليه، وأغمضت عينيها، وأدارت وجهها نحو الشمس.

استفاقت مرتجفة عندما اخترق صوت رجل مسامعها واستعادت وعيها. كان قريبًا بشكل مروّع. "لا أمل لذلك الفاشل". فتحت عينيها ونظرت إلى جانبها. حيث جلس رجل بدين على المقعد، يرتدي العديد من طبقات الملابس باللونين الرمادي بمختلف درجاته والبني. ويلتزم بحدود الاحترام، ولم يكن واضحًا من أي جهة أتى.

سألت: "ماذا؟".

قال الرجل: "نال منها". وأشار بيد قذرة إلى السور الذي يحمي حافة النهر، تبعت فلورينس نظراته لتجد رجلًا إسبانيًا في منتصف العمر يقف على السور يصطاد سمكة بنية.

قالت فلورينس: "يا إلهي". كانت مشوّشة، نظرت إلى ساعتها لترى أنها أصبحت الثالثة إلا ربع، وضعت ظهر يدها على جبهتها، فكانت ساخنة. تلمّست حقيبتها بجانبها، وقاومت الرغبة الملحّة في تفقد محتوياتها.

خرجت من الحديقة إلى الشارع الرابع والثمانين، ووقفت عندما رأت حشدًا من الناس يتجمّعون خارج قصر كبير على الطرف المقابل من الشارع، كان الحشد

من النساء، ومعظمهن من ذوات بشرة داكنة. كانت إحداهنّ ترتدي زي خادمة رمادي تحت سترتها وبدت كأنّها شخصية في مسرحية ما، ووقفت النساء البيض بينهن يتحدّثن مع بعضهنّ أو تتفقدن هواتفهنّ النقالة.

فُتح باب القصر المزدوج، واندفع رهط من الفتيات اللواتي يرتدين تنانير حمراء ذات طيّات كأنّه نزيف أنفي. قرأت فلورينس اللوحة الذهبية المعلّقة فوق الباب: مدرسة هارويك. إنّها المدرسة التي ترتادها ابنتي سايمون، قرأت ذلك في صفحة زوجته على موقع مجلة فانيتي فير. أعادت فلورينس النظر إلى حشد الأمهات المنتظرات باهتمام أكبر. لم تكن أي منهن إنغريد، ومع ذلك بقيت هناك لتراقبهنّ، وهي تجلس مرتاحةً على طرف حجر خرج من الجدار المحيط بالحديقة.

اقتيد معظم الأطفال لينتظروا الحافلات، لم تكن حافلاتهم كالحافلات المدرسية الصفراء التي ركبتها فلورينس في فلوريدا بل كانت من النوع الذي يحوي كراسي مخملية منجدة وحمامًا في الخلف. لم تكن حافلات تشبه المدرّسة البدينة التي تلفّ صفارة حول عنقها، بل كانت عربات فخمة، صرخت المسؤولة: "ستغادر العربة الأولى في غضون خمس دقائق يا فتيات! فلنذهب! هيّا!" تساءلت فلورينس أين هما ابنتا سايمون ضمن هذا الحشد الهائج الصائح.

لم تقف فلورينس، وتبدأ رحلتها عائدةً إلى محطّة قطار الأنفاق حتّى غادرت جميع العربات، وذهبت جميع المربيات والأمهات، واستعادت المدرسة جميع معلّماتها. ولكن قبل أن تعبر الشارع، مرّت أمامها سيارة أجرة صفراء من جادة إيست إيند، فرفعت فلورينس يدها لتوقفها بشكل مندفع. المرة الأخيرة التي استقلّت فيها سيارة أجرة في نيويورك كانت في موعد قبل عدة أشهر، ولكنّها تشعر بالدوار وبالضّعف. وكلما اشتعل جسدها من الحمى قلّ شعورها بأنّها تشبه نفسها، قلّ شعورها بأنّ تصرّفاتها لها أهمية، استمتعت بهذا الشعور.

أمضت باقي اليوم في مشاهدة أفلام إنغريد تورن مستخدمة حساب نيتفليكس الخاص ببريانا، فتوقّفت الشاشة خلال واحد منها عند لقطة قريبة لوجه إنغريد،

كشف فمها عن ابتسامة توحي بالسعادة. ابتسمت فلورينس أيضًا، هي وإنغريد مرتبطتان، حتّى لو لم تعرف إنغريد ذلك، هذا أقرب ما ستصل إليه من العظمة.

8

صاحت أغاثا: "فلورينس!".

نظرت فلورينس من فوق السلطة المبتلّة كثيرة الزينة التي كانت تحاول إجبار نفسها على أكلها، تعافت بما يكفي لأن تعود إلى العمل، ولكنّها لم تستعد قابليّتها للأكل تمامًا، تزحلقت عن كرسيها واندفعت نحو باب مكتب أغاثا.

"نعم؟".

سألت أغاثا بشكّ: "هل أنت متأكّدة من أنّ هذا الطبق فيه حمص إضافي؟" وأشارت بشوكتها إلى صحنها، كانت فلورينس قد جلبت الصحنين من متجر سويتغاردن في أسفل البناء.

"نعم". لقد نسيت في الواقع أن تطلب حمصًا إضافيًا.

قالت أغاثا: "كلارا ليست سعيدة بشأن هذا، كلارا تحتاج إلى الحمص، ستجبر كلارا أمّها على صنع الحمص عندما تعود إلى المنزل".

أومأت فلورينس إليها برأسها وابتسمت، وبعد أن بدا لها أنّ أغاثا تنتظر منها المزيد، سألت: "أعتذر عن سؤالي، ولكن من هي كلارا؟".

"أوه، هل نسيت إخبارك؟ استقررت وجوش على اسم أخيرًا! هل أحببته؟".

"كلارا؟ نعم، إنّه جميل".

ابتسمت أغاثا.

أضافت فلورينس: "أظنّ أنّه اسم والدة هتلر".

تجمّدت أغاثا، وقطعة من الخس ترتعش على شوكتها البلاستيكية، قالت: "ماذا؟"

حاولت فلورينس التراجع: "حسنًا، في الواقع، أظنّ أنّها كتبته بحرف الهاء في آخره لأنّها كانت ألمانية".

ظلّت أغاثا تحدّق إليها صامتة ومحتارة.

"هل ستكتبينه بحرف الهاء في آخره؟ لأنّني سأحب ذلك أيضًا".

هزّت أغاثا رأسها ببطء: "لا، سنكتبه بحرف الألف في آخره".

صمتت فلورينس للحظة ثمّ قالت: "أجل، الوِحام شيء غريب جدًا، قالت لي أمي إنّها لم تستطع تناول ما يكفيها من شرائح السمك عندما كانت حاملًا بي".

بدأت أغاثا تهزّ رأسها ببطء: "نعم". هذا موضوع يشعرها بالحماسة التحدّث عنه. "أجل، حسنًا، يقولون إن تناول السمك يجعل طفلك أكثر ذكاءً، تناول سمك السلمون بالتحديد، ما دمت تراقبين مستوى الزئبق في جسدك، من الواضح أنّها كانت تتوق إلى تناوله لهذا السبب، الطبيعة الأم تعرف ما تفعله".

قالت فلورينس ضاحكة: "أو أنّها كانت تحبّ ماكدونالدز".

"ماكدونالدز؟"

"ألا تعرفين شرائح السمك عند ماكدونالدز؟"

"اعتقدت أنّك كنت تتحدّثين عن شرائح السمك العادية، لم أذهب في حياتي كلّها إلى ماكدونالدز".

قالت فلورنس: "بالله عليك! بل ذهبت".

هزّت أغاثا رأسها ببراءة نافيةً ذلك.

"لابدّ أنّك ذهبتِ إلى ماكدونالدز، الجميع يذهبون إلى هذه المطاعم".

"أنا لا أفعل هذا، هل تعلمين مقدار الهرمونات الموجودة في اللحوم التي يستخدمونها؟".

تزحلقت فلورينس عن كرسيها عائدةً إلى مكتبها فجأة.

راهنت فلورينس رهانًا حاسمًا على أنّ كلّ شخص في أميركا قد أكل في ماكدونالدز من قبل، فكيف يمكن لأغاثا أن تزدري شيئًا يتوق إليه ملايين الأشخاص كل يوم من دون أن تجربه؟ وفي الوقت نفسه، ها هي ترفض أن تُعطى إبرة تخدير فوق الجافية لأنّ حفنة من الأولاد الأفارقة يجلدون أنفسهم بالعصيّ؟

لم يخطر على بال فلورينس قبل حفلة العطلة أبدًا أنّها قد تكون في موقع يسمح لها بإلقاء الأحكام على أغاثا. كانت فلورينس أصغر سنًا، وأقل خبرةً، وتجني مالًا أقل، لم تكن متزوجة، وليس لديها أطفال، وتفتقر تقريبًا إلى كل شيء تقدّره أغاثا. ولكنّ الطريقة الرافضة التي قال فيها سايمون اسمها في الحانة آغاثا هال سحبت الستار عن حقيقتها، كشفت شيئًا سخيفًا فيها. كان هذا المنظور الجديد مربكًا، إذا لم تنظر فلورينس إلى أغاثا على أنّها مثلها الأعلى، فما الذي تفعله هنا؟ لماذا تعمل هنا؟ هل هذا يساعدها حقًا لتصبح كاتبة؟

قالت أماندا ذات مرة: "تعيسة هي الأرض التي تحتاج أبطالًا". ولكنّ الأرض التي يكون بطلها الوحيد هو أغاثا هال تعيسة أيضًا.

* * *

اليوم غادرت أغاثا في الخامسة، ولكنّ فلورينس بقيت لتنهي تقريرًا حول مسوّدة أعطيت لها قبل عدّة أيام. كان عليها أن تجبر نفسها على تقليب صفحات نصفها الثاني، لا أحد يرغب في قراءة مذكّرات كتبتها فتاة مفطورة الفؤاد في الثانية والعشرين من عمرها. في الساعة السابعة والنصف، رنّ هاتف مكتب فلورينس بينما كانت ترسل بريدًا إلكترونيًا بملاحظاتها. إنه سايمون، واستطاعت أن تعرف أنّه مخمور بسبب حماسته التي يحاول كتمها عبثًا.

"فلورينس! أنت هنا! لماذا أنت في العمل في هذه الساعة المتأخّرة؟".

"أنا أعمل".

"ولكنّ هذا سخيف، لا ينبغي أن تكدحي في العمل في هذه الساعة، تعالي وقابليني، من الواضح أنّني أحتاج إلى أن أتحدّث إليك لأقنعك بهذا".

"هل تريدني أن أقابلك الآن؟".

"أتمنى لو قابلتني قبل خمس دقائق، قبل يوم، قبل دهر. تعالي إلى فندق بويري بأسرع ما يمكن لقدميك الرائعتين أن تجلباكِ".

قرصت فلورنس شفتيها بأصابعها لتسحق ابتسامة: "اعتقدت أنّك تحترمني أكثر من أن تضعني في هذا الموقع".

"لا يبدو هذا كلامي، لا، لا أكنّ لك أدنى احترام في الحقيقة، صوني لسانك، هذا افتراء كامل، أنت وإيدي آمين على لائحتي، تعالي الآن وسأريك كمّ هو ضئيل الاحترام الذي أكنّه لك".

"هل أنت جادّ بالفعل؟ الآن؟".

"أنا جادّ، سأقابلك في الفندق بعد ثلاثين دقيقة، سأحجز الغرفة تحت اسم مود ديكسن، ما رأيك بهذا؟ ألا يسهل عليك تذكّره؟".

بعد أن أنهت المكالمة وضعت فلورينس يدها على وجهها، كانت حرارتها مرتفعة، حملت معطفها وحقيبتها، وأسرعت في الخروج من المكتب، على أمل أن يسألها أحدهم إن كان لديها مخطّطات لتفعلها هذه الليلة. لو أخبرت لوسي بشأن مقابلتها الأولى مع سايمون كانت لتستمتع بإخبارها عن المقابلة الثانية، ولكنّها أبقت ذلك سرًّا، لأنّها عرفت مقدار اللوم والاستياء اللذين ستحاول لوسي إخفاءهما عنها وستفشل في ذلك.

أشارت فلورينس إلى سيارة أجرى، وسبقت سايمون إلى الفندق. كان هناك حجز باسم ديكسن كما وعدها، فجلست على كرسي بجانب النافذة في الغرفة، وحاولت أن تبدو طبيعية. هل يجب عليها أن تخلع ملابسها؟ لا، هذا غبيّ جدًّا، وضعت ساقًا على أخرى، ثم أنزلتها، وتمنّت لو أنّها ارتدت ملابس داخلية أجمل.

مضت ساعة ولم يصل. أخيرًا، وعندما أشارت الساعة إلى العاشرة توجّهت إلى السرير، وضبطت منبّه هاتفها على الساعة السادسة، إذ سيتوجّب عليها ركوب القطار لتعود إلى المنزل لتبدّل ملابسها قبل العودة إلى المكتب.

أيقظها رنين هاتف الغرفة بعد عدّة ساعات.

همس سايمون إليها من الطرف الآخر من الخطّ: "أنا آسف يا فلورينس".

سألت هامسةً بلا سبب مقنع: "ماذا حدث؟".

"أصيب والد زوجتي بجلطة قلبية، ولم أكن أعرف رقم هاتفك الخلويّ".

"هل هو بخير؟".

"من؟ بيل؟ لا، لقد توفّي".

"يا إلهي".

"نعم".

"هل يمكنك القدوم الآن؟".

"لا، يجب أن أبقى، اسمعي، هذا جنوني! جنوني بالكامل! أنا آسف جدًّا، لم يكن عليّ أن أجرّك إلى هذا".

"لا بأس في هذا".

"بل على العكس، ولكن شكرًا لقولك هذا".

صمتا.

أخيرًا قال سايمون: "يجب أن أذهب".

"حسنًا".

بعد انتهاء المكالمة شعرت على الفور بأنّها غبية. لماذا سألته إن كان بإمكانه القدوم؟ بدت محتاجةً إليه، بدت كأمّها.

استلقت فلورينس على ظهرها، ونظرت إلى السقف، فكرت في الطريقة الطبيعية التي قال فيها "من؟ بيل؟" يحظى سايمون بالكثير من الأشخاص في حياته، حياته ممتلئة كلّها، ومع ذلك، من الواضح أنّه لم يعتقد أنّها ممتلئة كفايةً لأنّه أرادها

أيضًا، أرادها في حياته لفترة ما، مهما كانت هذه الفترة وجيزة.

يا له من شره، يا له من رجل شره لعين، لديها نصف ما لديه، ربعه، بل عشرة بالمئة مما لديه فقط. تقلّبت بحزن. ليس لديها أحد، لا شريك، لا أب، لا بيل.

انتقلت إلى نيويورك، وقلبها مفعم بالأمل، ظنّت أنّها ستكون محاطة بأناس مبدعين، مثيرين للاهتمام في غرف جميلة، وأنّها ستضحك بسبب حسّ الفكاهة البديهية لديهم، وها هي وحيدة عوضًا عن ذلك، وغالبًا ما تكون منفصلة عن كل شيء.

الأسوأ من كل هذا أنّها لا تكتب حتّى، كانت الكتابة ممرّها إلى تلك الحياة الأخرى، وقد خسرت قدرتها على الوصول إليها. فجأةً، شعرت أنّها متأخّرة عن ركب عالمها، وفي كل يوم تتأخّر أكثر وأكثر. كما شعرت أنّ الناس الآخرين يعيشون حياتها، تلك الحياة التي كانت مقدّرةً لها، لقد أخذوها منها، وربّما حصل خطأ رهيب.

كانت حمقاء، كيف اعتقدت أنّ مجرّد الانتقال قد يغيّرها إلى نوع الأشخاص الذين يضحكون في الغرف الجميلة؟ الطريقة الوحيدة التي ستوصلها حقًّا من النقطة أ إلى النقطة ب هي أن تصبح شخصًا مختلفًا تمامًا.

* * *

استيقظت، وهي تشعر بدفق من الحماسة، لم يكن مختلفًا عن شعورها في المرة الأخيرة التي استيقظت فيها وحيدة في فندق بويري، مرّت لحظة قبل أن تفهم هذا الشعور.

كان شعورًا بالارتباط.

في المرّة الأولى التي استفاقت فيها هناك شعرت برباط بينها وبين سايمون.

الأمر أفضل هذه المرّة، فقد شعرت برباط بينها وبين إنغريد.

كم شخص سيعرف أن والد إنغريد ثورن قد توفّي الليلة الماضية؟ من المؤكّد أنّه لن يعرف ذلك سوى العائلة، وربّما بعض الأصدقاء المقرّبين، أشعرتها معرفتها بهذه المعلومة أنها مميّزة، وكأنّها جزء من العائلة.

لم تكلّف نفسها عناء العودة إلى المنزل وتغيير ملابسها، بل ذهبت إلى العمل مرتديةً الملابس نفسها التي ارتدتها في اليوم السابق، وشكّت في أنّ أحدًا سيلاحظ.

تحقّقت من حساب إنغريد على الإنستغرام عندما كانت في قطار الأنفاق، فأظهرت آخر صورة مزهرية صفراء فيها أزهار نرجس ومكتوب تحتها: "ثوروا، ثوروا ضدّ موت الضياء". فكّرت فلورينس أنّ بيل لم يثر ضد الموت إلى هذه الدرجة، الموت بسبب السكتة القلبية سريع، ولكنّها قدّرت شعورها. كان على المنشور أكثر من ثمانمئة تعليق وأربعة آلاف إعجاب، فضغطت زرّ الإعجاب على الفور، ثمّ فزعت وتراجعت عنه.

كانت ستحبّ تقديم تعازيها لإنغريد في وقت حاجتها، إذ إنّ خسارة الأب هي المجال الذي لديها خبرة فيه أكثر مما لدى إنغريد. بالطبع هناك فرق جوهريّ بين الخسارة والفقدان. فعندما يموت والدك تخنقك المواساة، ولكن إن كنت لم تحظَ بأب من الأساس، فلن تحصل على أي مواساة.

والأسوأ من هذا أنّك تبدو حقيرًا بطريقة ما، وكأنّك لم تستحقّ واحدًا. لم تستطع فلورينس أن تتخيّل وجود ثمانمئة شخص يخبرونها كم هم يتألّمون من أجلها.

كل ما عرفته فلورينس عن والدها كان اسمه الأول الذي أبلغتها به أمها في عيد الشكر، بعد أن شربت ثلاثة أرباع زجاجة من شراب شيراز. أملت أنّ يكون اسمًا مهيبًا مثل جوناثان أو روبرت، ولكن لا، كان اسمه دِريك، اسم لا هيبة له كبيوت المخالفات المتهالكة. ما الذي يفعله حرف الدال هناك حتّى؟ يبدو عاريًا بلا ياء بعده ومبهرجًا بالكسرة. لا كان بيل اسمًا أفضل للأب.

تخيّلت فلورينس أن إنغريد هي واحدة من تلك النساء اللواتي يزيد الحزن من جمالهنّ، ترتقي العيون السوداء وشحوب المرض بهنّ إلى مستوى يفوق الجمال الطبيعي، شعرت فلورينس مجدّدًا بالرغبة الشديدة في رؤية إنغريد. فكّرت أنّ الألم يسحب منا اختلافاتنا، كلّنا نتأثّر بالموت.

طرأ على بالها فكرة، ربما إنغريد ستأخذ الفتاتين من المدرسة بنفسها، أليستا هشّتين أكثر من أن تقدرا على ركوب الحافلة؟ أقصد على ركوب العربة؟

عندما وصلت أغاثا إلى العمل قالت فلورينس: "نسيت أن أخبرك أنّ الطبيب غولدسميث يريد رؤيتي للمتابعة هذه الظهيرة، هل من مشكلة في ذلك؟".

أومأت أغاثا إليها برأسها وهي مشتّتة التركيز: "لا مشكلة".

كانت فلورينس في مدرسة هارويك عند الساعة الثالثة وعشر دقائق، جلست على المقعد نفسه في الطرف الآخر من الشارع حيث جلست الأسبوع الماضي، وأخرجت كتابًا من محفظتها، كتاب ذا درايفر سيت للكاتب موريل سبارك. عندما فتحت أبواب المدرسة، أخرجت هاتفها، وتأمّلت صورة سحبتها من الإنترنت لابنتي سايمون. التُقطت الصورة في حفل جمع التبرّعات من أجل كلاب الملاجئ الصيف الماضي في نورث فورك. احتضنت فيها الابنة الصغرى تاباثا كلب شيواوا نحيل وخائف بينما رفعت الابنة الكبرى كولي علامة السلام، وابتسم سايمون وإنغريد خلفهما بسكينة وهما يتعانقان، فكبّرت فلورينس صورة كلّ وجه على حدة الواحد تلو الآخر.

نظرت فلورنس إلى الأعلى، وتفحّصت حشد الطلاب الكبير في الخارج، حيث تحاول أستاذة شابة أن تدلّ الطلاب على الحافلات المنتظرة لركوبها، لكنّ نصائحها لم يكن لها تأثير على العصابة المتوحّشة. وجدت فلورينس كولي بين مجموعة من الفتيات متحلّقة حول هاتف آيفون. خمّنت أنّهنّ في الصف السابع أو الثامن، لم تتمكّن فلورينس من سماع ما يقلْنه، ولكنّها عرفت أنّ كولي تتحدّث بصوت عالٍ وبشكل رسمي. كانت تومئ وكأنّها ممثلة على المسرح، ولكنّها كانت

أكثر بداناً مما تتخيّل أن تكون عليه ابنة إنغريد. استخدمت فلورينس كاميرا هاتفها لتقرّب المشهد ثمّ التقطت صورة لأنّ الهاتف في يدها فحسب، فبدت الصورة التي التقطتها لكولي وهي تقهقه وفمها مفتوح بشعة. فكّرت فلورينس أنه من غير المفهوم أن تكون سعيدة جدًا بعد وفاة جدّها مؤخّرًا، وتساءلت عما ستقوله إنغريد لو رأتها.

لكنّ إنغريد لم تظهر، وركبت الفتاتان الحافلة رقم واحد كما فعلتا الأسبوع الماضي تمامًا.

مكتبة
t.me/t_pdf

9

مضى شهر كانون الثاني على شكل سلسلة من الأيام المشمسة الرطبة، وكأنّه يكفّر عن مرارة برودة شهر كانون الأول، وكانت فلورينس شاكرةً لهذا التحسّن في الجو، فقد قضت العديد من فترات الظهيرة خلال الأسبوع على مقعد أمام مدرسة هارويك، في الحقيقة، اعتبرت تحسّن الطقس بركة، تذهب إلى هناك خلال استراحة الغداء في أيام الجمعة عندما يكون الانصراف في الساعة الواحدة والربع. أما في الأيام الأخرى، فاخترعت مواعيدًا لتفسير غيابها عن العمل، وإن حُشرت في الزاوية، وسُئلت عن هذا ولم تكن قادرة على توضيح سبب هذه الرحلات إلى هذه المنطقة من المدينة، كل ما عرفته هو أنّ شيئًا ظلّ يجذبها إلى هنا، ولكن لم يسألها أحد.

عندما جلست هناك شعرت أنّها جزء من تلك الحياة، أبسط ما يقال عن هذه الحياة أنّها أفضل من حياتها من كل النواحي. لاحظت أحذية رقص الباليه التي يبلغ سعرها 200 دولار في أقدام لم تتوقّف عن النمو بعد وطريقة تجوّل الأساتذة بين الحشد وهم يمزحون مع الطلاب. فلم تكن فلورينس تمزح مع أساتذتها أبدًا، حتّى إنها لم ترهم يمزحون مع بعضهم. بُصق على أستاذتها في الصف السابع في وجهها، لم تصرخ في وجه الولد حينها حتّى، خرجت من الغرفة وحسب، ولم تعد خلال باقي الفصل.

بدت المنطقة حول مدرسة هارويك كاملةً خالية من كل شيء بشع وسوقي في العالم. دائمًا ما غادرت فلورينس شاعرةً بأنها طهّرت روحها، واستمدّت الطاقة، وكأنّها قد تنشّقت الأوكسجين من الجوّ الصافي.

ولكن الحقيقة، هذا إن اعترفت بالحقيقة، حتّى ولو بينها وبين نفسها فقط، كانت أنّها لم تنجذب إلى هناك إلا لترى إنغريد التي حلّت محلّ زوجها وأصبحت الشخصية التي تسحر فلورينس. لم تعد مثبتة ياقات قمصان سايمون تعني شيئًا لها بعد الآن، أصبح رجلًا عاديًا بنقاط ضعفٍ عادية، هذا كل شيء. من ناحية أخرى بدت إنغريد استثنائية بصلابة، كانت فنّانة حقيقية، يرتعش جفنها على الشاشة، وتسكب دمعةً فيشعر أحد ما على بعد أميال بعد سنوات بشعور ما. تتغيّر مشاعر شخص ما في أعماقه بسبب إنغريد، هذا ما أرادت فلورينس فعله، أرادت القوّة لعرض واقع جديد أمام شخص غريب. كان سايمون ريد وأغاثا هال تافهين أمام إنغريد، كانا لعبتين من ورق.

أمضت فلورينس الأسابيع القليلة الماضية في مشاهدة كل أفلام إنغريد ثورن التي أمكنها إيجادها، وفي النظر إلى صورها عبر الإنترنت. تاقت إلى رؤيتها شخصيًا، حتى إنها أرادت أن تلمسها، أرادت أن تقنع نفسها بأنّ هذه المرأة حقيقية، بأنّ هذه المرأة من لحم ودم مثلها، وأنّهما من الفصيلة نفسها، لا يوجد اختلاف بينهما.

ثمّ حصدت ثمار حضورها الدائم في أحد أوائل أيام شهر شباط.

ركضت كولي وتاباثا بسرور نحو اليدين الممدودتين لامرأة راكعة بدلًا من ركوب إحدى الحافلات المنتظرة كما تفعلان في العادة. شهقت فلورينس، ها هي إنغريد ثورن، كانت ترتدي بنطالًا ضيقًا أسود وكنزة بيضاء لها طيّات معقّدة، وكان شعرها قصيرًا ولا شكّ في أنّه مقصوص لدى مصفّف شعر نسائي يتقاضى كثيرًا من المال. على وجهها تجاعيد أكثر مما يظهر على الشاشة.

مشى الثلاثي نحو الغرب، إنغريد في المنتصف، أمسكت تاباثا يد أمها ولوّحتها جيئةً وذهابًا بتهليل عنيف. تبعتهم فلورينس عن بعد نصف حي ومن الرصيف الآخر. كان عليها أن تعدو لتركب حافلة الشارع 86 التي تنطلق من جادة يورك عندما ركبتها إنغريد والفتاتان، وكانت تتنفّس بصعوبة لحظة ركوبها الحافلة، فاستدار بعض الأشخاص ونظروا إليها، ولكنّ إنغريد لم تفعل.

نزلت العائلة في شارع ليكسينغتن، ومشت إلى الشارع السابع والثمانين، ثمّ التفّت إلى الشرق واختفت في عيادة طبيب موجودة في الجزء الشمالي من الشارع، فأجبرت فلورينس نفسها على الانتظار دقيقة كاملة، ثمّ همّت بالدخول. كنّ يجلسن على كنبة معًا بينما تسرد تاباثا بلا توقف قصّة معقّدة عن درس الرياضة.

سألتها امرأة: "هل أستطيع مساعدتك؟". كانت في الأربعينيات من عمرها شقراء ابتسمت منتظرة من خلف مكتب الاستقبال، فحدّقت فلورينس إلى الكتيبات الموجودة أمامها، كانت في عيادة طبيب أسنان.

قالت: "حسنًا، لدي موعد مع الطبيب كارلسون". الطبيب كارلسون هو اسم طبيبها عندما كانت في مرحلة المراهقة وهو والد أقرب صديقاتها.

قالت موظّفة الاستقبال: "أعتذر منك، ليس لدينا طبيب بهذا الاسم".

"حقًا؟ حسنًا، هل تمانعين إن جلست لمدة ثوانٍ لأتحقّق من بريدي الإلكتروني؟ لديّ المعلومات، الموعد في مكان ما على هاتفي".

ابتسمت موظّفة الاستقبال، وهزّت رأسها موافقة.

جلست فلورينس مقابل إنغريد والفتاتين، كُنّ قد صمتن قليلًا لمراقبة محادثة فلورينس مع الموظّفة ولكنّ تاباثا عاودت التحدّث مجدّدًا.

تظاهرت فلورينس بانّها تستخدم هاتفها، واستمعت إليهن.

"تابعت لاسي الجري، ولكنّني توقّفت وساعدتها، أقصد سيليا، وقالت السيّدة كروس بعدها أنّ تصرّفي كان صحيحًا، وأنه كان على لاسي أن تتوقّف، فغضبت لاسي كثيرًا وأرسلتها السيدة كروس إلى خارج الصف".

قالت إنغريد لتاباثا: "للأسف! ولكن أحسنت، كان تصرّفك صحيحًا". ثمّ رنّ هاتفها فقالت: "انتظري يا إوزتي، يجب أن أجيب على هذه المكالمة".

مسحت بإصبعها على الشاشة وقالت: "مرحبا ديفيد". استطاعت فلورينس سماع صوت ديفيد الضعيف عبر الهاتف. ثم قاطعته إنغريد: "هذا سخيف، لن أفعل ذلك، لا، لا، حسنًا، فلنجرّب الحصول على شخص آخر، هل هي تلك التي قدّمت

برنامجًا عن الجرائم؟ أجل، هذه فكرة جيّدة، حسنًا، اتّصل بي لاحقًا".

أنهت إنغريد المكالمة، وتنهّدت، ثم نظرت إلى فلورينس وتجهّمت قائلةً: "آسفة على حدّة لهجتي في أثناء تحدّثي عبر الهاتف".

ابتسمت فلورينس: "لا بأس، لديك عائلة لطيفة".

أجابت إنغريد بابتسامة فخورة: "شكرًا لك". نظرت إلى ابنتيها واحدة تلو الأخرى. أجبرت فلورينس نفسها بعدها على أن تنهض عن كنبتها، وتغادر دفء غرفة الانتظار.

شعرت فلورينس في الخارج بإغراء انتظارهنّ لتخرجن حتّى تتمكن من اللحاق بهنّ إلى المنزل لترى أين يسكنّ. ولكنّها لم ترد أن تعتقد إنغريد أنّها تلاحقها. أضف إلى ذلك أن عليها العودة إلى العمل، فقد أخبرت أغاثا بأنّه لديها جلسة لحشو ضرس اليوم، وزعمت في الأسبوع الماضي أنّ لديها موعدًا لفحص أسنانها، ولكنّ أغاثا لم تستقبل الأخبار بسكينة كما فعلت في السابق، كان لدى أغاثا نزعة نحو العدوانية السلبية التي لم تفهمها فلورينس، كانت في موقع القوّة بالفعل، لماذا لم تستخدم سلطتها لتطلب ما تريده؟ بدلًا عن ذلك، أسقطت مسوّدة على مكتب فلورينس مصدرةً صوتًا مدوّيًا قبل أن تغادر لتلحق بموعدها إلى طبيبها النسائي، وطلبت من فلورينس أن تقدّم أفكارها بشأن هذه المسوّدة في صباح الغد مضيفةً: "إذا أمكنك أن تجدي الوقت".

عرفت فلورينس أنّ هذا الأداء ينبغي أن يولّد فيها شعورًا بالندم أو على الأقل القلق، ولكنّها لم تشعر بأيٍّ من الشعورين، بدلًا من ذلك شعرت أنّها مضطهدة من قبل توقّعات أغاثا المبتذلة، حيث تقول لها أرسلي بريدًا إلكترونيًا بكذا وكذا أو اتّصلي بالشخص الفلاني، وكأنّها مساعدة متدنية المستوى، أرادت أن تأخذ هذه التوقّعات وتطويها وكأنّها إصبع السبابة حتّى تنكسر.

لم يكن هذا هو العمل أو الحياة اللذين سعت خلفهما، وهذا بالطبع ما أخبرتها به فيرا طيلة سنوات.

ظنّت فلورينس أنّ فيرا ستُسرّ بعد أن وجدت عملًا في دار فوريستير، فقد كانت تخبرها بأن تجد مهنةً حقيقية لسنتين. لكنّها سألت بدلًا عن ذلك بصوت صفير عالٍ: "مساعدة؟ مثل السكرتيرة؟" حاولت فلورينس أن تشرح أنّ هذه هي طريقة سير العمل وأنّ الجميع في الوسط الأدبي بدأوا بصفتهم مساعدين للمحرّرين، الأمر يشبه أن تكون متدرّبة أكثر من أن تكون سكرتيرة، ولكن ذلك كان عديم الجدوى بمجرد أن عرفت أمّها أنّها ستجني مالًا أقل مما تجنيه هي.

وهكذا استمرّ التوتر بين الأم وابنتها بالتصاعد مع كل محادثة، شعرت فلورينس وكأنّها تُجري عملية احتيال، طالبت فيرا باستعادة سريعة لاستثمارها ودفعت لها فلورينس أقساطًا صغيرةً من الحنان والاعتذارات أقصى ما أمكنها، مماطلةً حتّى تستطيع تسوّل رأس المال الذي تدين لها به.

ولكن من المرجّح أنّها امتصت من صبر أمّها أكثر مما اعتقدت.

10

بعد أسبوعين، رأت فلورينس إنغريد مجدّدًا، كان ذلك في أواخر شهر شباط، وكانت في المصعد متجهةً إلى عملها، عندما دسّ سايمون يده في فتحة الباب تمامًا قبل أن يُغلق، فتردّد للحظة عندما رآها، وكأنّه تمنّى لو أنّه لم يلحق بالمصعد بعد كل عنائه، ثمّ رأت سبب ذلك. كانت إنغريد معه، ولكنّه تعافى من تردّده وقال: "مرحبًا يا فلورينس، هل كلّ شيء على ما يرام؟".

قالت: "كل شيء بخير، شكرًا لك". وقفت إنغريد مبتسمة كما تفعل المرأة التي تنتظر أن تقدّم إلى شخص غريب.

قال سايمون: "صحيح، هل قابلتِ زوجتي؟ إنغريد ثورن، هذه فلورينس دارو يا إنغريد، إنّها واحدة من أفضل مساعدي التحرير الواعدين عندنا".

قالت إنغريد وهي تصافحها: "سررت بمعرفتك". لا يبدو أنّها قد تعرّفت إليها من عيادة طبيب الأسنان.

"سررت بمقابلتك".

قالت إنغريد: "لدي قميص يشبه قميصك".

قالت فلورينس خجلة: "حقًّا؟". كانت قد اشترته بعد أن رأت قميص إنغريد.

خيّم عليهم صمتٌ محرج، فتنحنح سايمون وقال ردًّا على سؤال لم يسأله أحد: "أجل، حسنًا، إنغريد هنا في الواقع لتقابل صديقتك أماندا لينكولن".

"أماندا؟".

"مرّرت إليها نسخةً من مسوّدة أماندا، وظنّت أنّه من المثير للاهتمام تحويلها إلى فيلم، إنّها تحاول وضع قدمها في عالم الإنتاج".

"مسوّدة أماندا؟".

"ألم تسمعي؟ اشترت للتو دار فوريستير رواية أماندا الأولى".

"هل باعت أماندا روايةً؟". شعرت فلورينس بنفسها تنزلق في غمرة الظلام غير قادرة على إيجاد قوة جذب تبقيها هنا معهم.

قالت إنغريد: "إنّها دمج رائع لتقاليد منطقة أبر إيست سايد". لفظت كلمة تقاليد بالكاف بدلًا من القاف، لفظتها تكاليد فقرّرت فلورينس أن تكفَّ عن لفظها بالقاف.

"إنّها مضحكة بشكل كبير".

لفّ سايمون يده بحنان حول خصر زوجته، ثمّ أزالها بسرعة، حين رنّ جرس المصعد مشيرًا إلى اقترابه من طابق فلورينس، فتحرّكت نحو الباب، وبدت أنها لا تطيق صبرًا للخروج. قالت بجفاء وهي تخرج: "حظًّا موفقًا".

فردّت عليها إنغريد بإشراق: "شكرًا لك!" في الوقت نفسه الذي صرخ فيه سايمون: "استمرّي في عملك الدؤوب!"

دخلت فلورينس مباشرةً إلى حمام ذوي الاحتياجات الخاصة، وأقفلت الباب، وفتحت صنبور المياه الساخنة، وانتظرت حتّى تصبح المياه حارةً، ثمّ وضعت يديها تحتها حتّى احمرّتا. رواية أماندا؟ أي رواية لعينة هذه؟ نظرت إلى المرآة، كانت الدموع تترقرق في مقلتيها.

قالت غاضبةً من انعكاسها: "لا تبكِ". فركت عينيها براحتي يديها الساخنتين، ومسحت الدموع التي جفّت عندما رفعت راحتي يديها، وتمكّنت من رسم ابتسامة على وجهها.

وقالت: "هذا أفضل".

سلكت الطريق الطويل في أثناء عودتها إلى مكتبها، وذلك من أجل أن تتحدّث إلى لوسي، وجدتها منحنية على بعد بوصتين عن شاشة حاسوبها تقلّب صور الجراء المعروضة للتبنّي عبر موقع بيت-فايندر.

قالت فلورينس من خلفها: "يجب أن تفعلي ذلك وحسب". قفزت لوسي من مقعدها، ووضعت يدها على قلبها وقالت: "يا إلهي! لقد أخفتني".

"حقًّا! لماذا لا تتبنّين واحدًا وحسب؟".

نظرت لوسي إلى فلورينس وكأنّها قد اقترحت للتو أن تكفل يتيمًا ما. "لا! لا يمكنني ذلك، أعمل كثيرًا، لن يكون ذلك عادلًا". هزّت فلورينس رأسها، لم تفهم مطلقًا الأشخاص الذين يحرمون أنفسهم من الأشياء التي يريدونها، مشكلتها أنّها دائمًا أرادت أشياءً لا يمكن الوصول إليها.

سألت فلورينس: "هل سمعت بشأن رواية أماندا؟".

أومأت لوسي إليها برأسها.

"لماذا لم تخبريني؟".

قالت لوسي وهي ترفع كتفيها: "ظننت أنّ هذا قد يُزعجك". لم تكن لوسي تسعى لأن تكون كاتبة ولكنّها عرفت أنّ فلورينس تسعى إلى ذلك.

صرخت فلورينس بصوت أعلى مما أرادت: "يزعجني! ولماذا قد يزعجني؟ صدّقيني، هذا ليس نوع الكتاب الذي أتمنّى أن أكتبه". لا تزال لا تعرف عنه شيئًا تقريبًا.

"لا! بالطبع لا! يبدو مبتذلًا".

قالت فلورينس بلهفة: "حقًّا؟ هل قرأته؟".

"لا، ولكنّه مع سام".

"سام المغفل أم سام الأصهب؟"

"الأصهب".

أسرعت فلورينس إلى سام، الذي وعدها بأن يرسل لها المسوّدة عبر البريد الإلكتروني. قال: "ليس فظيعًا في الواقع".

قالت متجهّمة: "هذا ما سمعته".

* * *

ظلّت فلورينس تقرأ المسوّدة كل النهار عبر الحاسوب، وكانت الساعة قد شارفت على العاشرة مساءً عندما انتهت، كانت أغاثا قد غادرت قبل ساعات كما فعل جميع من في الطابق، فأطفأت فلورينس حاسوبها، ولكنّها لم تقم بأي حركة لجمع أغراضها والرحيل.

كان سام محقًا، لم يكن الكتاب فظيعًا، والأسوأ من ذلك أنّه كان جيدًا.

ضغطت فلورينس راحتي يديها على عينيها حتّى أصبحت ترى شرارات ومفرقعات وهمية، هذا ليس منصفًا، ببساطة لم يكن منصفًا، تملك أماندا كل شيء بالفعل، وسيتاح لها أن تصبح كاتبةً الآن؟ هل ستحصل على الشيء الوحيد الذي أرادته فلورينس أكثر من أي شيء آخر؟ وهل سيتاح لها العمل مع إنغريد ثورن؟ تخيّلت إنغريد وأماندا تتناولان وجبات عشاء حميمة، تتحدّثان عن الفن والإلهام، تتحدّثان عن كاتب المسرحيات الألماني بريشت.

بالمقابل ما الذي حصلت عليه فلورينس؟ غرفة صغيرة في شقّة رديئة في أستوريا؟ معلّمة تفضّل الحديث عن قابلتها بدلًا من الحديث عن كُتّاب المسرحيات الألمان؟ وليلة واحدة مع سايمون ريد الذي من المرجّح أنّه تمنّى لو لم تحدث مطلقًا.

مزّقت هذه الفكرة الأخيرة عقل فلورنس، بدا أنّ لا وعيها يقول لها: اهتمّي بنفسك، ليلة واحدة مع سايمون ريد الذي من المرجّح أنّه تمنّى لو لم تحدث مطلقًا، يا إلهي!

علت الابتسامة وجه فلورينس، نظرت حولها في المكتب الفارغ، وضحكت بصوت عالٍ، لماذا لم ترَ هذا من قبل؟

بالطبع، تمنّى سايمون لو أن تلك الليلة لم تحدث! ولكنّها حدثت، يعرف أنّها حدثت، وتعرف هي أنّها حدثت. لماذا لم ترَ مكمن القوة في هذا؟ لماذا سمحت له أن يعتقد أنّ بإمكانه التخلّص منها؟ بل لماذا ظنّت أنّه يمكن التخلّص منها؟ خسر سايمون سلطته عندما وضع يده على رجلها في تلك الحانة الكئيبة.

إن أمكنه نشر رواية أماندا، فسيقدر على نشر كتابها أيضًا، ويمكنها أن تجعله ينشره لها، كل ما عليها فعله هو جمع كلّ القصص التي كتبتها في مجموعة، وستحصل على مسوّدتها. كل شيء في مجال قدراتها، لم يكن النشر عن طريق التهديد أمرًا مثاليًا، ولكن هل من شيء نقيٍ تمام النقاء في هذه الحياة؟ هل سترمي ورقة يانصيب رابحة لمجرّد أنّها تجعّدت في محفظتك؟ يتوجّب على الجميع أن يخطوا الخطوة الأولى بطريقة أو بأخرى، هذه هي طريقتها، بمجرّد أن تنشر كتاباتها، ستدافع هذه الكتابات عن نفسها وستصمد.

أسرعت فلورينس إلى المنزل، بقيت مستيقظة حتّى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل تجري تعديلات بسيطة على القصص التي كتبتها في غينزفيل. أقنعت نفسها بأنّها لم تكن سيئة جدًا في الواقع، جمّعتها في ملف واحد، وأرسلته عبر بريدها الإلكتروني لتتمكّن من أن تطبعها في العمل صباحًا.

* * *

كان اليوم التالي باردًا ومشمسًا، وضعت فلورينس ساقًا على أخرى وهي جالسة في قطار الأنفاق، كانت تطرق بقدمها بسبب الحماسة، استدارت امرأة في أواسط العمر معها عدة أكياس تبضّع كبيرة وقالت بصوت كفحيح الأفعى: "انتبهي إلى قدمك أيتها اللعينة!" استدار عدة أشخاص ليحدّقوا إليهما آملين الحصول على استراحة من رتابة حياتهم. ولكنّ فلورينس ظلّت تبتسم بسكينة، وظلّت تطرق بقدمها على الأرض.

عند الساعة التاسعة والنصف، استقلّت المصعد إلى الطابق العلوي، وهي تعلم أنّ سايمون سيكون في مكتبه ولم يكن قد بدأ جدول اجتماعاته الصباحية. مساعدته إيميلي هي التي حاولت ضمّ فلورينس ولوسي إلى المحادثة في تلك الليلة الأولى في حانة ريد لارك. كانت لطيفة، ولكنّها ركزّت اهتمامها على هيبة مديرها مثل كل المساعدات، ولذلك انزعجت عندما طلبت فلورينس التي تضاهيها رتبةً أن

تراه من دون موعد. ومع ذلك مدّت رأسها من داخل مكتب سايمون، وأخبرت فلورينس عندما عادت أنّه بإمكانها الدخول.

بدا مكتب سايمون كمكتب أي محرّر آخر، أكبر بعض الشيء، ولكنّه فقد مساحته الإضافية بسبب أكوام إضافية من نفس الكتب والمسوّدات التي تتناثر في مكاتب الآخرين، لذلك كان الجوّ العام نفسه.

سألها وهو يرفع يديه وكأنّه ساحر ليس لديه ما يخفيه: "حسنًا يا فلورينس، ما هو الشيء الذي جلبك إلي؟" لاحظت أنّ أسنانه بيضاء ناصعة بشكل باهر.

أخبرته عن قصصها، وناولته الصفحات. قالت: "بما أنّك تأخذ الطلبات من الموظّفين الجدد". وضعها بحرص على المكتب وربّت عليها برفق، بدا مرتاحًا لأنّ هذا هو سبب زيارتها.

قال: "رائع، سأبدأ قراءتها في أثناء العطلة، أنا أتطلع شوقًا إلى ذلك".

وقفت فلورينس أمام مكتبه للحظة غير واثقة مما ستفعله بعدها، ثمّ ابتسما بصمت.

قالت: "حسنًا إذًا"، وخرجت.

* * *

تلك الليلة، لم تستطع فلورينس النوم طاردتها أحلام أنها أصبحت كاتبة ناجحة، فرأت نفسها في شقّة جميلة لها ستائر مسدلة وسجادات قديمة ومزهريات مزخرفة الشكل، وكانت في حفلة وأراد الجميع أن يتحدّثوا إليها. وهي ترتدي الأسود، خداها محمّران تحت ضوء الشموع، وموسيقى الجاز تصدح في الأرجاء، كان الفصل شتاءً، تحب فلورينس فصل الشتاء، وهي في أبعد مكان عن فلوريدا يمكنها الوصول إليه، أحبّت الخروج مرتدية ثلاث أو أربع طبقات من الملابس، أحبت رؤية أنفاسها تعبق أمامها، فالناس في الماضي ظنوا أن هذا المشهد يشير إلى تجلي الروح.

يوم الاثنين، عادت إلى مكتب سايمون، ولكنّ إيميلي أخبرتها أنه في اجتماع، فتشتّت انتباهها عندما عادت إلى مكتبها، ونسيت أن تحجز لغداء عمل يجمع بين أغاثا وأحد مؤلفيها، فتنهّدت أغاثا بغضب.

"هل كنت تجلسين يا فلورينس؟".

"ماذا؟" تجهّمت وأشارت إلى حجرها وأضافت: "ها أنا جالسة الآن".

قالت أغاثا بصبر نافد: "هل كنت تتأمّلين؟ هل قرأت الكتاب الذي أعطيتك إياه؟ يجب أن تجلسي لمدة عشرين دقيقة في اليوم على الأقل، سيحسّن هذا من تركيزك ومن صحّتك".

"حسنًا، آسفة، سأجلس".

"لا تعتذري يا فلورينس، هذا من أجلك وليس من أجلي".

أومأت إليها فلورينس برأسها: "بالطبع".

أخيرًا، وصلها في الساعة الخامسة مساءً بريد إلكتروني من سايمون، تفحّصته فلورينس بسرعة:

إنّها موادّ جيدة.

لديك الموهبة ولكنّ كتابتك تحتاج إلى أن تكون مدعومة بخبرة الحياة.

جدي شيئًا حقيقيًا لتكتبي عنه.

جدي قصّتك.

قرأته فلورينس مجدّدًا، فهي متأكّدةً من أنّها أغفلت شيئًا، ولكنّ هذا كان كلّ شيء، لقد رفض.

11

جلست فلورينس على عتبة نافذتها ودلّت قدميها خارجها، لقد تجاوزت الساعة الثانية بعد منتصف الليل والشوارع في الأسفل هادئة إلا من خط متقطّع من السيارات التي تقطع الجادّة الواحدة والثلاثين.

بدت تلك الليلة التي أسرعت فيها إلى العمل منتظرة عرض سايمون مكسوّةً بغبار السنين. غادرت المكتب بعد حصولها على بريده الإلكتروني، وتعرّضت للنشل في وضح النهار وهي في طريقها إلى المنزل، عندما توقّفت أمام الصراف الآلي بالقرب من شقّتها، فاقترب منها رجلان من الخلف قبل أن تُدخل رقمها السرّي، ورفع أحدهما صحيفةً ليحجب الرؤية عن كاميرا الأمن فوق الشاشة، وثبّت الآخر يدها اليمنى خلف ظهرها بينما كبست يده الأخرى أزارًا لسحب 500 دولار. فكّرت فلورنس بأنّ الآلة لن تعطيهما ذلك المقدار من المال تمامًا بينما كانت الآلة تخرج رزمة سميكة من الدولارات. انتزع المال من الشقّ وركضا بعيدًا حتى نهاية الشارع كطفلين يلعبان فأدركت حينها أنّهما ليسا رجلين، بل فتاتين، مراهقتين.

لم تقل شيئًا خلال المواجهة كلّها، ولا كلمة. في البداية، بدت مرتبكة، ثمّ أصبحت خائفة، ولكنّها لا تشعر الآن إلا بالخجل، لطالما اعتقدت أنّ مرحلة النضوج التي عاشتها، وهي فقيرة وشجاعة، جعلتها أقوى بطريقة ما، وأنّها سنّتها كما تُسن السكين. فهي لا تشبه تلك الفتيات المدلّلات اللواتي تعمل معهنّ، ولكن تبيّن أنّ ذلك ليس صحيحًا على الإطلاق. المعاناة هي المعاناة ولا شيء سوى المعاناة، ولن تجعلك الحياة أقوى. إن أثّرت فيك حقًّا فهذا يعني انها انتقصت

منك. في تلك اللحظة، شعرت أنها صغيرة وضئيلة، على الأغلب انتظرتا شخصًا مثلها، راقبتاها تمشي نحو الصراف الآلي وأشارتا إلى بعضهما: هذه هي المنشودة. دلّ شيء فيها على ضعفها.

بعد أن عادت إلى الشقة شعرت بحاجة إلى الكتابة عن السرقة، ولكنّ رفض سايمون كان حديث العهد، فتسلّقت نافذتها بدلًا من ذلك، وطرقت بكعبيها العاريين على كساء البناء الأجري. تصفّحت الصور على هاتفها، هناك دزينات من صور كولي وهما ترتديان زيهما المدرسي، وبضع صور لإنغريد من ذلك اليوم في عيادة طبيب الأسنان، كبرّت الصورة على وجه إنغريد، فأدركت أنّ التجاعيد حول عينيها ما هي إلى تجاعيد الابتسامة.

لم تكن المرّة الأولى التي تتساءل فيها عن نوع الخطأ في الخوارزمية التي جعلتها تتقدّم على إنغريد؟ حتى وإن كان ذلك لليلة فقط، ما هو الشيء الذي قد تكون فلورينس داور قدّمته لسايمون ولم تتمكّن إنغريد من تقديمه؟ كانت ضعيفةً، وغير موهوبة، ومثيرة للشفقة، كانت على النقيض من إنغريد ثورن تمامًا.

حسنًا، ربما هذه هي نقطة الحسم، ربما أراد سايمون استراحةً، ربما أراد السلطة بدلًا من شريحة اللحم، أرادها لليلة واحدة فقط، لأن فكّيه تعبا من كثرة المضغ.

فكّرت مجدّدًا، يا له من شره.

يمكنها تخيّل حياة سايمون، ينام على أغطية مكوية، يجمع طبعات الكتب الأولى، يعدّ البقشيش الذي سيعطيه للبواب في عيد الميلاد، يمارس الجنس مع إنغريد، يمارس الجنس مع فلورينس، يمارس الجنس مع أي شخص يشتهيه، كانت حياته كما أرادها بالضبط، مريحة كثيرًا، ومنظّمة، وآمنة جدًا.

لم يعتقد تلك الليلة أنّ ممارسة الجنس مع فلورينس قد يغيّر شيئًا في حياته ولو مثقال ذرّة، ولم يحدث ذلك بالفعل، لا يزال يستيقظ على الأغطية المكوية بجانب زوجته اللطيفة، غير مهدّد ولا تشوبه شائبة.

ارتشفت الشراب الموضوع إلى جانبها، وبينما كان ينساب في معدتها، شعرت به يدفّئ أعضائها الداخلية عضوًا عضوًا، كأنّه شخص ما يمشي في بيت قديم ويشعل الأضواء غرفةً غرفة.

فكّرت: لو أستطيع أن ألحق به بعض الأذى، لن أؤذيه بشدة، مجرّد خدش بسيط على عدستي نظرته، تذكير مزعج صغير لا يسمح له بالنظر إلى الحياة على أنّها نقية وآمنة وغير ملطّخة بعد الآن، تذكير يجعله ممتنًّا لما لديه الآن.

من دون مزيد من التفكير، أرسلت إليه رسالة إلكترونية مرفقة بكل صور عائلته التي التقطتها، ابتسمت وهي تكتب موضوع الرسالة الإلكترونية: *إنّها موادّ جيدة.*

12

عندما استيقظت فلورينس صباح اليوم التالي، شعرت ببساطة أن الشخص الذي كانت عليه بالأمس لم يعد له وجود، كما لو أنها ظفر ميت مُجبر على التنازل عن مكانه لصالح ظفر جديد ينمو تحته. كان في مكانه شيء غريب وعارٍ، شيء كان ينمو لأشهر من دون أن تدرك ذلك، حتّى أصبح الضغط ببساطة أعظم من أن يُحتوى.

شعرت بالنشاط والأمل، كما أن مزاجها اتّصف بالصفاء في ظلّ غياب صفاته الاعتيادية: اليأس، والإرهاق، وكره الذات.

لم يجب سايمون على رسالتها الإلكترونية، ولم تكن واهمةً، فقد عرفت أنّه لن يغيّر رأيه بشأن نشر قصصها، بل هناك احتمال بأن يعيد إرسال الصور إلى قسم الموارد البشرية، ولكنّ عندما فكّرت كيف سيبدو وجهه وهو يقرأ الرسالة كانت كافية بالنسبة إليها في الوقت الحالي.

حالما وصلت إلى المكتب عرفت أي الخيارين اختار. أشار الضوء الوامض على هاتفها إلى وجود رسالة صوتية جديدة، كانت من رئيس قسم الموارد البشرية يطلب منها لقاءه في مكتبه حالًا. وبعد ثلاثة أيام أتى ساعي البريد إلى شقّتها، لم تُطرد وحسب بل أصدر سايمون وإنغريد أمر إبعاد بحقّها.

عرفت أنّها يجب أن تشعر بالإحراج أو الخوف، عمليًا لم يكن لديها أي مدّخرات، ولم تكن قد قدّمت طلبات توظيف في أماكن أخرى، ولكن كلّ ما شعرت به هو الراحة والابتهاج. في لحظة تسرّع فتحت نافذة للهروب من الحياة التي كانت تحياها، وبمجرّد أن وقفت خارجها استطاعت أن ترى كم أصبحت تلك الحياة ضيقةً.

عندما قرأت ذا إيمورتال في الجامعة، شعرت بشعور مفاجئ بالتعاطف مع احتقار مايكل للسعادة الدافئة، وازدرائه لاستبدال العظمة بالراحة، ولكنّ الحياة الضيقة الدافئة هي تمامًا ما كانت متوجهة إليه، حياة أغاثا بشكل أساسي. لم تردها، بل أرادت شيئًا أكبر بكثير. فجأةً استعادت بتصرّفها المتهوّر إحدى قناعاتها بأنّ السعادة تنتظرها في مكان ما، وكلّ ما عليها فعله هو مدّ يدها إليها، فشعرت أنّها مغمورة بإحساس العظمة والاحتمالات الواسعة.

أرسلت قصصها المعدّلة حديثًا إلى دزينة من وكالات الأدب، إذا حصلت على وكيل، على شخص يقف إلى جانبها، فستكون واثقة من أنّ الناشرين سيرون موهبتها أخيرًا. استعادت قناعتها بأنّها تمتلك الموهبة، فما هذا الإله القاسي الذي سيعطيها رغبتها الجامحة العميقة في أن تصبح كاتبة من دون أن يعطيها القدرة؟

قابلت محامٍ لتستشيره بشأن المقاضاة بسبب التحرّش الجنسي، ولكنّه اعتقد أنّ هيئة المحلّفين لن تقف إلى جانبها. فقالت، وهي تضحك بخفّة لتوتره الواضح: "لن تفعل ذلك على الأغلب".

لديها 1100 دولارٍ في حسابها البنكي وعليها أن تدفع بدل إيجار شقّتها البالغ 800 دولار قبل نهاية الشهر، ومع ذلك لم تكن قلقة.

كانت سعيدة، لم تستطع أن تصدّق كم كانت سعيدة، شعرت بالحرية، هذه هي المرة الأولى التي لا يكون لديها عمل منذ أن كانت في السادسة عشرة من عمرها. وهي المرة الأولى في حياتها التي تشعر فيها بأنّها حرة وغير مراقبة من قبل أمّها، حتى أنها لم تبلغها أنها طُردت من العمل.

شعرت دفعةً واحدة بأنّها متحالفة مع الكون، آمنت بأنّ الكون سيهتمّ بها، وأن القدر سيتدخّل، وأن العظمة قدرها، وهي قادمة من أجلها.

وهذا ما حصل فعلًا.

بعد أسبوعين من طردها تلقّت رسالةً صوتيةً من غريتا فروست من دار

فروست/ بولن، وهي إحدى أفضل الوكالات في مجال عملها، وطلبت منها أن تعاود الاتّصال بها.

تنفّست فلورينس بعمق قبل أن تصل إلى إخماد أي دليل على اليأس في صوتها، وأجابت غريتا بصوت رتيب مبحوح، وحاولت فلورينس أن تقلّده، وهي تعرّف بهويتها.

قالت غريتا: "رائع، شكرًا لمعاودتك الاتّصال بي، اسمعي، أنا أتواصل معك لأنّ أحد كتّابنا يبحث عن مساعدة وقد ذكر أحدهم اسمك".

كانت فلورينس مرتبكة: "أليس هذا بشأن قصصي؟".

"ماذا؟".

"القصص التي أرسلتها".

"أوه، أجل، كانت جيّدة، إنّها جزء من سبب تواصلنا معك من أجل هذا العمل".

"أي عمل؟".

"قبل أن أخبرك بأي شيء، سأطلب منك أن تُبقي ما أنا على وشك قوله في طيّ الكتمان".

تجهّمت فلورينس: "حسنًا".

"هل تعرفين المؤلّف مود ديكسن؟".

رفعت فلورينس حاجبيها متعجّبة: "هل تمزحين؟".

"لا، أنا لا أمزح".

"أنت تسألينني ما إن كنت أريد أن أكون مساعدة مود ديكسن؟".

"أنا أسألك إن كنت ترغبين في تقديم طلب لملء منصب مساعدة مود ديكسن".

"بالطبع".

قالت غريتا بصوت أظهر أنّها لم تجد أبدًا أيّ شيء رائع في حياتها: "رائع! ولكن قبل أن نتقدّم في هذا، أحتاج إلى أن أعلمك بأمر بعض التحفّظات".

"تحفّظات؟"

"للعمل عدّة شروط فريدة بسبب الظروف غير الاعتيادية، أنا أشير هنا إلى هوية هذا الكاتب المجهولة بالطبع".

"حسنًا..."

"أولًا، إذا حصلت على العمل سيتوجّب عليك أن توقّعي اتفاقية عدم الإفصاح عن اسمه، ولن تُمنعي من كشف الاسم الحقيقي لمود ديكسن وحسب بل ستُمنعين أيضًا من أن تقولي إنّك عملت معها".

"حسنًا".

توقّفت غريتا قليلًا قبل أن تتحدّث مجدّدًا: "أريد أن أتأكّد من أنّك تدركين ما يعنيه هذا يا فلورينس، سيكون لديك فجوة في سيرتك الذاتية لبقية حياتك، ستكونين ممنوعة قانونيًا من تفسيرها".

توقّفت فلورينس قليلًا، الهدف من أن تكون مساعدةً لكاتب هو أن تستخدم صلاته لتعزيز عملها التالي أو أن تنشر كتابًا إن كانت محظوظةً. ومن دون حصولك على ذلك، سيكون من الأفضل لك أن تعمل نادلًا حيث يمكنك الحصول على الإكراميات على الأقل.

ولكنّ رفض فرصة التعلّم من أفضل الروائيين وأكثرهم مبيعًا للكتب، والأهمّ من ذلك رفض احتمال تطوير علاقة مع وكيل أعماله القوي سيتطلّبان أكثر من مجرّد اتفاقية عدم الإفصاح عن الاسم.

"لا بأس، حسنًا، هذا يؤدّي إلى التحفّظ الثاني، إنّها لا تعيش في مانهاتن، لا أستطيع أن أفصح عن مكان سكنها بالتحديد في هذه المرحلة من العملية، ولكنّها عرضت أن تؤمّن إقامةً للمتقدّم الناجح".

"جيّد".

"جيّد؟"

"نعم، جيّد".

عرفت فلورينس أنّ القدر تدخّل ليرسل لها هذا العمل، عرفت ذلك وحسب، عرفت أنّه الخطوة التالية نحو ارتداء عباءة العظمة بنفسها. حتى لو تسنّى لغريتا أن تقول إن تشويه الجسد من متطلّبات العمل، ومع ذلك كانت فلورينس ستسعى وراءه.

"حسنًا إذًا، دعيني أخبرك إلى أين يجب أن ترسلي سيرتك الذاتية، هل معك قلم؟".

أرسلت فلورينس سيرتها الذاتية مرفقة برسالة تفسيرية موجّهة إلى مساعدة غريتا تلك الليلة، وتلقّت في اليوم التالي اتصالًا لتحديد موعد مقابلة فيديو مع مود ديكسن.

13

"مرحبًا؟ هل تسمعينني؟"

قالت فلورينس: "أستطيع أن أسمعك إلا أنّني لا أستطيع أن أراك". كان وجهها مرئيًا بوضوح في صندوق صغير في الزاوية السفلية من شاشتها، ولكنّ الفراغ حيث يجب أن يكون وجه مود كان أسود.

قال الصوت الذي انبعث من الطرف الآخر: "حسنًا، نعم، هذا هو جوهر إخفاء الهويّة، أليس كذلك؟".

احمرّت فلورينس خجلًا وقالت: "هذا صحيح".

"ما هذا الضوء المنبعث من ورائك؟ بالكاد أستطيع رؤية وجهك".

نظرت فلورينس وراءها، كان مصباح مكتبها مضاءً فأطفأته.

قالت مود: "هذا أفضل، يا له من شعر جميل".

مدّت فلورينس يدًا إلى رأسها لتتحقّق من شعرها المجعّد وقالت: "شكرًا".

"أخبريني عن نفسك".

قالت فلورنس كلامًا معسولًا عن موطنها والكتّاب الذين درستهم في الجامعة وكيف انتهى بها الأمر في نيويورك.

سألت مود: "أنت ما عدت تعملين الآن في دار فوريستير؟".

"لا، قرّرت أنّني تعلّمت كل شيء أستطيع تعلّمه هناك".

"حسنًا وماذا بعد؟".

"أنا كاتبة، أو أريد أن أصبح كاتبة".

"ماذا تكتبين؟".

"القصص في الغالب، ولكنّني أودّ كتابة رواية".

"حسنًا، وبعدها؟".

"حسنًا، ربّتني أمي بمفردها، مثلك تمامًا". أدركت فلورينس خطأها فأضافت: "أو مثل الشخصية في كتابك، آسفة، مثل شخصية مود في كتابك".

"حسنًا، وماذا بعد؟".

"لست واثقة، أحببت كتابك، أحبّ صوتك، وسيكون الشرف لي أن أتعلّم منك، وأنّ أساعدك بأيّ طريقة أستطيع القيام بها، هذا واضح".

كانت هناك فترة صمت قصيرة بينهما.

"لا تمانعين الانتقال إلى الضواحي؟".

"أبدًا، لأكون صادقةً معك، لقد تجاوزت نيويورك".

"أتعلمين؟ سمعت ذات مرة طبيبًا نفسيًا يقول إن استخدام المريض عبارةً مثل *لأكون صادقًا* دليل على كذبه".

ضحكت فلورينس محرجةً: "أنا لا أكذب..."

"لا، بالطبع لا، إلا أنّني وبعد التفكير في هذا، أجد أنّ الكاذب سيكون مثاليًا لهذا الدور، إذا أخذنا في الحسبان أنّه لن يستطيع إخبار أحد عن هويّة من يعمل لصالحه".

لم تعرف فلورينس أيّ لعبة تلعبها هيلين، ولكنّها عرفت أنّها لا تجاريها في اللعب، قالت: "أُؤكّد لك أنّني أستطيع الاحتفاظ بالسرّ".

"حسنًا، لقد قدّمتِ لي الكثير لأفكّر فيه، ستتواصل معك غريتا".

قالت: "هل هذا هو كل شيء؟ شكرًا جزيلًا لأنك منحتني هذه الفرصة..." ولكنّ هيلين كانت قد غادرت المحادثة بالفعل.

أغلقت فلورينس حاسوبها المحمول، وهي متأكّدةً من أنّها أفسدت المقابلة.

لكنّ في ظهيرة اليوم التالي اتّصلت بها غريتا لتعرض عليها العمل، فحاولت فلورينس إخفاء دهشتها.

"شكرًا جزيلًا لك، بالطبع أوافق على العمل".

"اقترحت مود موعدًا للبدء، وهو الثامن عشر من شهر آذار، هل يمكنك الالتحاق بالعمل في هذا الوقت؟ أعرف أنّ الموعد قريب جدًا".

"يوم الاثنين القادم؟".

"ستتعلّمين لاحقًا أنّ الصبر ليس من نقاط قوّة مود".

"أستطيع البدء في الثامن عشر من شهر آذار".

حدّدتا موعدًا لتوقيع العقد في وقت لاحق من هذا الأسبوع.

نظرت فلورينس في غرفتها بانبهار بعد أن أنهت المحادثة، هل حدث ذلك فعلًا؟ عرفت أنّه هناك شيء مميز مدفون فيها، شيء لم يلحظه أحد من قبل سوى والدتها، هل رأته مود ديكسن من بين كل الناس؟

تذكّرت شيئًا قالته مود لروبي بعد الجريمة في رواية *رقصة الفوكستروت في ميسيسبي*، قالت: "يولد كل شخص منا مع مقدار من الحياة يتغلغل فيه، ويمكنك أن تعرفي أنّ مقدار الحياة في أحدهم قد نفد، ولم يبق لدى ذلك الرجل ذرّة منه، ولو لم أفعلها كان سيموت بكل الأحوال".

تساءلت فلورينس إن كان هذا ما رأته مود فيها، الحياة، الرغبة في أن تعيش حقًّا، مهما كلّفها الأمر.

رجّ هاتفها في تلك اللحظة، كانت رسالةً من أمها تقول فيها: "أعطيت كيث رقمك اليوم، لديه فكرة رائعة لكتاب".

رجّ الهاتف مجدّدًا بعد لحظة: "كلمتان: صائن التنانين".

تجهّمت فلورينس.

وصلت رسالة ثالثة: "صائد! ليس صائن".

ثم أطفأت فلورينس هاتفها.

القسم الثاني

14

وقفت فلورينس على المنصّة في محطة قطارات هودسن، وراقبت قطارها يشقّ طريقه بقوّة وعنف أكبر مما قدّرته، فارتفعت سحابة من الأوراق وأغلفة الأطعمة في أثناء مروره، ثمّ عادت إلى الاستقرار متنهّدةً، فدسّت فلورينس ذقنها في وشاحها، فالجوّ هنا أبرد من جو المدينة.

رأت وهي تحمي عينيها من وهج شمس أوائل الربيع الساطعة جدارًا من الغيوم الداكنة يرتفع في الأفق، إن المطر قادم. رفعت حقيبتها على كتفها، وترنّحت قليلًا بسبب ثقلها، إذ حتوت كلّ ما تمتلكه باستثناء الأثاث. حاولت بيع بياضاتها ومكتبها عبر موقع كراغ-ليست ولكنّها لم تتمكّن من التخلّص من عبئها إلا بعد أن أنقصت من سعرها إلى النصف.

انضمّت فلورينس إلى موجة المسافرين المغادرين المتوجّهين إلى موقف السيارات حيث وافقت على ملاقاة هيلين.

هيلين! هو اسم مود ديكسن الحقيقيّ، هيلين ويلكوكس، ليست رجلًا، إنّها بحسب ما استشفّت فلورينس امرأة بلا تاريخ علنيّ، ولا وجود لها على الإنترنت، ولا أثر لوجودها أبدًا. هذا ما لم تكن مراهقة رياضية موهوبة من لا-جولا في كاليفورنيا.

قابلت فلورينس قبل أسبوع غريتا فروست في مكتب دار فروست/ بولن الموجود في ناطحة سحاب برّاقة وسط المدينة. وهي امرأةً قويّةً في أواخر الستينيات ذات شعر رماديّ وتضع نظارتين سميكتي الإطار ولها أسلوب لا غبار عليه. راقبت بصمت فلورينس وهي توقع استمارة المعلومات الشخصية، وعقد العمل، واتّفاقية عدم الإفصاح.

سألتها فلورينس عندما وقفت مشيرةً إلى انتهاء الاجتماع: "كم من الأشخاص يعرفون من هي مود ديكسن؟".

أشارت غريتا بإصبع بشع إلى صدرها وقالت: "واحد". ثمّ أدارت إصبعها إلى فلورينس وقالت: "اثنان".

صُدمت فلورينس: "هل كنت الشخص الوحيد الذي عرف من هي طوال هذا الوقت؟".

مكتبة
t.me/t_pdf

"على حدّ علمي".

"كيف يمكن هذا؟".

ابتسمت غريتا ببرود: "أنا ممتازة في كتمان الأسرار".

"ماذا عن رئيسة التحرير التي تعمل معها؟".

"تعاملتا عبر البريد الإلكترونيّ غالبًا، تطلق ديبرا عليها اسم مود". توقّفت غريتا ثمّ أضافت: "سأقول لك الصدق، سأعترف أنّني لا أستطيع فهم سبب قرارها بالسماح لك بمعرفة السر، أنت غريبة تمامًا، حاولت إقناعها بالعدول عن ذلك، تبدو فكرة طائشة".

لم تكن فلورينس واثقة من كيفية الردّ على ذلك: "لن أخبر أحدًا".

"أتمنّى ذلك، فقد وقّعت لتوك وثيقة تمنعك قانونيًا من فعل ذلك".

"صحيح".

بالرغم من برودة غريتا معها، خرجت فلورينس من مكتب دار فروست/ بولن وهي تشعر بدفق من الحماسة. مُنحت نعمة الوصول إلى أكثر النوادي حصريةً في مجال النشر، ثارت معلومتها التي عرفتها حديثًا في قفصها الصدري كأنّها عصفور محبوسٌ. لطالما كانت كتومةً بشكل غير مألوف، درّبتها حماسة أمّها الدائمة على بناء غرف مظلمة داخلها حيث استطاعت أن تكون وحيدةً وحرّة من المراقبة، لكن من النادر أن طُلب منها الاحتفاظ بسرّ شخص آخر. ينطوي كل سرّ في طبيعته على قوّة لتدمير شيء ما، ويمكن لسايمون أن يشهد بذلك.

بحثت فلورينس في موقف السيارات، كانت الشمس من خلفها، وينعكس وهجها على حقل من معدن الكروم باعثًا ألف شعاع يُعمي العيون، وبدت كلّ السيارات معتمة وخالية من الركّاب.

فُتح باب سيارة رانج روفر خضراء حالًا، كان ذلك باب السائق، وخرجت منه امرأة وقد تركت رجلًا واحدةً في الداخل. كانت ذات شعر قصير أشقر وأنف طويل ومقوّس مع بروز نافر لعظمه، فكان أنفًا لن يصفه أي شخص بأنّه لطيف، حتّى ولو كان على وجه طفل صغير. طفا فوقه خطا العبوس بين حاجبيها وكأنّهما علامتا تنصيص، وكانت أصغر وأطول مما توقعت فلورينس.

ارتدت هيلين سترة صوفية سميكة فوق بنطال جينز بالٍ وعلى فمها مسحة غير متوقّعة من أحمر الشفاه اللامع. حمت عينيها من الشمس بإحدى يديها ملقيةً ظلًا على وجهها ولوّحت إلى فلورينس بالأخرى، فلوّحت فلورينس إليها ومشت باتجاه السيارة.

قالت هيلين مادّةً يدًا باردةً طويلة: "مرحبًا يا فلورينس".

ابتسمت فلورينس: "سررت بمقابلتك".

"وأنا أيضًا، اركبي".

أدارت هيلين جسدها في مقعد السائق، وراقبت فلورينس تغلق الباب وتضع حزام الأمان فوق صدرها. وقد ابتسمت بتوتر.

أخيرًا سألتها هيلين: "كم عمرك؟"

"ستّ وعشرون".

"تبدين أصغر". بدت جملتها اتّهامًا.

"كثيرًا ما يقال لي هذا".

"أنت محظوظة". ظلّت هيلين تنظر إليها للحظة قبل أن تغيّر مبدّل السرعة فجأةً إلى وضع الرجوع وتنطلق.

أدارت فلورينس وجهها نحو نافذة مقعدها ولم تقل شيئًا، أربكتها حدّة نظرات هيلين، قادت هيلين على مهل لمدة وجيزة في بلدة خلابة، ثمّ أسرعت

بالسيارة، وأفسحت الأبنية فجأةً المجال أمام طريق سريع ضيّق من مسربين.

قالت هيلين: "سنقود نحو عشر دقائق".

كانت فلورينس قد بحثت عن ذلك مسبقًا، حيث قدّر محرّك غوغل أنّ المسافة ستستغرق منهما ضعف المدّة تقريبًا، ولكنّها فهمت التفاوت عندما رأت سرعة قيادة هيلين.

تابعت هيلين: "كيرو ليست في هيودسن فالي، على الرغم من أنّ وكيل العقارات يحبّ أن يزعم أنّها كذلك، إنّها في كاتسكيل".

لفظت اسم الموقع كيرو ولم تلفظها كايرو كما يُلفظ اسم مدينة القاهرة المصرية باللغة الإنكليزية. كانت فلورينس سعيدة لأنّها لم تقل الاسم أولًا، اختلست نظرة أخرى إلى مقعد السائق، كانت هيلين تدخّن سيجارة وتطرق بإصبعين على عجلة القيادة طرقًا منسجمًا مع أغنية لوسيندا ويليام.

حاولت فلورينس التفكير في شيء لتقوله، ولكنّ عقلها كان فارغًا. بدا أنّ أوّل تعليق لها مهمّ جدًا، فقد يشير إلى شيء حاسم في شخصيتها، وسيحدّد ما إن كانت هيلين ستحترمها أم لا. لم تستطع أن تقرّر النبرة المناسبة أو الموضوع الصحيح، ففكّرت في إخبارها كم يعني لها كتاب رقصة الفوكستروت في ميسيسبي، ولكنّ الكلمات بدت مبتذلة وضحلة عندما فكّرت فيها، ولكنّ هيلين بدت مسرورة بمتابعة القيادة بصمت.

عبرت الغيوم السماء بسرعة، وحجبت الشمس، فشكّلت الأضواء خيمة صفراء فوقهما وبدا الهواء شديدًا وعنيفًا. راقبت فلورينس سربًا من الطيور تحطّ على شجرة وحيدة وكأنها شبكة رميت فوقها، وتناثرت قطرات ريانة من مياه الأمطار على زجاج النافذة الأمامي في أثناء التفاف هيلين على طريق معبّد غير مستوٍ يدعى شارع كريستبيل.

قالت هيلين بينما شغّلت ماسحتي الزجاج: "لن يستمرّ هذا طويلًا، تأتي هذه العواصف الربيعية قويةً، ولكنّها تملّ بسرعة وتنتقل إلى مكان آخر". أضافت وهي

ترمق فلورينس بنظرة خاطفة: "ربما هي بخلاف مساعدات الكتّاب".

قالت فلورينس: "لا أخطّط للانتقال قريبًا، لماذا غادرت مساعدتك الأخيرة فجأةً؟".

قالت هيلين وهي تفتح النافذة لتلقّي نكتتها: "ألم يخبروك؟ أنت أولى مساعداتي، كوني لطيفة".

ضحكت فلورينس، ولكنّ هيلين بقيت صامتة.

"إلى أين أخبرت الناس أنّك ذاهبة إذًا؟"

"ماذا تقصدين؟".

"بما أنّك لم تخبري أحدًا عن العمل، وأنا أثق بأنّك لم تفعلي".

"أوه، لم أخبر أحدًا بأي شيء".

رفعت هيلين حاجبها باستغراب من دون أن تشيح بنظرها عن الطريق: "ألم تخبريهم؟ ماذا عن عائلتك؟".

"حسنًا، لا عائلة لي سوى أمي، وهي تظنّ أنّني لا أزال أعمل في فرويستير".

"ألم تخبريها بأنّك غادرتها؟".

رفعت فلورينس كتفيها، لم تردْ أن تقول شيئًا قد يعطي دليلًا على ظروف مغادرتها فرويستير.

تابعت هيلين: "ألستما مقرّبتين؟"

تنهّدت فلورينس: "لسنا مقرّبتين فعلًا، إنّها... لا أعلم. إنّنا مختلفتان جدًّا وحسب".

لم يسبق لأحد أن طلب منها أن تحدّد بوضوح طبيعة علاقتها بأمها، وهي تعاني الآن لتصوغ الكلمات.

أخيرًا قالت: "هل تعلمين كيف يتحدّث ترامب دائمًا عن الناجحين والفاشلين؟".

أومأت إليها فلورينس برأسها.

"هكذا هي أمّي أيضًا، تصنّف باستمرار العالم تبعًا لهذه البنية الهرمية الصلبة جدًا التي بنتها في ذهنها، فلديها أفكار محدّدة جدًا عن مكان وقوعي في هذه البنية. كان كل استثمارها في مهمّة الأمومة يتعلّق بإيصالي إلى مرتبة عالية بما يكفي، تنزعج عندما تعتقد أنّني أخرّب ذلك الجهد، ولا تفهم أنّنا نصنّف العالم بطرق مختلفة جدًّا".

لم تقل هيلين شيئًا.

أضافت فلورينس وقد أفصحت ضحكتها عن توتّرها: "لتكن الصورة واضحة بالنسبة إليك: لقد صوّتَتْ لترامب".

"وهل أفهم منك أنّك لم تحذي حذوها؟".

"أنا؟ يا إلهي، بالطبع لا، هل أنت جادّة؟".

رفعت هيلين كتفيها بانزعاج: "كيف لي أن أعرف؟".

"لست مختلّةً عقلية".

"ليس كل من صوّت لترامب مختلًا عقليًا".

جاءت فلورينس للتو من وسط أنفق طاقةً كبيرةً في النقاش حول عكس هذه النقطة تحديدًا.

تابعت هيلين: "ما لا يفهمه الليبيراليون هو أنّ الأشخاص العقلانيّين الأذكياء قادرون على فصل عيوبه الشخصية عن سياساته، ما أقصده هو أنّ أحدًا لن يصوّت له ليكون صديقه".

بالكاد استطاعت فلورينس تصديق أنّها ستسأل سؤالها التالي، فالروائيون لا يصوّتون لترامب، سألت بكل ما استطاعت من اعتدال: "إذًا... هل صوّتِّ له؟".

"بالطبع لا، أنا لا أصوّت".

"حقًّا!".

انعطفت هيلين بعد عدة دقائق، وسلكت دربًا طويلًا، وقد كتب على إشارة الطريق مدخل خاصّ. تعرّجَ الطريق وسط غابة كثيفة على مسافة ربع ميل تقريبًا

قبل أن يفضي بهما إلى خارج بيت ريفيّ صغير خشبيّ مطليّ بالأبيض. كانت أداة تحديد اتّجاه الرياح الطويلة والرفيعة تدور على سطحه بقوة. أخبرتها هيلين بأنّه بُني في عام 1848، وانتقلت إليه قبل عامين بعد أن بدأت تجني عائدات الكتاب.

الآن أصبح المطر غزيرًا، يصفق شجيرات الأزهار المصطفّة على الشرفة الأمامية، فطلبت هيلين من فلورينس أن تترك حقيبتها في صندوق السيارة، وقفزتا معًا صوب الباب.

جفّفت فلورينس وجهها بكمّيها تحت الشرفة المسقوفة، بينما أدخلت هيلين مفتاحًا في القفل القديم، فانفتح الباب مصدرًا صوت صرير، ووجدت فلورينس نفسها مغمورةً بالضوء. كان المنزل من الداخل مطليًّا بالكامل باللون الأبيض، الجدران والسقف والأرضيات جميعها مطليّة بلون أبيض حليبي ناصع.

كانتا في ردهة صغيرة فيها طاولة خشبية صغيرة بُعثرت عليها مفاتيح ورسائل بريدية، وفي أسفلها حذاء ملطّخ بالطين. رأت فلورينس من خلال باب على اليسار غرفة تناول الطعام. قادتها هيلين إلى الاتجاه الآخر، وأدخلتها إلى غرفة الجلوس حيث رمت حقيبتها على كنبة كتّانية كبيرة. كان هناك منفضة تتوازن بصعوبة على يد الكنبة، أمامها مسند مربع كُدست عليه الكتب، ثمّ موقد أجريّ يتحرّق فيه الجمر، فرمت هيلين حطبة أخرى في الموقد فهاجت سحابة من الرماد والشرارات.

قالت: "ها نحن في المنزل إذًا".

أحبّت والدة فلورينس أن يخبّئ المستقبل لابنتها حياة مليئة بالجواهر والذهب. ولكنّ هذه، هذه هي الحياة التي أرادتها فلورينس، أرادت كأسًا أزرق وأبيض محشوًّا بقشور الكليمنتين، وحزمة من القرنفل في إناء خزفيّ على عتبة النافذة. فهي لا تزال تذكر المرّة التي وضعت أماندا فيها مزهرية من هذه الأزهار على مكتبها في العمل.

يشبه منزل هيلين لوحة من لوحات فيرمير. هو بارد، إذ تعصف هبّات الرياح الباردة وتصفق أُطر نوافذه. لقد أخبرها أحدهم ذات مرّة أنّ الزجاج كان في الأصل

سائلًا يسقط إلى مُستقرّه ببطء على مر العصور، لهذا السبب تكون النوافذ في البيوت القديمة أسمك دائمًا في الأسفل مما تكون عليه في الأعلى. هل هذا صحيح؟ لم تأبه فلورينس، ولم تفهم هذا المنطق لماذا كان الناس مصمّمين على فضح هويّة مود ديكسن، لم تفهم لماذا يحتاجون إلى إيضاح الأمور، وتحويل الشعر إلى حقائق. أليس الشعر أفضل؟ لماذا تحوّل شيئًا جميلًا إلى شيء عاديّ؟

قادت هيلين فلورينس في جولة حول أرجاء الطابق الرئيسيّ، كانت طاولة تناول الطعام محجوبة عن نظرها بالكتب وبحاسوب محمول، وغرفة ضيوف صغيرة فيها سريران مغطّيان بلحافين باهتين، ومطبخ فيه مغسلة قديمة ضخمة من مغاسل البيوت الريفية. تناولت هيلين الإبريق من آلة صنع القهوة على طاولة المطبخ وصبّت فنجانين منه.

قالت مشيرةً بإصبعها إلى فوق رأسها: "تقع غرفتي ومكتبي وبعض الغرف الإضافية في الطابق العلويّ". وضعت أحد فنجاني القهوة على طاولة المطبخ أمام فلورينس من دون أن تعرض عليها الحليب أو السكر. "ستمكثين في بيت الاستضافة في الخلف، ليس فخمًا ولكن أتمنّى أن يلائمك".

قالت فلورينس أنها متأكّدة من أنّه سيلائم، ارتشفت القليل من القهوة، وراقبت قطرات المطر تتساقط على النوافذ. كل ما استطاعت رؤيته من خلفها هو حقل رمادي مخضرّ وبعض اللطخات البنية المطموسة.

ذهبت فلورينس عندما هدأ المطر لتجلب حقيبتها من صندوق السيارة، وقابلت هيلين خلف البيت الرئيسي، فاتبعتا طريقًا من البلاط الرمادي مغروس بالأشجار الخضراء بين الطحالب.

"الشخص الذي عاش هنا قبلي كان بستانيًا، هجّن الكثير من تلك الأشجار، لذلك لديّ بعض النماذج الغريبة هنا، نصفها من نوع والنصف الآخر من نوع مختلف".

نظرت فلورينس إلى إحدى الأشجار التي أشارت إليها هيلين، لم تبدُ أنها نتيجة دمج فصيلتين، ولكنّها بدت كشجرتين ملتصقتين ببعضهما".

تابعت هيلين الجولة: "هناك حديقة خُضار متواضعة أبذل جهدي حتى لا أدمّرها، وخلف تلك الشجيرات يوجد سرّي العميق الأسود". استدارت نحو فلورينس بعبوس ساخر وأردفت: "كومة السماد، وقبل أن تقولي أي شيء، نعم، أعرف أنّني أصبحت مهووسة مثالية بالطبيعة، مثل مهووسي هيودسن".

ابتسمت فلورينس، وكأنّها تعرف ما الذي تتحدّث عنه، ولكنّها لم تملك أدنى فكرة عن ماهية كومة السماد.

وصلتا إلى بيت الاستضافة الذي يبعد حوالى مئة ياردة عن البناء الأساسي، حدّد خطّ داكن من الأشجار خلفه بداية الغابة. علق الباب الأماميّ عندما حاولت هيلين فتحه، ولكنّها فتحته بركلة سريعة على الزاوية السفلية منه. قالت: "سأرى ما يمكنني أن أفعل بشأنه". بعد لحظة أضافت: "في الواقع، لن أفعل أيّ شيء على الأغلب، فهناك أشياء أسوأ في الحياة من باب عالق، أليس كذلك؟".

أومأت إليها فلورينس برأسها، وتبعت هيلين إلى الداخل. كان منزلها الجديد مساحة فارغة مشرقة فيها مكان للجلوس ومطبخ صغير محشور في إحدى الزوايا، وكان هناك هاتف مدوّر زهري معلّق على الجدار بجانب الثلاجة. كشفت نظرة خاطفة إلى الحمام عن حوض استحمام عميق قديم الطراز، وتقود درجات خشبية تشكّل سُلّما أكثر مما تشكّل درجًا إلى غرفة نوم علوية. أحبّته، فلم يسبق أن كان لها مساحتها الخاصّة، لم يكن لديها بناؤها الخاصّ، بدا هذا المكان ملائمًا لها كما لم يلائمها أي مكان سبق لها أن عاشت فيه.

تركتها هيلين لكي تستقرّ، وأخبرتها بأن تأتي لتحتسيا مشروبًا قبل وقت العشاء عند الساعة السابعة. بدأت فلورينس على الفور بتوضيب أغراضها. فلطالما كانت منظّمة، ولم تستطع أن تذهب إلى النوم قبل أن تكون أحذيتها مصفوفة بعناية في الخزانة.

استغرقها ترتيب أغراضها وتخزين حقيبتها أسفل السرير عشرين دقيقة فقط، لم تعرف ما تفعله خلال الساعتين التاليتين، فليس لديها من تتّصل به، ولا حتّى لوسي، لم تعاود فلورينس الردّ على أيّ من رسائلها بعد أن فُصلت من عملها، لم ترغب في إثارة إشفاق لوسي عليها، فضّلت أن يبقى ميزان القوة كما كان، يميل بشدّة إلى صالحها. لن تكون حتّى قادرة على التبجّح بشأن عملها الجديد.

أمّا فيرا فلا تزال بالطبع تعتقد أنّ ابنتها تعيش في كوينز وتعمل لدى فوريستير.

أدركت أنّ انعزالها المفاجئ مريح، أغمضت عينيها وألقت إلى المكان السمع، ولكن لا يوجد سوى الصمت، كانت وحيدة تمامًا.

15

في بادئ الأمر، طرقت فلورينس على باب المنزل الرئيسي، وعندما لم تسمع جوابًا فتحت الباب ودخلت، كانت الموسيقى تنطلق من المطبخ فتتبّعت مصدر الصوت.

كانت هيلين ترتدي مئزرًا فوق ملابسها وتشرب كأسًا من النبيذ، وتدخّن سيجارةً، وتقطّع الطماطم وتتوقّف بين الحين والآخر لتلوّح بسكينها انسجامًا مع اللحن.

قالت فلورينس: "مرحبًا".

استدارت هيلين، وغنّت بصوت حادّ مبحوح بالإيطالية: "حبيبتك... آه... حبيبتك... مقدّرة لك قبلًا... قبلًا". مدّت المقطع الأخير من الكلمة الأخيرة، ثمّ أنهت غناءها متجرّعةً جرعة كبيرةً من النبيذ، وسألتها: "هل تحبّين الأوبرا؟"

"لست واثقةً من ذلك". المرّة الوحيدة التي استمعت فيها فلورينس إلى الموسيقى الكلاسيكية كانت موسيقى الإعلانات في السيارات.

"يا إلهي! أنّها ربّانية! ربّانية! شاهدت عرض إل-تروفاتور في صالة ميتروبوليتان السنة الماضية، وسآخذك المرّة القادمة التي أذهب فيها إليها، خُذي، اشربي بعض النبيذ".

"شكرًا لك". أخذت فلورينس الكأس وحاولت إخفاء فرحتها بحضور عرض للأوبرا مع مود ديكسن. سألت: "هل أستطيع مساعدتك؟".

"لا، لا! أنا أحب الطبخ، كما أنّني مهووسة بالسيطرة على المطبخ". رفعت حبّة طماطم كرزية صغيرة بين سبابتها وإبهامها: "هل تعلمين ماذا يسمّون هذه في

فرنسا؟ قلب اليمامة، أليس هذا مذهلًا؟ أليست كذلك بالفعل؟ لن تكوني قادرة أبدًا على النظر إلى يمامة مجددًا من دون أن تفكّري بقلبها الصغير الذي يشبه الطماطم والذي ينبض داخل صدرها".

قالت فلورينس: "تسمّي أمي الناس أحيانًا باسم ذوي قلوب اليمام، تطلق هذا الاسم على الناس الذين تظنّهم ضعفاء".

كرّرت هيلين مُشيرةً إليها بالسكين: "ذوي قلوب اليمام، هذا جيد، قد يتوجّب عليّ سرقة هذا، هل أنت جنوبية؟ أفضل الأمثال تأتينا من الجنوب".

"أنا من فلوريدا، لسنا في الشمال ولا في الجنوب".

"لا بأس بذلك، فالشمال والجنوب مكانان مبالغ في تقديرهما".

"أعتقد هذا".

توقّفت هيلين عن التقطيع لتقول: "هذا صحيح، هناك قوّة حقيقية في أن يكون المرء دخيلًا، وهذا يتيح لك رؤية الأمور بشكل أوضح". فرقع طبق ما في الفرن بقوة كافية لتجعل فلورينس تقفز في مكانها. "الدجاج، لستِ نباتيةً، أليس كذلك؟" هزّت فلورينس رأسها نافية. قالت هيلين: "الحمد لله"، ثمّ أكملت استخدام السكين.

"حسنًا، هل تجلسين هنا؟".

"نعم، شكرًا لك".

"جيّد، سنبدأ العمل غدًا".

"ما أخبار كتابك الجديد؟".

عبر ظلّ وجه هيلين وقالت بشكل مبهم: "جيّد".

"هل هو تتمّة لكتاب رقصة الفوكستروت في ميسيسبي؟".

"لا! قصّة روبي ومود انتهت رسميًا". وضعت السكين على رقبتها، وبدا وكأنّها تذبح نفسها وهي تقول كلمة "انتهت".

تنهّدت فلورينس وهي تشعر أنّ حماستها قد خبت قليلًا، أرادت مثل معظم المعجبين بالقصّة أن تعرف ماذا حدث بعدها، قالت: "سيشعر الناس بخيبة الأمل".

"نعم، تذكّرني وكيلة أعمالي بذلك كل يوم، يبدو أنّني أدين لقرائي بنهاية".

"ألا توافقين على ذلك؟".

ضحكت هيلين: "أدين لهم! بالطبع لا! لا أدين بشيء لأحد، تريد منّي أن أكتب تتمّة لأنّها ستدرّ أرباحًا وفيرة وحسب".

أخرجت الدجاج من الفرن، وقطّعته بمهارة واضعةً قطعة من الصدر وقطعة من الفخذ في كلّ صحن، ثمّ وضعت الصحنين على طاولة المطبخ مع زجاجة من النبيذ وصحن من السلطة. ثم أشارت إلى فلورينس لأن تجلس.

سألتها فلورينس عن الوقت الذي ستقرأ فيه العمل الجديد.

قالت هيلين: "قريبًا، ربما في الغد، إذا كنت قادرة على فك شيفرة خطّي الشنيع الذي اكتسبته من مدرسة ميسيسبي العامّة". قالت إنّها كتبت أول مسوّداتها يدويًا على أوراق صفراء وستكون مهمة فلورينس أن تطبعها.

"بقي لي ربع العمل لأنتهي من المسوّدة الأولى، حالما أبدأ بالكتابة، أدرك أنّها ستتطلّب مني كثيرًا من البحث الإضافي، وأكثر من الكتاب الأوّل، هنا سيكون دورك، القصّة تحدث في المغرب، هل زرتها؟".

هزّت فلورينس رأسها نافية.

"هناك عدّة مؤلّفين كتبوا عنها حسنًا، مثل الطاهر بن جلون وبول بوليز".

"أنا آسفة، لم أقرأ لهما شيئًا، ولكنّني أستطيع أن أفعل".

"لا حاجة للاعتذار، سأعطيك قائمة بالكتب التي ستكون مساعدة لك من أجل أن تقرئيها، لنبدأ بالكتب البعيدة عن الخيال، في الواقع، قد يكون الطاهر بن جلون وبول بوليز مشتّتين للانتباه".

"عمَّ يتحدّث الكتاب؟".

"ما زلت أعمل على الكثير من التفاصيل، ولكنّه يتتبّع قصة امرأة أميركية تتخلّى عن كل شيء وتنتقل إلى المغرب للعمل مع صديق طفولتها، بالطبع، تَتابع الكوارث من هناك". ابتسمت هيلين.

عرفت فلورينس كيف تبدأ افتتاحها الكبير بعد أن شعرت أنّها مرتاحة أكثر بسبب النبيذ فقالت: "أردت أن أخبرك أنّني أحببت الطريقة التي كتبت فيها عن علاقات النساء". هذا هو السطر الذي كانت تتدرّب عليه في رحلة السيارة من محطّة القطار، فقلقت على الفور من أن يبدو ما قالته الآن مبتذلًا كما خافت أن يبدو حينها.

ضحكت هيلين قائلة: "حسنًا، هذا لأنّ الرجال لا يثيرون اهتمامي كثيرًا".

خيّم الصمت المطبق عليهما.

"لا أقصد أنّني مثلية، أمارس العلاقة الجنسية مع الرجال عادةً، ولكنّني لا أهتمّ بأن يكون لي علاقات دائمة معهم. لم أجد أحدًا منهم يذهلني بالطريقة نفسها التي أجد فيها النساء مذهلات. الرجال أفظاظ، لا يوجد بينهم أيّ فارق".

تابعت: "واعدت رجلًا في الماضي، وذهبنا بعيدًا في إحدى العطلات، أدركت في الفندق أنّه لا يعرف كيف يعطي البقشيش، ولا يعرف أن يقدّمه لا لموظّف الاستقبال ولا لموظّفي تنظيف الغرف ولا للبوّاب. ظلّ يسألني كيف يعطيه؟ ومتى يجب عليه أن يعطيه؟ ولمن يجب عليه أن يعطيه، فوجدت ذلك منفّرًا، وأدركت أنّني لن أستطيع أبدًا أن أكون مع رجل لا يعرف كيف يعطي البقشيش. ثمّ أدركت لاحقًا أنّني لا أستطيع أن أكون مع رجل يعطي البقشيش بسهولة وبساطة أيضًا، ما هذا الغرور وما هذا الرضى؟ فمن بقي؟".

قالت فلورينس: "ربما هناك بعض مقدّمي البقشيش المعتدلين؟".

"لا، لا يوجد فئة وسطى في موقفها من أي شيء".

تستطيع فلورينس أن تفكّر في عدد لا يُحصى من الفئات الوسطى، فالعالم كلّه يبدو فئة وسطى بالنسبة إليها، ولكنّها أحجمت عن الأمر.

قالت هيلين وكأنّها تقرأ أفكارها: "الفئات المعتدلة للأشخاص المعتدلين".

بعد وقت قصير لم يبق سوى العظام المليئة بالدهون والأربطة في صحنيهما، ولكنّهما بقيتا على الطاولة تشربان آخر ما بقي من النبيذ. فقدت محادثتهما بعضًا من رسميّتها المهنية. وفي الخارج تصرّ الصراصير صريرًا حادًّا ومزعجًا.

سألت فلورينس عندما لم تستطع أن تقاوم أكثر: "ألا يزعجك أنّ أحدًا لا يعرف أنّك من كتبت رقصة الفوكستروت في ميسيسبي؟".

"لا! هذا لا يزعجني".

"حقًّا؟".

"حقًّا".

"ولكن لماذا فعلت هذا؟ ما الفائدة من كلّ هذه السرّية؟".

حوّلت هيلين نظراتها الزائغة نحو النافذة: "هل يبدو هذا غبيًا؟ لا يبدو كذلك بالنسبة إليّ، ولكنّني كنت شابّة، كتبتها عندما كنت في منتصف العشرينيات، كنت في عمرك على ما أظنّ".

لم تستطع فلورينس ألا تقاطعها: "انتظري! أنت في الثالثة والثلاثين من عمرك إذًا؟ أو في الرابعة والثلاثين؟".

ضحكت هيلين: "تجاوزنا مرحلة المجاملات الاجتماعية، أنا في الثانية والثلاثين".

كانت فلورينس متفاجئة، بدت هيلين أكبر عمرًا بالنسبة إليها، ولكن بعد أن فكّرت في الأمر الآن، وجدت أنّ خلفية كتاب رقصة الفوكستروت في ميسيسبي ذكّرتها كثيرًا بطفولتها. بعض أصدقاء مود وروبي في المدرسة امتلكوا هواتف خلوية، وكان بوش رئيس البلاد. جلب هذا الإدراك معه شعورًا عميقًا بعجزها، لم تكن فلورينس قريبةً حتّى من الحصول على قصّة لترويها، فما بالك بقصّة تحقّق أفضل المبيعات. ربما لهذا بدت هيلين أكبر عمرًا، حقّقت أكثر من ذلك بكثير.

تابعت هيلين ملاحظة عدم ارتياح فلورينس: "على كلّ حال، كنت أعيش في جاكسون وقتها، أعمل مصحّحة في دار للكتب المدرسية، كتبته كاملًا في الغالب خلال استراحات الغداء. والشيء المجنون في الأمر هو أنّ كلّ ما أردته هو الانتقال إلى نيويورك وأن أصبح كاتبة مشهورة، ولكن ليس من خلال ذلك الكتاب، كان عليّ كتابة ذلك الكتاب، كان عليّ أن أُخرجه مني لكي أستطيع المضي قدمًا".

استدارت مجدّدًا إلى فلورينس: "هل تعرفين كيفية التخلّص من دودة شريطية؟".

هزّت فلورينس رأسها نافية.

"تذهبين إلى غرفة مظلمة، ظلام دامس، وتحملين كأسًا من الحليب الدافئ أمام وجهك، ثمّ تُخرج الدودة رأسها من أنفك، ويتعيّن عليك أن تمسكيها بأسرع ما يمكن، والبدء بالسحب بقوّة وحسب، هكذا شعرت وأنا أكتب كتاب رقصة الفوكستروت في ميسيسبي، فقد أردت أن أكون نظيفةً، أردت أن أذهب إلى مكان حيث لا يعرف أي شخص أي شيء عن بلدة هاندزفيل في ميسيسبي".

لاحظت فلورينس اسم البلدة.

"اعتقدت أنّه يمكنني كتابة ذلك الكتاب فقط تحت اسم مستعار، ثمّ الانتقال إلى نيويورك لأنطلق انطلاقتي الأولى الرائعة باسم هيلين ويلكوكس، هل تعلمين ماذا أردت أن أكتب؟".

هزّت فلورينس رأسها بالنفي.

"تلك الرواية الضخمة التي تخاطب عدّة أجيال وتتحدّث عن عائلة تعبر الغرب الأميركي في بدايات القرن التاسع عشر. ولكنّني مهما حاولت أن أبدأها دائمًا ما أعلق عند نقطة ما".

دفعت هيلين كرسيها بعنف، وذهبت إلى خزانة بالقرب من الثلاجة، وسحبت زجاجة من الشراب الاسكتلندي وكأسين، فصبّت المشروب فيهما بطريقة غير متقنة، فلوّثت الطاولة بعض الشيء وقدّمت كأسًا إلى فلورينس.

تابعت: "على أي حال، لم أتوقّع أبدًا نجاح الكتاب، ولم أستطع تخيّل أن يهتمّ ولو شخص واحد بتلك الزاوية المغبرّة الصغيرة من البلاد، فما بالك بالملايين. أرسلته إلى الوكلاء لأبعده عن ناظري في الدرجة الأولى، ولأتخلّص منه. ثمّ تلقّيت اتصالًا من غريتا فروست، فجمّدتني الدهشة حينها. وعندما بدأ بيعه فعلًا لاحقًا حصلت غريتا على مبلغ هائل مقدّمًا لقاء كتابة كتاب ثانٍ لا أساس له مطلقًا سوى كونه ملخّصًا من

صفحة واحدة بالكاد أتذكّره. كان ذلك قبل سنتين من الآن. وهم بالطبع يدفعون لقاء اسم مود ديكسن. هي من ينتمي إليها الجمهور، إذا اعترفت إلى الناس بهويّتي سيدمّر هذا كل شيء. فمن الأفضل الاحتفاظ ببعض الأسرار، يعتقد الناس أنّهم يريدون الحقيقة، ولكنّهم دائمًا ما يصابون بخيبة الأمل. ذلك أقل إثارةً للاهتمام من الغموض، صدّقيني، حاولت إقناع غريتا بأن تدعني أقوم بذلك مستخدمةً اسمي الحقيقيّ ولكنّها محقّة، فهذا غير منطقيّ، وأنا عالقة مع مود ديكسن لبقية حياتي".

سألتها فلورينس: "من أين جاء الاسم على أيّ حال؟"

نفضت هيلين رماد سيجارتها في صحنها: "من قصيدة مود للشاعر تينيسون، هل قرأتها؟".

هزّت فلورينس رأسها بالنفي.

"عليك ذلك، إنّها رائعة، وهي قصّة حبّ تتميّز بمسحة غريبة مظلمة، يصف مود بأنّها نزيهة بشكل سيّئ، وعادية على نحو بارد كالثلج، وفارغة بصورة مذهلة، أنا أحببت ذلك فحسب".

سألتها: "وماذا عن الاسم ديكسن؟"

قالت هيلين مستهجنةً: "إنّه اسم صديقة السكن في الجامعة، كان اسمها الأوسط، لم أكن أطيقها في الواقع".

"وهل بقيت على اتصال بروبي بعد أن تركت موطنك؟".

ابتسمت هيلين ابتسامة عريضة، ابتسامة بشفتين منطبقتين، ستعتاد فلورينس عليها، وقالت: "إنّها مجرّد رواية يا فلورينس".

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة عندما أنهتا مشروبيهما، فرفضت هيلين عرض فلورينس بغسيل الصحون، وقالت لها وهي تسحق سيجارتها الملطّخة بأحمر الشفاه: "السفر مرهق، اذهبي واحصلي على قسط من النوم".

أجابت فلورينس: "صحيح". مسرورة لأنها وجدت فرصة لاستخدام الكلمة، فقد أعجبت برقيّها عندما استخدمتها هيلين في محطّة القطار.

مشت فلورينس إلى كوخها، ثملة بعض الشيء، ثم توقّفت في منتصف الطريق في الظلام الحالك، ونظرت إلى الخلف. كانت مصابيح كلّ الغرف مضاءة وهيلين تقف أمام المغسلة في المطبخ وقد شغّلت الموسيقى وعاودت التلويح بيدها مجدّدًا. ابتسمت فلورينس، فقد كانت هيلين كلّ شيء أرادت أن تكونه وها هي قد مُنحت فرصة دراستها عن كثب، وأقسمت بحياتها أنّها لن تضيّعها.

16

في الصباح التالي، وجدت فلورينس هيلين تقرأ الجريدة على طاولة الطعام، وكانت قد استيقظت منذ الساعة السادسة، فاستحمّت، وتنزّهت في الغابة خلف المنزل بينما تربّعت الشمس في السماء، واكتشفت عندما عادت إلى الكوخ وصول رسالة صوتية من أمّها فتجاهلتها.

قالت هيلين من دون النظر إلى الأعلى: "هناك قهوة في الإبريق".

دفعت هيلين الكرسي المقابل لها بقدمها عندما عادت فلورينس مع فنجان قهوة.

قالت: "حسنًا، لنبدأ التدريب بالطريقة الصعبة، تلقّيتُ أكثر من مئتي رسالة إلكترونية غير مقروءة، ويجب أن أجيب عليها، وهذا يعني في الواقع أنّك أنتِ من لديك أكثر من مئتي رسالة إلكترونية لتجيبي عليها".

وضّحت أنّ معظمها من فروست/ بولن، إمّا من غريتا أو من مساعدتها لورين. كانت طلبات لإجراء مقابلات أو استجابات لرسائل القراء وأمور من هذا القبيل. فتحت هيلين الحاسوب المحمول على الطاولة، وسجّلت دخولها باستخدام العنوان البريدي للكاتبة مود ديكسن، ثمّ أدارت لوحة المفاتيح نحو فلورينس: "هيّا، سننجز الأولى معًا".

ضغطت فلورينس على أجدد رسالة من غريتا:

مرحبًا يا ميم:

كيف هو الحال مع فلورينس؟

ضحكت فلورينس بتوتّر: "ربما نبدأ بواحدة أخرى؟".

قالت مود: "أنت تديرين مراسلاتي الآن، تديرينها كلّها".

رفعت فلورينس أصابعها إلى لوحة المفاتيح ثمّ توقّفت وقالت: "انتظري! أطلقت عليك الاسم ميم، هل هذا تيمّنًا بالحرف الأول من الاسم مود؟".

"نعم، لم نرد أيّ شيء قابلًا للاختراق يربط بين اسمي الحقيقيّ ووكيلة أعمال مود ديكسن، لا يمكن أن يكون الحذر مبالغ فيه، أصبحت شخصية مود طبيعتي الثانية على كل حال".

"ولكن يجب أن أوقع رسائلي باسمي، أليس كذلك؟".

"لم أفكّر في هذا في الواقع، أجل، أعتقد أنّ هذا لا بأس به، ولكنّ الشيء المهمّ هو أن تتأكّدي من ألا تستخدمي اسمي الحقيقي، اكتبي الآن".

كتبت فلورينس ردًّا بنفس النبرة المهنية الخالية من الشغف التي علّمتها أغاثا استخدامها:

مرحبًا يا غريتا:

تجري الأمور على ما يرام، شكرًا على اهتمامك.

أتمنّى لك الأفضل

فلورينس

استدارت متسائلةً نحو هيلين التي قرأت الإجابة واستهجنتها، سحبت الحاسوب إليها واستبدلت ما كتبته فلورينس بـ:

نحن نتّفق كما النار والخشب.

أرسلتها وتوجّهت نحو فلورينس قائلةً: "عليك معرفة أمر عني، أنا أرفض الوسطية".

قالت فلورينس: "حسنًا".

تتضمّن واجبات فلورينس بالإضافة إلى مراسلات هيلين المساعدة في البحث وطباعة مسوّداتها. أعطتها هيلين رزمة من الأوراق ملأت صفحاتها شخبطة غبية كبيرة. قالت: "كنت أحتفظ بها من أجلك، أنا أكره الطباعة".

قالت فلورينس: "لا بأس". وضعت الأوراق بجانب الحاسوب النقّال، وحاولت ألا تنظر إليها بينما تابعت هيلين الكلام.

قالت هيلين إنّه هناك امرأة تأتي مرّة في الأسبوع لتنظّف وتحضر المشتريات، ولكن إدارة شؤون حياتها اليومية ستقع على عاتق فلورينس، وهذا يتضمّن دفع فواتيرها، فواتير البطاقات الائتمانية والهاتف والإنترنت والرهن العقاري، أي يتضمّن كل شيء بحسب ما علمت فلورينس. أعطتها هيلين كلمات السرّ وحساباتها البنكية بلا مبالاةٍ دلّت على واحد من أمرين، إمّا السذاجة المطلقة أو الثقة المطلقة، واختارت فلورينس تصديق الأمر الثاني.

"أكره أن أتواصل مع العالم الخارجي الواسع، كنت سأصبح راهبة لو لم يكن ذلك غير ملائم أبدًا بالنسبة إلّي. بالإضافة إلى أنّني فاشلة في مجال اللوجستيات. حجزت ذات مرة رحلة طيران في السنة الخطأ، لا في اليوم الخطأ وحسب. لذا، سأترك الأمور السخيفة للأناس السخفاء".

حدّقت فلورينس بها لترى ما إن كانت قد أدركت الإهانة التي أطلقتها لتوّها على مساعدتها الجديدة، ولكنّ هيلين تابعت درسها.

كان لديها حساب إلكتروني آخر على موقع جيميل باسمها الحقيقي، أرت فلورينس كيف تدخله لتدير كلّ حساباتها الإلكترونية المتعدّدة. فألقت فلورينس نظرة خاطفة على البريد الوارد، ورأت أن الرسائل في معظمها رسائل تأكيد من موقع أمازون، وإشعارات من مصرفها، وملخّصات من مجلّة نيويورك تايمز.

أخذت هيلين في الساعة العاشرة قهوتها إلى مكتبها في الطابق العلوي وقالت لفلورينس أن تبدأ بالإجابة عن رسائل مود ديكسن، ففتحت فلورينس آخر رسالة غير مقروءة، كانت قد أرسلتها غريتا في اليوم السابق:

مرحبا يا ميم:

ديبرا تسألني مجدّدًا عن الكتاب الثاني، بماذا يمكنني أن أخبرها؟ يجب أن نقدّم لهم بادرة حسن نية، يجب أن نعطيهم الفصل الأول أو خطّ سير

مفصّل أكثر للقصة أو مخطّط زمني لشيء ما، فلنناقش هذا. اتصلي بي.

غريتا

نظرت فلورينس حولها شاعرةً بالذنب، أحسّت أنّ هذه ليست رسالةً تريدها هيلين أن تقرأها. أغلقتها بسرعة وجعلتها غير مقروءة. كانت الرسالة التالية من غريتا أيضًا، ولكنّها كانت أكثر تلاؤمًا مع ما أخبرتها هيلين بأن تتوقّعه.

ميم:

تريد قناة إن- بي-آر أن تجري معك مقابلة على الهواء مباشرةً، ويمكنك أن تفعلي هذا من منزلك، ويمكننا أن نجرّب مغيّر الصوت الذي يستخدمونه. ما رأيك؟ سيكون من الرائع أن نُبقي اسم مود ديكسن راسخًا في عقول الناس، وخصوصًا أن الكتاب الثاني سيَصدر بعد فترة بعيدة عن صدور الكتاب الأول. أخبريني بما تقرّرينه.

غريتا

اعتقدت فلورينس أن وجهة نظر غريتا صحيحة، ولكنّ هيلين كانت واضحة بشأن هذا: الإجابة هي الرفض دائمًا. حاولت نقل طريقة إجابة هيلين وأن تنسى كل شيء تعلّمته عن اللباقة المهنية، كتبت:

غريتا:

ما زالت قاعدة رفض المقابلات قائمة، ولا استثناءات.

مرّرت المؤشّر فوق زر الإرسال، ولكنّها لم تنقره. لم تستطع فعل ذلك، ولم تستطع إرسال تلك الرسالة إلى غريتا فروست. مسحت ما قد كتبته وكتبت بدلًا عنه:

مرحبًا يا غريتا:

للأسف، هيلين لن تقوم بإجراء المقابلة مع قناة إن-بي-آر. آمل أن تتفهّمي ذلك.

أتمنّى لك الأفضل

فلورينس

ضغطت زر الإرسال، وخلال الوقت الذي عادت فيه إلى صفحة البريد الوارد، كانت رسالة غريتا السابقة التي تتحدّث عن كتاب هيلين الثاني قد اختفت، فنظرت فلورينس إلى السقف، وتساءلت: هل لدى هيلين حاسوب محمول ثانٍ في الأعلى؟ فلا بدّ أنّها مسحتها.

أنجزت فلورينس خلال الساعات التالية رسائل مود ديكسن المتراكمة، وسمحت لنفسها بانحراف واحد فقط، لتسجيل الدخول إلى حساب موقع مورغان ستانلي الخاصّ بهيلين. اتسعت عيناها عندما رأت الرصيد، يتجاوز الثلاثة ملايين بقليل، لقد عرفت أنّ كتاب رقصة الفوكستروت في ميسيسبي قد جلب مقدارًا هائلًا من النقود يمكن أن يسبح المرء فيها، خصوصًا بعد أن بيعت حقوق تحويله إلى برنامج تلفزيوني، ولكنّ رؤية الرقم الفعلي كانت مختلفة، بدا ضخمًا بجانب السنتات الهزيلة السخيفة المحشورة في نهايته. حاولت فلورينس أن تفكّر في ما قد تفعله بهذا المقدار الهائل من المال، ولكنّ مخيّلتها خانتها، وكل ما استطاعت التفكير فيه هو أنّها كانت لتفعل ما فعلته هيلين وحسب، شراء منزل والابتعاد عن العالم وزراعة الطماطم.

لم تعد هيلين إلى الطابق السفليّ بحلول الساعة الثانية ظهرًا. فأعدّت فلورينس لنفسها شطيرةً لحم الديك الرومي الذي وجدته في الثلاجة، وأنهت القهوة، ونظّفت الإبريق. ثم عادت إلى مكتبها المؤقّت على طاولة الطعام، وأخيرًا، سمحت لنفسها بالتقاط صفحات هيلين المدوّنة بخطّ اليد.

ها هي ذا، رواية مود ديكسن التالية.

خربشت هيلين على أعلى الصفحة الأولى ما اعتبرته عنوان الفصل: زمن الوحوش. تفحّصت ما تبقّى منها، وأدركت دفعة واحدة أنّها بالكاد تستطيع قراءة خطّ يد هيلين، فحدّقت بعينين نصف مغمضتين في الجملة الأولى:

تكون الرياح في الليل خربشة والطقس خربشة، جعلت السماء خربشة خربشة...

قلبت الصفحة التالية، كانت أيضًا مليئة بكلمات لم تستطع فكّ شيفرتها:

> أنصتت، متسائلةً عمّا إن كان أنف خربشة ذلك الشيء الذي خربش ظهرها وأوقظها، لم تسمع سوى الصوت الأبدي لتحطّم أمواج البحر على الصخور، صوت قادم من مكان في الأسفل شديد البعد لدرجة أنّه يشبه خربشة محبوس في خربشة. فتحت عينيها. كانت الغرفة تستحمّ بنور القمر الرائع، يأتي نوره من خربشة ولكنّها استطاعت أن ترى وهج خربشة سماء الليل على الماء. انزلقت من فوق السرير وذهبت وحاولت فتح الباب في خربشة للتأكّد فقط من أنّه كان مقفلًا.

وضعت فلورينس المسودة وعضّت على ظفر يدها، فلم تكن واثقة مما ستفعله، وسيشبه تدوين هذا العمل كلعبة ملء الفراغات. وقفت ومشت إلى أسفل الدرج، لم تدعُها هيلين إلى الطابق الثاني بعد. صعدت إلى منتصف الدرج لتتمكّن من رؤية الرواق، فكانت جميع الأبواب مفتوحة باستثناء باب واحد. خمّنت أنّه باب مكتب هيلين، فصعدت ما تبقى من الدرج مرتجفةً مع كل صرير يطلقه، واسترقت السمع عند الباب، فلم تسمع شيئًا حتّى صدر صوت تحطّم مفاجئ من الداخل. قفزت فلورينس في مكانها. بدا الصوت وكأنّ شيئًا ثقيلًا قد رُمي عبر الغرفة. وقفت للحظة أو لحظتين، ثمّ استدارت، وبدأت التسلّل عائدةً إلى الدرج.

فُتح باب المكتب بقوة في تلك اللحظة تمامًا، وظهرت هيلين أمام الباب، وبدت هائجةً.

مكتبة
t.me/t_pdf

"ما الذي تفعلينه هنا؟".

"أنا آسفة، أنا...".

"لا تزعجيني في أثناء عملي، لم أعتقد أنّني أحتاج إلى أن أقول هذا، ولكن من الواضح أنّني أحتاج إلى ذلك فعلًا، أجد أنّه من الصعوبة عليّ استعادة تركيزي".

"أنا آسفة جدًّا، سأعود إلى الطابق السفليّ".

"لقد قاطعتني بالفعل، لذلك بإمكانك إخباري بما تريدينه وحسب".

قالت فلورينس ممسكةً برزمة الورق: "إنّها كتابتك، أعاني من مشكلة في قراءة بعضها".

أمسكت هيلين الرزمة وقد نفذ صبرها: "يا إلهي".

اختلست فلورينس في أثناء تصفّح هيلين الصفحات نظرةً إلى الغرفة من خلفها، ورأت رفوف مكتبة مبنية في الحائط مكتظّة بالكتب وسجّادة مهترئة تركية المظهر.

"ما الذي لا تستطيعين فهمه؟".

أشارت فلورينس: "هنا، وهنا وهنا".

"هذه الكلمة تعني ساطع وتلك مجرّد أداة عطف".

سألت فلورينس وهي تشير إلى خربشة أخرى: "وماذا عن هذه؟".

قرّبت هيلين الصفحة من وجهها ووجهتها باتجاه الضوء. بعد لحظة، زفرت وأعادت الأوراق إلى فلورينس. "لا أعرف يا فلورينس، حاولي معرفة ذلك بنفسك وحسب، اكتبي أفضل تخمين تجدينه وضعي تحته خطًا أو شيئًا ما، وسأجد حلًّا لذلك لاحقًا".

صفقت هيلين الباب بعنف في وجهها غير عابئة باعتذاراتها المتكرّرة.

شقّت فلورينس طريقها إلى غرفة تناول الطعام، وهي تشعر أنها تصرّفت بغباء، ونظرت إلى آخر كلمة لم تكن هيلين قادرة على قراءتها، تبدأ بحرف الميم، وهذا هو كل ما استطاعت استخلاصه. أعادت قراءة الجملة:

> شعرت على الفور أنّها حيوان خربشة غير ممتن عندما سمعت كلمة عنيفة تُستخدم ضدّها، ولم يُسعدها هذا الإحساس على الرغم من أنّها عرفت أنّ ذلك صحيحٌ تمامًا ولا يُقصد به تقييدها.

ربّتت فلورينس بإصبعها على شفتها السفلى، هل الكلمة المفقودة هنا هي مفترس؟ نعم، أومأت برأسها مؤكّدة، وطبعتها في ملف المسوّدة ووضعت خطًا تحتها متمنّية أن تكون قد انتقت الكلمة الصحيحة. لم تكن توّاقةً إلى القبول فحسب بل أدركت أنّها مرعوبة قليلًا من هيلين ويلكوكس.

17

دخلت هيلين وفلورينس خلال الأيام القليلة التالية في وتيرة متناغمة. تذهب فلورينس إلى المنزل الرئيسي قرابة الساعة التاسعة أو العاشرة، وعادةً ما ترتشفان كوبين من القهوة معًا بينما تراجعان خطّة اليوم، وتجد فلورينس إن لم تكن هيلين في الطابق السفلي ورقة ملاحظات على منضدة المطبخ تحتوي قائمةً بمشاريعها. عادةً يوجد بعض أعمال الطباعة لتنجزها بالتزامن مع متابعة مراسلات هيلين. كما أرادت هيلين من فلورينس قراءة كتبٍ مختلفة تتناول الثقافة المغربية وتاريخها، وطباعة ملخّص اكتشافاتها.

في بعض الأحيان، أعارت هيلين سيارتها لفلورينس حتى تتمكّن من الذهاب إلى هيودسن لإحضار كتابٍ تحتاج إليه أو لإحضار عدّة زجاجات من مشروب تشاتونوف-دو-باب الذي تحبّ احتساءه، وتطلب من فلورينس في كل مرّة أن تأخذ وقتها وتستمتع. أحبّت فلورينس هيودسن، على الرغم من أنها شعرت أن في سحرها شيئًا مصطنعًا. كانت أشبه ببلدة شُيّدت خصيصًا من أجل متعة الوافدين إلى بروكلين من الثقافات المختلفة الأصول، إضافةً إلى أنه لم يكن بمقدورها شراء أغطية طاولات شيبوري المصبوغة يدويًا والقطع الفنّية المصنوعة من الخشب المعاد تصنيعها التي كانت تباع في متاجر التحف.

نادرًا ما كانت هيلين تذهب بنفسها إلى البلدة، حتى إنها لم تكن تبارح سكنها في معظم الأيام، لم تجد فلورينس نفسها وحيدةً في المنزل للمرة الأولى إلا بعد الأسبوع الثاني من شروعها في العمل. لم تذكر هيلين وجهتها، وإنما فقط أنها ستتغيب لبضع ساعات.

ما إن مضى 10 دقائق على ابتعاد السيارة حتى تسلّلت فلورنس إلى الطابق العلوي ودخلت إلى مكتب هيلين، كانت تتدفّق أشعة الشمس من خلال النافذتين في طرفي الغرفة مسلّطة الضوء على ذرّات الغبار المتطايرة في الهواء.

جلست على كرسي هيلين، الكرسي المصنوع من جلد مضلّع بلون الإبل والمهترئ من كثرة الاستخدام.

مرّرت يديها على خشب المكتب المخدوش، فتحت الدُّرج العلويّ فوجدت حاسوبًا محمولًا، ألقت نظرةً خاطفةً الى الباب ثم أخرجته وفتحته. أضاءت الشاشة وظهر مربّع الحوار طالبًا كلمة المرور، فأغلقته على الفور وأعادته إلى حيث وجدته، واسترخت على الكرسي، وأغمضت عينيها، متظاهرة بأنه مكتبها. كان كل ما كان عليها فعله هو الجلوس في هذه الغرفة الجميلة وكتابة كل ما ترغب فيه.

سمعت فجأةً دويًّا قادمًا من الطابق السفلي فانسحبت من الغرفة دافعة الكرسي مطلقةً له عنان الرقص فوق الأرضية.

أدركت أن الرياح عصفت بباب المطبخ مغلقةً إياه بقوة، فهرعت عائدة إلى الطابق العلوي لتتأكّد من أنها تركت الغرفة كما وجدتها. لقد تطلّب منها استعادة أنفاسها ما يقارب العشر دقائق بعد ذلك.

شعرت فلورينس بالجرأة في الأيام التالية بدلًا من الشعور بالذنب بسبب غزواتها الطابق العلوي المحبطة. لكنها حصرت كل علاقتها بالكمبيوتر المحمول في غرفة الطعام، فوجدت وهي تغربل بريد هيلين الإلكتروني ثلاث رسائل أخيرًا، كانت أوّل رسالة تبدو شخصية بعض الشيء، وكان موضوعها: أوبرا الترنادوت؟

هيلين:

ما رأيك بأوبرا الترنادوت التي ستقام في الخامس من نيسان؟

أعلم أننا شاهدناها العام الفائت إلا أن هذا الإنتاج من المفترض أن يكون مذهلًا.

أعلميني بقرارك

سيلفي

بحثت فلورينس باستخدام محرّك البحث غوغل عن الاسم الموجود في البريد الإلكتروني، سيلفي دالود. إنّها مهندسة معمارية عاشت في نيويورك. ثم بحثت عن رسائل أخرى منها، فكان هناك العشرات، جميعها تقريبًا بخصوص الأوبرا، وكانت ردود هيلين مهذّبة ورسمية بالضبط كردود سيلفي، ففكرت فلورينس في أنّ هذه الردود لا تتّصف بكره الاعتدال كما زعمت هيلين.

كان على فلورينس تصفّح البريد الإلكتروني حتى تشرين الثاني قبل أن تجد بريدًا إلكترونيًا شخصيًا من شخص آخر غير سيلفي.

هيلين! أتمنى أن تكون هذه أنت بالفعل، لقد صادفت ريبيكا وأعطتني عنوان حسابك الإلكتروني ولكنّها قالت إنها لم تستخدمه منذ عصور. كيف حالك؟ هل أنت متزوّجة؟ هل لديك أطفال؟ أين تعيشين الآن؟ أنا ما زلت في جاكسون ومتزوّجة من تيم، ولدينا بنتان رائعتان وننتظر الثالثة. فلنقل أنّ تيم يعرف عن أميرات ديزني أكثر مما اعتقد أنّه سيعرف. على كل حال، أردت إلقاء التحية عليك وحسب، ما أزال أرى العصابة بانتظام وأدركنا جميعنا أنّنا لم نتحدّث إليك منذ زمن طويل. هل تعودين كما اعتدت إلى الزيارة؟ لقد بنينا قسمًا إضافيًا لمنزلنا مؤخّرًا، لا تسأليني عن هذا فبالكاد تعافيت منه، لذلك هناك غرفة ضيوف محجوزة باسمك.

مع قبلاتي

توري

بحثت فلورينس في ملف البريد الصادر، فلم تردّ هيلين على ذلك أبدًا، ولم تحاول توري مجدّدًا. فكّرت فلورينس في أنّه من العجيب أنّ هيلين لم ترغب في أن تبقى على اتّصال مع شخص استخدم بطريقة عادية عبارة وعلى كل حال من الأحوال في مراسلاته.

نظرت إلى تاريخ بحث هيلين، فوجدت مجموعة عشوائية من المصطلحات، مثل قلم حمرة قبلة القبلات الكريمي باللون الأحمر العاطفي، وكيف تستبدل جواز

سفر مفقود في بلد أجنبي، وأنظمة إطلاق السراح المشروط في ميسيسبي، وامرأة اسمها ليزا بلاكفورد، ومطعم في مكان يدعى سيمات في المغرب، وصفحة فلورينس على موقعي لينكد-إن وإنستغرام. احمرّت خجلًا عندما رأت هذا، إذ كانت فلورينس تشعر بالخزي من فكرة أن تبحث هيلين في حسابها الإنستغرام الذي بالكاد يضمّ حوالي ثلاثين متابعًا، وتطغى عليه بشكل أساسي صور الكلاب التي رأتها في الشارع، وصور اقتباسات من الكتب التي كانت تقرأها.

من المؤكّد أنّ هيلين بحثت عنها قبل أن توظّفها، وليس الأمر أنّها في موقع يخولّها الاستهزاء بحضور فلورينس على شبكات التواصل الاجتماعي، فهيلين نفسها ليس لديها أي أصدقاء سوى سيلفي وتوري، ولم يرن هاتفها الأرضي سوى مرّتين منذ أن أتت فلورينس إلى هنا، وكان المتّصل الأول مندوب مبيعات والثاني غريتا، وطلبت هيلين من فلورينس أن تخبرها بأنّها ليست في المنزل.

لم تعاود غريتا الاتّصال بفلورينس مباشرة إلا بعد عدّة أيام من محاولتها الفاشلة للوصول إلى هيلين.

قالت: "أنا سعيدة لسماعي أنّك وهيلين بدأتما بداية رائعة".

أجابت فلورينس: "بدأنا كذلك بالفعل، شكرًا لك". لا تزال غير واثقة من سبب اتصال غريتا بها على هاتفها المحمول.

"وأقدّر لك معاناتك من الردّ على كلّ تلك الرسائل القديمة المرسلة من فريقي. أعرف أنّه ليس عملًا مشوّقًا ولكنّه يجب أن يُنجز".

قالت فلورينس: "على الرحب والسعة". تعاملها غريتا باحترام كان غائبًا تمامًا في اجتماعهما الأول.

"اسمعي إذًا، قرأت قصصك، أعتقد أنّك تتمتّعين بالكثير من الإمكانيات، ولا أعتقد أنّها حيث تريدينها أن تكون بعد، ولكن يمكننا العمل عليها معًا إذا كنت مهتمّة".

نحن؟

تابعت غريتا: "أنا متأكّدة من أنّك تعلمين أنّ مجموعات القصص وبالتحديد تلك المكتوبة من قبل كتّاب غير معروفين صعبة البيع، ولكنّني لا أقول إنّها مستحيلة البيع".

أسرعت فلورينس للتوضيح: "أعرف، خطّتي هي أن أكتب روايةً، هذا ما سأفعله هنا في أثناء عملي مع هيلين".

"رائع، ربما سترغبين في أن ترسلي لي مسوّدة عندما تجهز لديك".

"حقًّا؟".

"بالطبع".

"شكرًا جزيلًا لك".

"اتصلي بلورين، وحدّدي موعدًا للتحدّث عندما تشعرين بأنّك جاهزة، ولكن اسمعي يا فلورينس، هناك شيء يمكنك فعله من أجلي في المقابل بما أنّك هناك".

تجهّمت فلورينس، ما الذي يمكنها تقديمه لغريتا فروست؟

"ليس لدي شكّ أنّ الرواية التي تعمل عليها هيلين ستكون رائعة ولكنّها متحفّظة بشكل لا يعقل بشأنها مما يصعب عليّ القيام بعملي، حسنًا، أتفهّم أن هذا الكتاب يتطلّب بحثًا أكبر من الكتاب الأول، وهذا جزء من سبب رغبتها في أن تكوني مساعدتها. ولكنّها لن تخبرني عن سعة هذا البحث أو نوعه أو المدّة التي سيستغرقها أو حتّى الموضوع الذي تبحث عنه. لا أعرف شيئًا تقريبًا، أدرك أنّ هيلين تجد بعض أجزاء عمل الكاتب مضجرة مثل الطباعة والمقابلات والتسويق، وأنا سعيدة بتفرّغها للتركّز على الكتابة الفعلية معظم الأوقات، ولكن يجب أن يهتمّ أحد بالتفاصيل الأخرى الأقل أهمّية، هل تفهمين؟".

"أعتقد ذلك".

"ما أقوله هو أنّني أرغب في أن أدعوك لمشاركتي في الطرف الاستراتيجي من الأمور. أعلم أنّك ستجدين هذا مساعدًا لك في مهنتك في المستقبل".

"بالطرف الاستراتيجي من الأمور؟".

"إنّه بالأساس ما نستطيع فعله لتحقيق النجاح للكتاب متجاوزين الكلمات الفعلية على الصفحات، كالتواصل مع محرّر هيلين والعديد من المعنيّين الآخرين، وإيجاد أفضل خطّ زمني للتسليم والنشر، وإنشاء خطّة للتسويق. فعلى سبيل المثال، سيكون من المثالي لو نُشر الكتاب في وقت قريب من إصدار الحلقة الأولى من مسلسل رقصة الفوكستورت في ميسيسبي. ولكن بالطبع، لأفعل كل هذا أحتاج إلى أن أعرف حول ماذا يتحدّث الكتاب الثاني وأين وصلت في عملية كتابته. وهنا يأتي دورك".

لم تقل فلورينس شيئًا.

قالت غريتا بسلاسة: "بالطبع، لم أكن لأطلب منك هذا لو لم يكن يصبّ في مصلحة هيلين".

ماطلت فلورينس بعض الوقت: "حسنًا، لا أعرف الكثير بعد، فلم أقرأ سوى فصلين".

"لا بأس، لماذا لا ترسلين إليّ أيًا كان ما طبعته حتّى الآن".

عضّت فلورينس على شفتها: "لست واثقة من أنّني مرتاحة لفعل هذا".

"حسنًا، انسِ الفكرة، سنبقي الأمر اعتياديًا، أخبريني بالخلاصة".

أخفضت فلورينس صوتها: "هيلين في الطابق العلويّ، وقد تسمعنا".

"فهمت، اتّصلي بي الليلة إذًا. نستطيع أن نتحدّث عن روايتك أيضًا، هذا ليس من أجل مصلحة هيلين فقط، فلا أستطيع أن أتصوّر أنّك تريدين أن تكوني مساعدة للكتّاب إلى الأبد".

لم تكن فلورينس مغفلة، عرفت أنّ غريتا تتلاعب بها، ولكنّ هذا لم يغيّر من حقيقة أنّ غريتا محقّة، فإذا نظرت إلى الصورة الأكبر ستجد أن غريتا تستطيع أن تفعل لفلورينس أكثر مما تستطيع هيلين. كما أنّ غريتا وهيلين على نفس الجبهة على أي حال.

أخيرًا قالت: "سأكون سعيدة بمساعدتك".

"رائع، علمت أنّك شابّة ذكية، أتعلمين أنّك تذكّرينني كثيرًا بهيلين عندما قابلتها للمرة الأولى. هل أخبرتك عن ذلك؟".

"قالت إنّها أرسلت مسوّدة إلى العديد من الوكلاء ولم تستطع تصديق حسن حظّها عندما قبلتُ بها".

أطلقت غريتا ضحكة قصيرة تشبه النباح: "أجل، أتخيّل أنّ هذه هي القصّة التي تحكيها، والحقيقة أكثر تعقيدًا بعض الشيء، كتبت لها عن قصد وقلت لها إنّ كتابها قويّ بشكل لا يُصدّق، ولكنّه كان قاسيًا وحادّ النهايات. أخبرتها أيضًا أنّني لا أقبل هذا النوع من الأعمال، وهناك وكلاء آخرون ملائمون أكثر له. أعتقد أنّني اقترحت بعض الأسماء حتّى. وبعد بضعة أسابيع، سمعت مساعدتي التي سبقت لورين والتي تدعى ريتشل تتناقش بصوت قوي مع شخص ما خارج المكتب. خرجت لأستطلع الأمر، ورأيت تلك المرأة التي يلمع الذكاء في عينيها وكان لديها أقوى لهجة جنوبية سمعتها في حياتي. في البداية اعتقدت أنّها تتظاهر بها، ولكن ظلّت هذه المرأة، أقصد هيلين بالطبع، ظلّت تقول إنّها أخذت موعدًا، وإنّها لن تغادر حتّى أقابلها. شرحت لي ريتشل ما حدث قائلةً إنّ هيلين اتّصلت بها باكرًا في ذلك الأسبوع متظاهرةُ بأنّها تعمل مع أحد عملائي لكي تحجز موعدًا باسم ذلك الكاتب، ثمّ جاءت بنفسها مقتنعةً بأنّنا سنسمح لها بالدخول على أي حال. أعتقد بأنّ ثقتها هذه مبرّرة لأنّني في النهاية دعوتها إلى مكتبي، وأغلب السبب في هذا يعود إلى أنّني استطعت أن أرى أنّ ريتشل بدأت تهلع. أسقطت هيلين مسوّدتها على مكتبي، وأخبرتني بأنّها راجعتها بناءً على ملاحظاتي، وأنّها تريد مني أن أقرأها مجدّدًا. ثمّ جلست على كرسي وقالت إنّها ستنتظر، مازلت أستطيع سماع رنّة صوتها، ولم أعرف حينها ما إن كان عليّ أن أبدأ بالضحك أم أن أتّصل بالأمن. ملخّص القصة: أخيرًا أخرجتها من مكتبي بعد أن وعدتها بأن أقرأ المسوّدة خلال العطلة ومن الواضح أنّني فعلت ذلك، وانتهى بي الأمر إلى أن قبلت بها عميلة لديّ. يمكن أن تكون هيلين ملحّةً كما تعرفين. في الحقيقة، أرى بعضًا من هذا الطموح والمثابرة فيك".

قالت فلورينس غير متأكّدةً من أنّها تتلقّى مديحًا: "شكرًا لك". تفضّل أن تُعرف بموهبتها بدلًا من تصميمها القوي.

"اسمعي إذًا، ألقي نظرة أخرى على المسوّدة هذه الظهيرة واتّصلي بي على هاتفي هذه الليلة. دائمًا ما أبقى مستيقظة حتى وقت متأخّر".

قالت فلورينس إنّها ستفعل وهي تشعر بخليط من العار والنشوة.

* * *

جاهدت فلورينس تلك الليلة في إعطاء غريتا أجوبةً لن تخيّب ظنّها، فقد اطّلعت على جزء صغير من العمل فقط، ولم تبدُ الكثير من هذه الأجزاء تتبّع ترتيبًا زمنيًا حتّى.

"أظنّ أنّها قد كتبت ما يقارب الستّين صفحةً، إنّها عن امرأة سافرت إلى المغرب للعمل مع صديق طفولتها، ولم يحدث الكثير حتّى الآن. ولكنّني أظنّ أنّ شيئًا سيّئًا سيحدث، فالنبرة سوداء وتنذر بالشرّ، ويبدو أنّها تبني الأحداث تجاه حدث هامّ، ولكن ليس لديّ أي فكرة عن ماهيته بعد. لا أعتقد أنّها تعرف ما هو بعد. تصبح مرهقةً حقًّا عندما تكتب، أستطيع سماعها تلعن وتلقي بالأغراض في مكتبها".

"حسنًا، هيلين لا تتّصف بالهدوء".

"قلّة من الكتّاب فقط يتّصفون بالهدوء".

"لا تبالغي في مدحها أكثر من اللازم يا فلورينس، لا يصبّ هذا في مصلحتها". ثمّ بدا أنّ غريتا تراجع طريقة قولها هذا فأضافت: "كيف حالك هناك بالمناسبة؟ صدّقيني، أعرف أنّ هيلين يمكن أن تكون شخصًا يصعب العمل معه، وأستطيع أن أتخيّل صعوبة العيش معها خصوصًا في ذلك المكان".

قالت فلورينس: "أحبّ ذلك في الواقع".

كانت فلورينس تقول الحقيقة كانت الخلوة عزوة بالنسبة إليها. فقد كبرت في شقّة كان بابها يظلّ ينفتح أو يُصفق باستمرار. دائمًا ما شّغلت أمّها التلفاز أو الراديو

أو كليهما. ولم تكن هي هادئةً أبدًا، غنّت، تمتمت، تحدّثت مع نفسها، تحدّثت مع فلورينس، تحدّثت على الهاتف، تحدّثت إلى الراديو أو التلفاز أو الجيران أو زوارها المتكرّرين. والموضوع الذي تكلّمت عنه أكثر من كل المواضيع الأخرى هو ابنتها، ابنتها الرائعة.

كان ملاذ فلورينس هو حمّامهما المشترك الصغير الذي كان مغطّى بالبلاط الأزرق المخضرّ المليء بمستحضرات فيرا التجميلية. أحبّت فلورينس أن يستغرق استحمامها وقتًا طويلًا، فكانت تستلقي في حوض الاستحمام ورأسها فوق الماء وركبتيها ممدودتين إلى الأعلى لتستمتع بالصمت الثقيل الذي يغلّفها، كانت ترتجف قليلًا مع دقّات قلبها.

هنا في عمق الغابة يعمّ الصمت المكان كل الوقت، ما عدا حين تشغّل هيلين الموسيقى، ولكنّ الأوبرا لم تزعج فلورينس كما فعل راديو أمّها عند سماع إعلانات بيع السيارات، وتقارير حركة المرور وأغاني الدي-جي الحادّة الصوت التي يبثّها. بدت الأوبرا كشكلٍ يخترق الصمت بهدوء.

إلى جانب ذلك، وجدت فلورينس علاقة هيلين بالأوبرا رائعة، فكيف انتقلت من العيش في بلدة هانتزفيل في ميسيسبي التي يبلغ تعداد سكّانها 3200 نسمة، حيث عرفت ذلك بعد بحثها في محرّك غوغل لتعرف كلمات أوبرا فيردي أو ماذا يطلقون على الطماطم في فرنسا؟

شعرت فلورينس عند وصولها إلى نيويورك بالإرباك بسبب المعلومات الغريبة المنتشرة والتي اقتصرت على فئة معيّنة من الناس، وتراكمت على ما يبدو لدى الجميع سواها. حاولت أن تبحث عبر الإنترنت ولكن المقدار الضّحل من المعلومات التي تزوّدت بها زادتها إرباكًا، فلم تُرد آراء أيّ أحد، أرادت فقط الرّأي الصّواب، وأرادت أن تعرف أنّ الورود الحمراء رديئة وأن تعرف كيف تنطق كلمة "مورَس"، فلن يفهم أناسٌ كأماندا لينكولن وإنغريد ثورن المنافع غير المعدودة التي تميّزهم عن الآخرين، هكذا كان يتمّ الحفاظ على ترتيب الهرم الاجتماعيّ، فالشخص الذي يكبر مع والدين يقرآن

لفيليب روث، ويذهبان إلى المسرح، ويخبران أطفالهما عن مكان وضع شوكتهم وسكاكينهم عندما ينتهون من الطعام سيرفض الآخرين على اعتبار أنّهم غير مثقّفين وبلا تهذيب، ويتحقّق ذات الأمر بنعتهم بالقمامة البيضاء من دون ذات النفحة الكلاسيكيّة. ولكن إذا ارتدت أمّك الملابس الضيّقة، وسمّرت بشرتها بزيت التسمير، وظنّت أنّ فيليب روث هو متجر أثاث رخيص في جاكسنفيل؛ ماذا سيفعل ذلك بك؟ أين سيتركك؟ وماذا إن أردتَ حياةً مختلفة؟ كيف تنتقل من النقطة أ إلى النقطة ب؟ وكيف تصبح ذلك النوع من الأشخاص الذين ينتمون إلى النقطة ب؟

لم تعرف فلورينس أجوبة هذه الأسئلة، ولكن هيلين فعلت بطريقةٍ ما وتعلّمت القواعد.

خلال أسبوعها الثالث بعيدًا عن المدينة. أخيرًا، سألت فلورينس هيلين كيف فعلت ذلك غير متأكّدةٍ ممّا إذا كانت هيلين ستفهم السؤال أو ستشعر بالإهانة إن فهمت، لكنّها ردّت بصراحة: "تمامًا مثلما تتوقّعين. راقبتُ عن كثبٍ، ثمّ خرجت من خلف الستار، وأدّيتُ الدّور. إذا تظاهرتِ لمدّة طويلةٍ كفاية يصبح أيّ شيءٍ طبيعيًّا وأعني طبيعيًّا بحقّ. لن أسمع الأوبرا أو أشرب النبيذ الثمين إن لم أكن أستمتع بهما حقًّا".

ذكّر ذلك فلورينس بفترة قصيرة من طفولتها عندما قرّرت والدتها أنّه يجب عليها أن تصبح ممثّلة، حيث سجّلت ابنتها في دروس التمثيل، وجرّتها إلى عدد لا يحصى من تجارب الأداء. كرهت فلورينس كلّ تفصيل من ذلك تقريبًا؛ الألعاب السخيفة التي لعبوها في الصّفّ، وتكلّف الأطفال الآخرين، وجذبهم للانتباه. لكنّها أحبّت التظاهر بكونها شخصًا آخر، فتتجرّد من كلّ شذوذها وتصبح نظيفة ونقيّة وفارغة، وكان ذلك عندما أدركت للمرّة الأولى أنّه بإمكانها أن تغيّر ذاتها لتصبح شخصًا جديدًا، شخصًا أفضل.

شعرت فلورينس أنها بدأت تنجز النّصف الأوّل من العمليّة وهو "التخريب" بعيشها شبه معزولة بعيدًا عن نيويورك، لطالما كان تفاعلها مع الآخرين الصِقالة

التي استخدمتها لتبني شخصيّتها، فمنذ أن تضاءلت تفاعلاتها هذه وقاربت على الزوال بدا أنّ فلورينس القديمة بدأت تتفكّك يومًا بعد يومٍ، لا مفرّ من استخدام هذه التعبيرات في الكلام. كانت سعيدةً لتحفيز الأمر حيث تخلّصت من الملابس القديمة، وطلبت من هيلين أن تعلّمها الطبخ، وراجعت تاريخ طلبات الأخيرة من موقع أمازون، وسجّلت ملاحظات حول الكتب التي اشترتها والأفلام التي شاهدتها، وابتكرت نوعًا من المناهج لتطوير الذات.

شعرت برغبةٍ قويّةٍ في البقاء بعيدة عن الأنظار، في الاختفاء، في أن تعود بعدها منتصرة في حلّةٍ جديدة، ولم ترغب في أن يشهد أحد العمليّة حيث سيكون ذلك بمثابة عرض مسوّدة غير منظّمة من كتاباتها، ولن تقوم هي بهذا أبدًا، على العكس من هيلين.

18

في الأسبوع الأول من نيسان، بدأت أزهار الكرز تتفتّح خارج نوافذ منزل فلورينس. وأخيرًا، قابلت أحد جيران هيلين. كانت قد اعتادت في أغلب المساءات على المشي في الغابة خلف منزلها قبل العشاء، وعلى الرغم من أنّ الغابة تغطّي مساحة اثني عشر فدانًا إلا أنها أشعرت فلورنس بأنّها لا محدودة. كانت تشعر بشعور ينذر بالشؤم في كلّ مرّةٍ عبرت فيها العتبة بين الحقل العشبيّ المُضاء والغابة المظلمة. تساءلت في أعماقها أحيانًا إذا كانت ستجد مخرجًا منها، ولكنّها أحبّت بقاءها هناك وحيدةً تمامًا تواجه المشهد نفسه الذي كان ليُشاهده ساكن في المنطقة في القرن الثّامن عشر. ذات مرة بعد أن صادفت كيسًا فارغًا من رقائق بطاطا تشيتوز شعرت بأنّها مشدوهة ومفزوعة كما لو كانت تشاهد جثّةً.

أثقلت الحياة في فلوريدا صدرها فشقّتها صغيرة والصّفوف قذرة، وحتّى الأماكن التي شرحت الصدر قبل قرون قد خُرّبت بداعي التطور، فالميناء بات طافحًا بالزوارق، والناس متناثرون على الشواطئ، ونيويورك تزداد تشوّهًا، والمكان الوحيد الذي أعطاها إحساسًا بحجم العالم وجماله كان في الكتب، لذلك أرادت أن تصبح كاتبة لتملك الدنيا بين يديها، وتشكّلها كيفما تشاء.

في ذلك المساء العليل الأنسام من شهر نيسان، وخلال تجوالها المعتاد في الغابة، سمعت حفيف الأشجار خلفها، فتوقّفت لتنصت أكثر، وأوّل ما التقطته أذناها كان صوت أنفاسها الثقيلة، وسرعان ما شاركتها أنفاس غليظة متبوعة بطرق دعساتٍ عَلا صوتها تدريجيًّا. همست إلى نفسها بأن تجري أو تختبئ، ولكنّها لم تقوَ على الحركة، وكان ذلك أشبه برؤية أحدهم يطاردك في الحلم، ولكنك تبقى

متسمِّرًا في مكانك عاجزًا عن تغيير مصيرك، لقد كانت مرعوبة.

ثمّ تفرّعت الأغصان أمامها، وانبثق طيفٌ أصفرُ متّجه نحوها مباشرةً، فرفعت يديها عاليًا، وحشرجت أنينًا لا إراديًا خفيفًا في حلقها.

كان ذلك كلب صيد مستردّ ذهبيّ.

عرّج نحوها بحماسة، وبدأ يهزّ مؤخّرته منقّلًا مساره كلّ بضع خطواتٍ، وأقحم رأسه بسعادة بين رجليها ضاربًا بذيله جيئةً وذهابًا مبعثرًا الأوراق والأغصان على الأرض.

تنهّدت فلورينس وأطلقت ضحكة مجنونة، ومدّت يديها لتحكّ أذنيه.

ثمّ جاء رجل ستينيٌّ ركضًا خلف كلبه: "بنتلي! اهدأ! أنا آسفٌ يا آنسة... بنتلي اهدأ!"

أجابت فلورينس على اعتذاره بتلويحها بيدها، وأخذت تداعب رأس الكلب وعنقه بقوّة فرفع رأسه ناظرًا إليها منتشيًا.

قال الرجل وهو يبطئ مشيته ويقف أمامها: "يبدو أنك تروقين له". كان يلبس قميص غولف أزرق مدسوسًا في سروال قصير، ويلهث بخفّةٍ، ويحمل في إحدى يديه واحدة من تلك الألعاب البلاستيكية التي ترمي كرات التنس لمسافات بعيدة.

"يستطيع بنتلي أن يميّز الشخص الذي يحب الكلاب عن بعد أميال".

قالت فلورينس بهدوء: "مرحبًا بنتلي، مرحبا يا صديقي".

راقبهما الرجل وعلت وجهه ابتسامة حنوٍّ، ثم قال مشيرًا إلى منزل هيلين: "هل تقيمين في ذلك المنزل آخر الطريق؟".

أكّدت فلورينس ما يقول.

سأل مقهقهًا: "ألم تنبّهك من وجود بنتلي الشرس والضخم؟".

"كلا، لم تذكر ذلك أبدًا". كان بنتلي يلعق كفّها بلسانه الرطب ذي النتوءات.

"ذهب إلى حديقتها مرة أو اثنتين وكادت تفقد عقلها، وعندما يراها بنتلي يخفض ذيله في الحال".

شعرت فلورينس بأنها مجبرة على أن تدافع عن هيلين: "أعتقد أنّها لا تحبّ الكلاب وحسب".

ردّ: "لا، هي حتمًا ليست كذلك، ولكنّني أعتقد أنها تحبّ من يحبّ الكلاب وهذا يشير إلى شيء ما، ثم إنك الزائر الثاني في غضون عدة أشهر الذي يحبّه بنتلي".

حملقت فلورينس مذهولة: "الزائر الثاني! متى قابلت الأول؟".

"لا أدري، ربما منذ وقت طويل، تمهّلي لأتذكّر، لقد كان هناك ثلج على الأرض حتمًا".

وضعت يدها على رأسها: "حقًّا؟".

نقلت فلورينس لاحقًا في تلك الليلة على العشاء وقائع لقائها إلى هيلين، وسألتها من كان الزائر فأجابتها: "ليس لدي أدنى فكرة، لابدّ أنّه كان شخصًا يقيم في منزل آخر، فلم يكن أحدٌ هنا".

قالت فلورينس مجدّدًا: "حقًّا؟".

"يا إلهي! إنّ ذلك الكلب مرعب".

"أتقصدين بنتلي؟ كان لطيفًا جدًا".

"لن تقولي هذا بعد أن يخرّب كلّ شتلات الطماطم ويحفر في حديقتك".

اخترق صوت يشبه قهقهة امرأة الصمت فجأةً.

نظرت فلورينس إلى هيلين بفزع: "ما هذا؟".

قالت هيلين وهي ترفع كتفيها: "ربما مجرّد حيوان ما".

"ربما؟".

مشت فلورينس إلى النافذة، ونظرت في عمق ظلام الليل، لم ترَ سوى انعكاسها.

ثمّ سمعته مرة أخرى قادمًا من مكان ما من جهة الطريق.

قالت: "سأذهب لأستطلع الأمر وحسب".

دخلت جنح الظلام البارد، فشعرت وكأنّها تنزلق في ثنايا معطف أسود بعد أن تجاوزت سطوع أضواء المنزل. اقتربت من حافّة ممرّ السيارات، ومدّت عنقها في الظلام وسمعت القهقهة مجددًا ومشت نحوها.

كانت هيلين محقّة، هناك بومة مستلقية على الأرض، تنظر إليها بعينيها الصفراوين الهلعتين، كانت عيناها كقطرتين من الحبر. لا دماء، لا إشارة تدلّ على أنّها مجروحة، ولكنّها تعاود الصراخ بإلحاح.

عادت فلورينس إلى المنزل.

"إنّها بومة، إنّها في وضع سيّئ، هل لديك قطعة قماش أو شيء ما يمكنني استخدامه؟".

"لأيّ غرض؟".

"لأحملها إلى الداخل، هل تعلمين ما إن كان هناك طبيب بيطري في البلدة يمكننا الاتّصال به؟".

"لن تحضري هذا الطائر إلى منزلي".

"أعتقد أنّها ستموت إن لم نساعدها".

"يحدث هذا في أغلب الأحيان، يأكل البوم الفئران التي التهمت سمّ الفئران".

"ماذا؟ هذا رهيب".

قالت هيلين وابتسمت ابتسامة متجهّمة وهي تخفي أسنانها: "رؤية فضلات الفئران على مخدّتك رهيب أيضًا".

وقفت فلورينس هناك تنظر إليها باهتمام شديد.

أخيرًا، قالت هيلين بسخط: "بحقّ الربّ يا فلورينس، إنها مجرّد بومة. بالكاد أحشد ما يكفي من الرأفة لتغطّي البشر الذين أعرفهم، فلم تُبنَ العقول البشرية لتستوعب كل هذه المعاناة، لقد صُمّمت لتنتج ما يكفي من التعاطف ليغطّي مجتمعاتها الصغيرة. لذلك أرجو منك ألا تطلبي مني أن أوسّع مخزوني الضئيل من أجل بومة".

قالت فلورينس بهدوء: "آسفة". ثمّ عادت إلى جلستها وأضافت: "كلّ ما في الأمر أنّني أعتقد أنّ هذه البومة جزء من مجتمعنا، إنّها هناك تمامًا". وأشارت إلى الباب بوهن.

"لقد أسأت فهمي يا فلورينس، لم أقل شيئًا عن مجتمعي الفعلي. ألم تسمعي؟ لقد قتلناهم جميعًا. مجتمعي هو أنا، ولا أشعر بأنّني مسؤولة عن أي شيء خارجه، إنّ البشر والطيور هما عندي سيّان".

صُدمت فلورينس، هل هذا شيء يمكنك تقريره وحسب؟ هل يمكنك تقرير أنّك لا تدين بأي شيء لأي أحد؟ لا يمكنها أن تعرف متى تتّخذ هيلين موقفًا لمجرّد أن تضيف الإثارة إلى المحادثة، ومتى تتّخذ الموقف لأنّها تؤمن فعلًا بما تقوله.

شعرت بهزّة قصيرة مفاجئة من البهجة، تخيّل لو أمكنك التخلّي عن كلّ المسؤوليات، يا له من أمر مريح! يا لها من حرية! يمكنك أن تفعل حينها أي شيء، يمكنك أن تبني أي حياة تريدها.

توقّف الصراخ القادم من طرف الظلام بعد عدّة دقائق.

19

قرابة أواسط نيسان، بدأت فلورينس تفعل شيئًا عرفت أنّه لا يجدر بها القيام به، أبدًا، ولكنّها لم تستطع أن تتوقّف عن فعله.

كلما قرأت فلورينس من رواية هيلين أكثر قلّ انبهارها، كانت الجمل مكتوبةً حسنًا والحبكة مقنعة ولكنّها افتقرت إلى إشراق وسلطة رواية رقصة الفوكستروت في ميسيسبي.

كانت تعمل في متجر الكتب في غينزفيل عندما صدر الكتاب. أعطاها إياه زميلها في العمل، يبجّله وكأنّه مذكّرات السيد المسيح الأصلية من أيام المراهقة. لخّصت أماندا لاحقًا في دار فوريستير شعور فلورينس بالضبط قائلةً عن مود ديكسن: "يمكنني أن أقتلها". كانتا تغاران منها، والغيرة بالطبع ملازمة طبيعية للطموح.

ذُهلت فلورينس بثقة وحيوية الكتابة، حاولت طباعة بعض الجمل، لأنّها قرأت أنّ جوان ديديون قد فعلت ذلك ذات مرة بكتاب همنغواي، فشعرت بأنّها تحوّلت وكأنّها كانت تكتب كتابها الخاصّ بأصابع هدّها التهاب المفاصل، ثمّ وجدت فجأةً العلاج.

ولكنّها لم تشعر بأيّ من ذلك عندما طبعت صفحات هيلين المكتوبة بخطّ اليد. في الواقع، فكّرت بينها وبين نفسها بأنّها تستطيع كتابة هذا، شعرت بابتهاج من نوع آخر وهكذا بدأ الأمر.

عندما لم تستطع فكّ شيفرة كلمة كتبتها هيلين، بدأت باتّخاذ القرارات بسرعة أكبر وبثقة أقوى، وتحوّلت العملية كلّها إلى روتين بعد وقت قصير، بل وأصبحت

في الحقيقة الجزء المفضّل لديها من العمل. في كلّ مرة انتقت فيها كلمة لتضعها في النسخة المطبوعة شعرت باندفاع صغير، وأحسّت وكأنّها شريكة هيلين لا مساعدتها وحسب.

وأصبحت أكثر شجاعة منذ تلك النقطة، بدأت بإضافة كلمات عرفت أنّها ليست ما كتبته هيلين، جعلت هذه الكلمات الكتاب أفضل، لقد فعلت ذلك بكل بساطة، ومن المؤكّد أنّ هيلين ستوافق عليها إن لاحظت ذلك، وقد تشكرها حتّى.

ولكنّ هيلين لم تلحظ، وكانت فلورينس كل يوم جمعة تحفظ نسخة جديدة من المسوّدة على الحاسوب المحمول وترسلها بواسطة البريد الإلكتروني إلى هيلين، فافترضت أنّ هيلين كانت تقرأها وتجري عليها التعديلات، ولكنّها لم تعد إليها أي شيء لتعيد طباعته، ولم تعلّق على أي كلمات غير مألوفة. بدأت فلورينس الاشتباه في أنّ كتاباتها قد ينتهي بها الأمر في الرواية فعلًا.

في أحد الصباحات الماطرة، كانت فلورينس قد كتبت الكلمة كارثيّ التي أظهرت تشابهًا ضعيفًا مع الشخبطة على الصفحة، ثمّ سمعت صوت إطارات سيارة تطحن الحصى في الخارج، فاستقامت في جلستها، إذ لم يأتهما زوار من قبل.

وقفت وابتعدت عن طاولة الطعام، ومدّت رأسها من النافذة، وهي لا تزال تضع ملعقة حبوب الإفطار في فمها. كان هناك سيارة شرطة في الممرّ، فشعرت بشعور عابر وغير عقلاني بأنّهم اشتبهوا في أمرها، واكتشفوا ما كانت تفعله بمسوّدة هيلين، فتقلّبت على نار خوفها وإحساسها بالذنب حتّى سمعت صوت خطوات تنزل الدرج.

قالت فلورينس لهيلين: "الشرطة هنا".

سألت هيلين: "ما الذي فعلته الآن؟ هل سرقت محلًّا لبيع الخمور؟".

مشت هيلين بهدوء نحو الباب الأماميّ، وانزلقت نحو الخارج تمامًا عندما صُفق باب السيارة، وأغلقت الباب خلفها بهدوء.

مدّت فلورينس رقبتها من النافذة لتحصل على رؤية أفضل، فرفع شرطي زائد الوزن ورمادي البشرة ورقيق الشعر بنطاله قبل أن يتهادى بأفضل طريقة ممكنة نحو

هيلين المنتصبة تحت الدرج، وكانت تحمي وجهها من الشمس تمامًا كما فعلت في المرّة الأولى التي قابلت فيها فلورينس.

لم تستطع فلورينس سماع ما كانا يقولانه، أشار الرجل نحو المنزل، ورفعت هيلين حاجبها وضحكت بخفّة. ثمّ استدارت وأشارت إلى المنزل أيضًا. وبينما كانت تفعل ذلك رأت وجه فلورينس عند النافذة، فتفحّصتها للحظة. تراجعت فلورينس وعادت إلى موقعها إلى طاولة الطعام، وحاولت أن تبدو منغمسة في عملها.

بعد عدّة دقائق دخلت هيلين المطبخ.

سألت فلورينس: "هل كل شيء بخير؟".

"يا إلهي! هل هذا ما أُنفق مال الضرائب عليه! ربما كان عليّ أن أخبّئ مالي في جزر كايمان".

"ماذا قال؟".

"بعض السخافات عن مخالفات السرعة".

"هل جاء إلى منزلك من أجل مخالفات السرعة فقط؟"

"حسنًا، في الواقع لديّ الكثير منها بالفعل".

تذكّرت فلورينس رحلة السيارة من محطّة القطار، يمكنها تصديق هذا.

"هل تريدين مني أن أهتمّ بهذا الأمر؟".

"لا، لا بأس، أستطيع التعامل مع هذا، أظنّ أنّها محشورة في درج مكتبي".

محت فلورينس المكدّرة بشكل غير اعتيادي كلمة كارثيّ حرفًا حرفًا.

مكتبة
t.me/t_pdf

20

بعد عدّة أيام من زيارة الشرطيّ، رفعت هيلين نظرها عن عشائها إلى فلورينس ووضعت شوكتها وسكينها وقالت: "فلورينس! أريد أن أسألك شيئًا".

تجمّدت فلورينس، وعرفت أنّها اكتُشفت. لماذا عبثت بمسوّدة هيلين؟ كان ذلك غبيًّا جدًّا، كانت مطوّقة كل الوقت بالخجل وانعدام الأمان لدرجة أنّ بعض الاندفاع المدمّر بدأ ينفجر منها بين الحين والآخر ويطالب بفعل متهوّر. إنّه نفس الاندفاع الذي جعلها ترسل تلك الصور إلى سايمون، وليس لها سيطرة عليه.

هيّأت فلورينس نفسها لتلقى التوبيخ، فكان هناك قطعة من اللحم بلا طعم وممضوغة بشكل مفرط في فمها ولم تستطع بلعها. كانت قد طهت اللحم بنفسها وفق سيل من توجيهات هيلين، فرفعت منديلها إلى فمها وبصقتها بهدوء.

قالت هيلين بدلًا من ذلك: "هل لديك جواز سفر؟".

أُخذتها هيلين على حين غرّة، فهزّت رأسها بالنفي.

"هل يمكنك الحصول على واحد؟".

"نعم، لماذا؟".

بدأت هيلين تشكّل لقمة متوازنة الأجزاء من اللحم والأرز وصلصة الطماطم بسكينها وشوكتها. مضغتها ببطء وهدوء، فكان هذا الأداءً المتعمّد تعرفه فلورينس، فهو يبقيها منتظرة.

أخيرًا، قالت هيلين: "اعتقدت أنّك قد ترغبين في الانضمام إليّ في رحلة بحث في المغرب، هل يثير هذا اهتمامك؟".

استغرق الأمر فلورينس لحظة لتعود إلى الواقع: "نعم، بالطبع". غمرها الارتياح.

"رائع، لماذا لا تذهبين إلى مؤسّسة الهجرة والجوازات في الغد، وترين إن كان بإمكانك الحصول على جواز مستعجل. وسأدفع الرسوم بالطبع".

"لماذا؟ متى سنرحل؟"

"في أقرب وقت ممكن، أشعر بأنّني عالقة في هذه الرواية، وأظنّ أن التواجد هناك سيساعدني، بدأت أسأم من الجلوس في بلد الأبقار، ألم تسأمي أنت؟".

لم تُجب فلورينس، لم تكن أكثر سعادةً في حياتها كلّها، تستيقظ كلّ صباح مغمورة بضوء الشمس الوردي الذي ينفذ من بين أوراق شجرة الكرز، وتفكّر بكلّ امتنان بأنّها هبطت حيث كان مقدّرًا لها. سألت: "هل عليّ أن أبحث عن رحلات الطيران؟".

"نعم، افعلي ذلك، اليوم هو... هل اليوم هو السبت؟ فلنذهب في نهاية الأسبوع، ربما سنذهب الأربعاء أو الخميس إذا أمكننا إيجاد مقاعد".

"بعد أربعة أيام من الآن؟".

"ولم لا؟ ما الهدف من الانتظار؟ يمكننا السفر إلى المغرب ثمّ القيادة إلى سيمات في اليوم التالي". سيمات بلدة صغيرة تقع على الساحل حيث تجري أحداث رواية هيلين.

"لا أعتقد أنّه هناك سببًا للانتظار، هل عليّ أن أحجز في الفندق أيضًا؟".

"احجزي أي مكان يبدو جيدًا بالنسبة إليك في مراكش، ولكنّ الفنادق في سيمات مشبوهة بعض الشيء. ابحثي عما إن كان هناك أي فيلات متوفّرة لنستأجرها، أي مكان لطيف".

"كم المدّة؟".

"فلنقل... أسبوعين؟"

أومأت إليها فلورينس برأسها وحسب.

رجّ هاتفها الموضوع على الطاولة إلى جانبها في تلك اللحظة تمامًا، فنظرت إلى الشاشة، إنّها رسالة أخرى من أمها تقول: "اتّصلي بي حالًا!" سقطت فلورينس

منذ أن انتقلت إلى السكن مع هيلين في عادة الانتظار يومين أو ثلاثة قبل أن تردّ على اتصالات أمّها، وبدأت ترى عيوب أمها أكثر وضوحًا الآن بعد أن تعرّفت إلى نساء مثل هيلين ويلكوكس وغريتا فروست.

قالت فلورينس وهي تقلب الهاتف: "أعتذر".

قالت هيلين: "يمكنك أن تردّي على الهاتف".

"أفضّل ألا أفعل، إنّها أمي".

"هل كلّ شيء بخير؟ يمكنك أن تتحدّثي إليّ عن ذلك فلست غريبةً عن دراما العائلات".

"لم يحدث شيء بيننا، أنا فقط... حسنًا، كنت أتجاهل اتّصالاتها في البداية لأنني لم أرد أن أخبرها أنّني تركت فوريستير، ثمّ بدأت أدرك أنّني أسعد حالًا لأنّني لا أتحدّث إليها". أطلقت فلورينس ضحكة ناعمة متوتّرة.

أومأت إليها هيلين برأسها: "كنت في موقع شبيه بموقعك عندما تركت هيندزفيل. حاولت البقاء على اتصال مع عائلتي ولكنّهم غالبًا ما أشعروني وكأنّهم ذلك الثقل الذي يظلّ يجرّني إلى الأسفل ويسحبني خلفه. كانت أمي متوفية في ذلك الوقت، ولكنّ أبي وجدّتي كرهاني بسبب رحيلي، واعتقدا أنّني تحوّلت إلى فتاة مدينة متعجرفة تدرس في أوكسفورد في ميسيسبي من بين كل الأماكن على الأرض. ما أعنيه هو أنّني لم أركب الطائرة راحلةً إلى باريس مثلًا. لذلك ظلّا يخزانني بكلامهما القاسي محاولين أن يقلّلا من قيمتي، وقد حصل الأمر نفسه في كل مرّة تحدّثت فيها إليهما. وفي النهاية توقّفت وحسب".

"توقّفت وحسب؟".

"توقّفت عن الاتّصال بهما، عن الكتابة إليهما، عن زيارتهما، فشعرت أنّ ذلك الثقل قد رُفع عن كاهلي. شعرت بأن أغلالي قد فُكّت. وحينها استطعت كتابة رقصة الفوكستروت في ميسيسبي، حينها فقط، عندما توقّفت عن القلق بشأن ما قد يعتقدان، توقفت عن القلق بشأنهما تمامًا. وخلق ذلك تلك المساحة الواسعة

المفتوحة التي كنت قادرةً على ملئها بشيء آخر، وتفجّرت الكلمات مني كما تتفجّر ينابيع الربيع".

"حقًّا؟".

"تأكّدي من صحّة كلامي، التخلّص منهما كان أفضل قرار اتّخذته في حياتي، ولو لم أفعل ذلك ما كنت لأصبح كاتبة".

استلقت فلورينس تلك الليلة في سريرها محدّقةً إلى السقف الذي لا يبعد سوى أربعة أقدام فوق وجهها في غرفة نومها في الطابق العُلويّ.

أيمكنها فعلها؟ أيمكنها تخليص حياتها من فيرا؟

ما قالته لهيلين كان جزء من الحقيقة، إذ أصبحت أكثر سعادةً مذ توقّفت عن التحدّث إلى أمّها، مكّنتها المسافات من رؤية أنّ كل محادثة معها تركت فلورينس قلقة.

كانت خيبة أمل أمّها، لقد عرفت ذلك. كما لو أن هناك شخصين منها في عيني أمّها، فلورينس القادرة العظيمة التي عشقتها، وفلورينس الحقيقية التي أحبطت آمال فيرا وأحلامها باستمرار.

تساءلت فلورينس: ربما هذا كان سبب عدول أمّها عن إظهار الكثير من الحنان لها، كانت لغتها دافئة، مليئة بكلمات مثل عزيزتي وحبيبتي ولكنّها دائمًا ما تخاطب زبائنها بكلمة عزيزتي أيضًا، حتّى بعد أن طلبت منها الإدارة التوقّف عن ذلك. ثمّ إنّ وجود كل تلك الأسئلة الفارغة من قبل "من أكثر شخص يحبّك؟" كان أسوأ من غيابها تمامًا.

ما أرادته فلورينس هو أن تثبت لأمّها أنّ فلورينس الحقيقية التي هي عليها الآن تستطيع أن تكون عظيمة. لقد سئمت من أن تشعر بأنّها لا ترتقي إلى مستوى مثاليّات فيرا، أرادت فلورينس أن تجد العظمة بنفسها ولم ترد أن تأخذ أمّها أيّ فضل في هذا.

ربما كان هذا اختبارًا، إذا قدرت على إبعاد أمّها، فستكون جائزتها كجائزة هيلين، الانعتاق، إطلاق العنان لموهبتها، تيّار جارف من الروعة، نسختها الخاصّة من رواية رقصة الفوكستروت في ميسيسبي.

لقد قالت هيلين تأكّدي من صحّة كلامي، ما كنت لأصبح كاتبة لو لم أفعل ذلك.

نظرت فلورينس إلى هاتفها المضيء وسط الظلام، وحملته بيدها وكأنّه حجاب يضمّ تعويذة، ثمّ كتبت رسالة إلى أمّها: *سأغادر البلاد لبعض الوقت من أجل العمل، لن أتواصل معك في أثناء سفري. أقنعت نفسها بأنّها* لم تفعل شيئًا نهائيًا، هذه مجرّد تجربة بسيطة للانفصال.

بدأ هاتفها بالرنين بعد أن أرسلتها مباشرةً تقريبًا.

صمّتته ثم أطفأته.

21

في ظهيرة اليوم التالي، وقفت فلورينس أمام متجر دنكن دونت القديم الذي يقع على بعد مربّع سكني من مكتب دار فوريستير. كانت تعضّ على قشّة قهوتها المثلجّة وهي تشرب منها، وتنظر إلى الأعلى باتجاه مبناها القديم. لقد وقفت في المكان نفسه وفعلت الأمر نفسه عندما جاءت لإجراء مقابلتها في دار فوريستير، وكانت في الرابعة والعشرين من عمرها وعلى وشك أن تغيّر حياتها جذريًا للمرّة الأولى.

ذلك الصباح استقلّت القطار لتصل إلى منهاتن، وأقرب مكان لتستصدر جواز سفر هو مكتب جوازات الولايات المتّحدة الأميركية في شارع هيودسن الذي صادف أنه قبالة دار فوريستير. لا يُسمح لها بالاقتراب أكثر من مسافة خمسمئة قدم منه بحسب قرار الإبعاد الذي حصل عليه سايمون، ولكنّها قرّرت أنّ بعض المخاطر تستحقّ المجازفة.

نظرت إلى أعلى البناء، وحاولت أن تجد نافذته، هل تبلغ المسافة مباشرةً خمسمئة قدم؟ مكتب سايمون في الطابق الرابع عشر، يبعد بشكل عاموديّ ثلث تلك المسافة تقريبًا.

"فلورينس؟".

استدارت لتجد أماندا لينكولن تمشي باتجاهها مبتسمة ومندهشة.

"اعتقدت أنّها أنت، ما الذي تفعلينه هنا؟ هل ستعودين إلى دار فوريستير؟".

قالت بطريقة آلية وهي تشير بطريقة مبهمة باتجاه الغرب: "لا، عندي اجتماع بالقرب من هنا". أدركت أنّ الشيء الوحيد الموجود غرب دار فوريستير هو مصنع شرائح إلكترونية.

"هذه يعني أنت لا تزالين تقيمين في المدينة؟ اختفيت تمامًا لذلك اعتقدنا أنّك قد غادرتِ البلاد".

عرفت فلورينس أنّ أماندا احتاجت إلى بعض المعلومات التي تستطيع نقلها لاهثةً إلى زملائها في الطابق العلوي. قد تقول: "لن تصدّقوا يا رفاق من صادفت للتو!" لم تستطع فلورينس أن تتخيّل ما قد قالوه عندما انتشرت قصة الصور.

"لا، أنا أسكن بالقرب من هيودسن الآن، أحب ذلك، فمن المريح أن أكون خارج المدينة، صدقًا أقول لك، لطالما وجدت أنهم يبالغون في تقدير المدينة بعض الشيء". ثمّ أضافت بتهوّر: "يجب أن تأتي للزيارة".

"أودّ ذلك حقًّا".

حافظت على التواصل البصري، كلّ منهما تدرك أنّ هذه النتيجة سخيفة فهما لم تكونا صديقتين أبدًا، وكانتا تتظاهران بالشجاعة والجرأة وحسب.

هُزمت فلورينس أولًا: "لا أستطيع دعوتك لسوء الحظ، أسكن في بيت للضيافة تابع لمعلّم لي ولكنّه صغير جدًا".

قالت أماندا ضاحكةً: "يبدو هذا رائعًا، يجب أن أحصل على معلّم مع بيت للضيافة، كيف تعرّفت إليه؟"

"تعرّفت إليها".

"أعتذر، افترضت أن يكون معلّمك ذكرًا".

أحسّت فلورينس بوخز مألوفٍ في أصابعها وبحرارة تحرق أحشائها، وأرادت بشدّة أن تُهين أماندا، أن تجعلها تشعر بسخافتها، أغلب الظنّ أنّ أماندا لم تشعر بسخافتها أبدًا في حياتها كلّها. غرزت أظافرها في باطن يدها اليسرى، ولكنّ أظافرها لم تكن حادّة بما يكفي.

قالت فلورينس: "يجب أن أرحل، سأتأخر".

"لا! حسنًا، لقد كان من الجيّد لقاؤك".

انحنت أماندا لتقبّلها على خدّها فاستجابت لها فلورينس وبادلتها العناق محرجة، وانتهى بها الأمر بفم مليء بشعر أماندا.

صاحت فلورينس بينما كانت أماندا تمشي بعيدًا: "انتظري! هل يمكنك أن توصلي رسالةً إلى لوسي؟".

أومأت إليها أماندا برأسها.

"أخبريها أنّني آسفة، وأنّني سأتّصل بها لأشرح لها كلّ شيء قريبًا".

أعادت التفكير في كل اللقاء لاحقًا عندما كانت في طابور الانتظار في مكتب الجوازات، يمكن أن تخبر أماندا الشرطة عنها لأنّها انتهكت أمر التقييد، أو يمكن أن تخبر سايمون. نعم، هذا ما ستفعله، وافترضت فلورينس أنّها يمكنها إنكار ذلك، فهي ستغادر البلاد بعد بضعة أيام على كل حال.

لم تسافر لما هو أبعد من لوس أنجلوس أبدًا من قبل، ركبت الطائرة لتقديم اختبار أداء عندما كانت في التاسعة من عمرها. وكانت أمّها ثملة من الحماسة في طريق الذهاب، ومتجهّمة من خيبة الأمل في طريق العودة.

شعرت فلورينس بأنّها هي أيضًا ستعود شخصًا آخر، وأنّ السفر سيغيّرها، أدركت أنّه من المحال أن يكون التغيّر مرنًا سلسًا، بل ستعترض طريقك مطبّاته وضرباته وعثراته وتفجيراته. يحدث أن يغمرك شعور مؤكّد بأنّك تملك الحصانة خلال الفترة ما بين تلاشي الهويّة القديمة واكتمال بناء الشخصية الجديدة، كما لو كان كلّ شيء مجرّد من معناه، أنت لست نفسك، أنت لست أحدًا.

بدأت تعدّ ساعات فلورينس الأخيرة، ساعات الشخص الذي تكونه الآن. كانت فكرة سعيدة. لقد كرهت نفسها حتّى الموت، وهذه إحدى مشاكل بقائك محبوسًا دائمًا داخل قصر أفكارك، العالم الخارجي ليس صاخبًا بما يكفي ليُطفئ الحوار الدائم الذي يجري داخلك مع ذاتك، ليُطفئ القرف نفسه الذي يقضّ مضجعك يومًا بعد يوم. هل تحبني؟ هل مظهري جيد؟ هل سأكون سعيدة في حياتي؟ هل سأصبح ناجحة؟ يشبه الأمر مشاهدة الفيلم نفسه مرارًا وتكرارًا كل يوم

لمدة سنوات. ألم تكن هذه طريقة لتعذيب البشر؟

"فلورينس دارو؟".

إنه الرجل الذي أخذ منها استمارتها وصورتها الفوتوغرافية قبل عشرين دقيقة، لم تسمع فلورينس شيئًا، كانت جاثمة على مقعد خشبي تشاهد امرأة عجوز تملأ طلب الحصول على جواز سفر بيد بطيئة مرتجفة، فشعرت فلورينس برغبة مفاجئة في أن تنتزع القلم من يديها المصابتين بالتهاب المفاصل وترميه إلى آخر الغرفة. يا لها من عجوز شمطاء متعبة! كيف ستتنقل ما بين الجمارك والأمن وهي لا تستطيع ملء استمارة لعينة؟ اشتعل جسم فلورينس بالسخط الشديد، لم تعرف حتّى لماذا هي غاضبة، لقد أشعرها شيء ما بشأن هشاشة هذه المرأة بالإهانة.

حملت على نفسها ونظرت بعيدًا، وأخذت أنفاسًا عميقة بطيئة. عرفت من تجاربها أنّ الغضب سيمضي، ولم تعد تُفكّر في أماندا لينكولن، وقرّرت الاعتراف بكل شيء للوسي عندما تعود إلى الولايات المتحدة. أخبرت نفسها بأن هذا لأنّ صديقتها لم تستحقّ أن تُهجر، ولكنّها عرفت أنّ الحقيقة أقلّ تقدير لها، أرادت أن يشهد شخص ما على المكانة التي ارتقت إليها.

"فلورينس دارو؟".

كان عليها أن تحضّ نفسها على الصراخ: "أنا".

القسم الثالث

22

اهتزت طائرتهما بعنف عندما هبطت في مراكش، وانحرفت نحو اليسار، لقد استغرقت رحلتهما قرابة ست عشرة ساعة، من نيويورك إلى لشبونة ومن لشبونة إلى مراكش. جلست فلورينس بمفردها في الدرجة السياحية أمّا هيلين فكانت في درجة رجال الأعمال، وجلس رجل عربيّ ضعيف البنية إلى جانب فلورينس، ولكنّهما لم يتجاذبا أطراف الحديث خلال الرحلة. وبينما سارت الطائرة نحو المطار استدار نحوها وقال لها: "أترين الرياح التي تعصف بتلك الأشجار؟". انحنى باتجاهها وضغط بإصبع جميل على النافذة البلاستيكية وأضاف: "إنّها الرياح الشرقية، تهبّ من الصحراء الكبرى يبدو أنها أتت باكرًا هذا العام".

"ما الذي تفعله؟".

قال مبتسمًا: "تجلب معها الحرّ والغبار، وإن سألت جدّتي فستخبرك بأنّها تجلب سوء الطالع".

توقّفت الطائرة بعيدًا على مدرج المطار، وجرّ رجلان درجًا إلى جانبها لتسهيل نزول الركاب، فشعرت فلورينس حالما ترجلّت بهبوب الرياح الشرقية، التي نثرت شعرها حول وجهها وأدخلته في فمها. انضمّ أزيز محرّكات الطائرة التي كان ينطفئ إلى صفير الرياح، فكانت الحرارة والضوضاء مربكتين. أمّا هيلين فبدت مفعمة بالنشاط على الرغم من الحرّ والعاصفة العنيفة، وعيناها تتوهّجان وقد ابتسمت ابتسامة واسعة لفلورينس.

صاحت وسط هبوب الريح: "مرحبًا بالمغامرة!".

حمل رجلان يقفان على المدرج أسلحةً أتوماتيكيةً ويرتديان ملابس عسكرية ويعتمران قبعتين خضراوين ويتبعان خطّ المسافرين بعيون ضجرة. كان هناك مطاران، واحد قديم إلى الجهة اليمنى مؤلّف من طابقين مطليّين بلون وردي وفوقهما لوحة تقول: "مطار مراكش المنارة" باللغتين العربية والفرنسية، والآخر ينتصب بجانبه برّاقًا جديدًا، يبدو كوحش من البلاستيك الأبيض اللامع أو كطاولة من متجر إيكيا، له واجهة نحاسية ضخمة. أشير إليهم بأن يتّجهوا نحو المبنى الثاني حيث استقبلهم سجّاد ملون بألف لون ولون وأسطح لامعة، كان من الممكن أن تكون في أي قاعة اجتماعات في وسط أميركا، فشعرت فلورينس بالخيبة إذ توقّعت شيئًا أكثر غرابةً.

لم تظهر فلورينس مع هيلين في مكان عام قبل أن تصلا إلى مطار جون كينيدي. تجسّدت القسوة الموسمية وقلة الصبر اللتين تصبغان طباع هيلين واللتين اعتادت عليهما فلورينس للمرة الأولى بشكل ملموس. كانت تفرّق الحشود كأنّها الرصاصة القاتلة، بينما حُشرت فلورينس خلفها محاولةً ألا تضيع. شكّلت هذه الكفاءة العالية ارتياحًا بالنسبة إلى فلورينس، فشعرت بأنّها تستقرّ على دور حامية هيلين، وستأخذ استراحة من كل المسؤوليات في الوقت الراهن، أبقت تركيزها على ظهر هيلين، وحجبت كلّ شيء آخر.

مرة أخرى، انطلقت هيلين نحو مقدّمة قطيع المسافرين النازلين من طائرتهم. ولكنّها واجهت أفعى طويلة مؤلفة من مئات الأشخاص عند صالة الجمارك الكبيرة الواسعة في مراكش، وبرز من جسم هذه الأفعى نتوءات من العائلات والمجموعات السياحية وكأنما الأفعى كانت تهضم عدة فئران كاملة. توقّفت هيلين عندما رأت الطابور، ثمّ غيرت مسارها، واتّجهت مباشرةً نحو امرأة ترتدي الزي الرسمي.

قالت لها باللغة الإنكليزية ومن دون أي استفاضة: "أنا حامل". رمقت المرأة معدة هيلين المسطحة بنظرة لم تدم سوى جزء من ثانية وقالت: "بالطبع". وقادتهما نحو

طابور أقصر مكوّن من ستة أو سبعة أشخاص محاطين بمعدات ذوي الاحتياجات الخاصة من نقالات، وكراسٍ متحركة، وعكّازات. ألقت فلورينس نظرة خاطفة على الأشخاص الذين سينتظرون ساعة أو ساعتين في الطابور الأطول، وشعرت بالسعادة لأنّها لم تعد تقف معهم، ولم تعد ترغب في أن يعرقلها الهوس بالخطأ والصواب وبأن تتخلّى عن أي فرصة للحصول على حياة مثيرة ومحمّسة بسبب هوس مزرٍ بالقواعد. بدا هذا الهوس متدني المستوى ومثير للشفقة بشكل مبهم بالنسبة إليها الآن.

كانت فلورينس قد طلبت سائق سيارة عن طريق الفندق ووجدتاه خارج منطقة استرداد الحقائب يمسك بلافتة مكتوب عليها ويلكوك. كان يرتدي سترة طويلة بلونٍ رملي فوق بنطال من الجينز الأسود وحذاء من نوع ريبوك. قدّم نفسه باسم حمزة قبل أن يرشدهما إلى الخارج نحو سيارة حديثة من نوع فيات متوقّفة في مرأب السيارات. شعرت فلورينس بالخيبة مجدّدًا، ما الذي كانت تتوقّعه؟ هل توقّعت وجود جملٍ لا سيارة؟

ساروا على طرقات معبّدة حديثة متجاوزين اللوحات الإعلانية المضاءة، والمكتوب على العديد منها باللغة الإنجليزية، وداروا حول إشارات مرورية ومستديرات مزروعة بالأزهار الأنيقة المرتّبة، وتجاوزوا أبنية كبيرة عالية لها لوحات مشعّة وشلالات مضاءة. فبدت المدينة شبيهة بلاس فيغاس.

أخيرًا، وصلوا إلى السور المحيط بالمدينة القديمة، فأخبرهم حمزة أنّ السور قد بُني في القرن الثاني عشر، كان الطين بلون أصفر دافئ ويتوهّج تحت شمس بعد الظهر، وكان يتخلّل السور حفر ضخمة، بعضها مسدود بالخشب. قرأت فلورينس في أحد الكتب التي حدّدتها لها هيلين أنّ مراكش تُعرف بلقب المدينة الحمراء، على الرغم من أنّها بدت مائلة إلى اللون الوردي بالنسبة إليها. قالت ذلك لحمزة الذي أخبرهما أنّ حكومة الانتداب الفرنسي أجبرتهم على طلاء كل الأبنية باللون الورديّ.

دخلوا من خلال باب الجديد وهو واحد من أكثر البوابات المؤدّية إلى المدينة القديمة ازدحامًا، وارتفعت من فوقهم المئذنة الشاهقة لجامع قتيبة المنحوت عليها

زخرفات معقّدة، يعلوها أربع دوائر مذهّبة، كانت مرئيةً من كل نواحي المدينة الوطيئة حيث لم يكن يُسمح للأبنية العادية بتجاوز ارتفاع شجرة النخيل. كانت فلورينس قد قرأت أنّ أحدهم قد اكتشف بعد بناء الجامع الأصلي أنّه لا يتّسق بشكل صحيح مع مكة فهُدم البناء كلّه. وعرفت فلورينس أنّ فندقهما لم يكن بعيدًا عنه.

هنا تعمّ الفوضى وتزدحم الطرقات أكثر من الطرقات السريعة الحديثة خارج سور المدينة ولكنّ السيارات، والحمير، والدراجات النارية، والعربات الخضراء التي تجرّها الجياد تنقّلت في المكان بلا حوادث. مدّت فلورينس رأسها من النافذة، تتمتّع الأبنية هنا بجمال ساحر يغيب تمامًا عن الأبنية في فلوريدا أو حتّى في نيويورك. بدا النحت الهندسي والبلاط الملوّن غاليًا ويتطلّب الكثير من العمال، فأحبت فلورينس رومنسية المكان، وتحاشت الأفكار العملية من أجل الانغماس في سحرها، وقد رسمت أشجار النخيل على الواجهات ظلالًا متراقصةً.

توقّف حمزة عند مفترق طرق مزدحم بعد أن قاد السيارة في المدينة القديمة لعشر دقائق أو نحو ذلك، ثمّ ركنها.

سألته فلورينس: "ما الذي تفعله؟".

قال: "لقد وصلنا".

نظرت فلورينس حولها، لقد تجاوزوا عدّة شوارع جانبية ساحرة في طريقهم، ولكنّ هذا الشارع ليس واحدًا منها. كان هناك دزينات من الرجال يجلسون على كراسٍ بلاستيكيةٍ بيضاء على قارعة الطريق، إطلاق اسم الرصيف على مكانهم يبدو فيه شيء من المغالاة، وصدحت الموسيقى من مطعم عند الزاوية وكان بجانبه متجر لبيع إطارات وبطاريات السيارات.

قالت هيلين بثبات: "ساحر".

قالت فلورينس وهي تهزّ رأسها: "لا! لا!" فتحت ورقة مطبوع عليها حجز فندقهما وأرته إيّاها. لقد اختارته بعد ساعات من البحث، وهو واحة مخفيّة ترشح بالسحر المحلّي تبعًا لموقع تريب-أدفايزر.

قالت وهي تخز الورقة بإصبعها: "رياض بيلسا، الواحة المخفية التي ترشح بالسحر المحلّي".

قال موافقًا: "نعم، إنّه فندق لطيف". ترجّل من السيارة، ودار إلى صندوقها وناول حقائبهما إلى رجل طويل نحيل يقف مكتوف اليدين بالقرب من السيارة، وضعها الرجل بدوره على عربة كبيرة تُدفع باليدين موجودة بجانبه، وبدأ بدفعها في زقاق لم تلحظه فلورينس.

قالت فلورينس بلا جدوى: "انتظر".

شرح حمزة بصبر: "لا أستطيع أن أسير بواسطة السيارة أبعد من هنا، سيأخذكما هذا الرجل إلى الفندق".

قالت فلورينس لهيلين بهدوء: "لا يبدو هذا صحيحًا".

رفعت هيلين كتفيها باستغراب بينما بحثت في محفظتها عن بعض النقود لتعطي حمزة إكرامية: "أنا متأكّدة من أنّ الفندق لا بأس به، فاسمه محترم ويلائم فندقًا محترمًا".

تبعت فلورينس هيلين على مضض في الطريق المظلم.

همست: "لست واثقةً من أنّ ما نفعله فكرة سديدة".

قالت هيلين: "الهلع إضاعة للطاقة يا فلورينس".

تبعتا الرجل الذي يجرّ العربة في هذه المتاهة، كلّ انعطافٍ كشف عن رواق آخر ذي ضوء خافت خالٍ من كل مخلوق عدا القطط التي تتسلّل بمحاذاة الجدران، فحاولت فلورينس أن تبحث عن لوحات باسم الشوارع، ولكن بدت كل الأزقّة بلا أسماء.

ارتفع نداء الصلاة وقتها تمامًا من جامع قتيبة. بدا صوت الأذان كالنحيب بالنسبة إلى فلورينس، فنظرت إلى الأعلى ولكنّها اكتشفت أنّ الجدران أعلى وأقرب من بعضها من أن تسمح برؤية المئذنة.

أخيرًا، دخلوا زقاقًا ذا نهاية مسدودة، ورأوا بابًا خشبيًا منحوتًا، وفي أعلاه لوحة ذهبية كتب عليها فندق بيلسا. تعرّفت فلورينس إلى المدخل من الصور على موقع

تريب-أدفايزر. لوّح الرجل بمطرقة الباب النحاسية الكبيرة، ففتحت الباب امرأة سمينة مبتسمة تضع حجابًا. حيّتهما بدفء قائلةً: "السلام عليكم، نهاركم سعيد، أهلًا وسهلًا". وأشارت إليهما للمرور بساحة صغيرة إلى ساحة أكبر، كانت الساحة الثانية تحيط بنافورة ماء رقراق، وهي مليئة بأشجار الحمضيات والرمان التي تتدلّى فروعها المورقة. كانت الأرضية والجدران مغطّاة ببلاط أسود وأحمر وأخضر. أجلستهما إلى طاولة مدسوسة تحت تعريشة العنب، ثمّ عادت ومعها صحن من التمر وكأسين صغيرين من الحليب. نظرت فلورينس حولها بارتياح.

بعد وقت قصير، وصل رجل يرتدي بذلة من ثلاث قطع وجلس معهما.

قال بلهجة بريطانية: "نهارًا سعيدًا". ترك مشطه تموّجات صلبة على شعره الأسود اللامع. "مرحبًا بكم في فندق بيلسا، أنا المدير نديم".

سألهما من أين هما وكيف كانت رحلتهما، ثمّ قال: "أعتذر منكما ولكن دعونا ننتقل إلى الرسميات إذا لم تمانعا، تستطيعان بعدها التمتّع بباقي الزيارة من دون قلق". مرّر ورقتين من طرفه إلى الطرف الآخر من الطاولة وأردف: "نحتاج إلى أن نسألكما بعض الأسئلة من أجل الشرطة، يطالبوننا بأن نبلغ كل ليلة عن الوافدين الجدد، شعرنا بالحرية في ملء معظم معلوماتكما من أجل حجزكما، ولكن ستحتاجان إلى إضافة مهنتيكما وتوقيعكما هنا وهنا". تفحّصت فلورينس استمارتها، كانت معنونة باسم بيان فردي للفندق ومكتوب فيها اسمها وعنوانها ورقم جواز سفرها.

سألهما نديم: "هل لي أن أسألكما عن مهنتيكما؟".

أجابت هيلين وفلورينس في الوقت نفسه "كاتبة" و"مساعدة".

قال لفلورينس: "مساعدة! هذا جيّد جدًّا". ثمّ استدار إلى هيلين وأضاف: "ولكن أرجو منك ألا تكتبي كاتبة، سيثير هذا اهتمام الشرطة، سيظنون أنّك تكتبين المقالات السياسية أو ما يشوّه سمعة بلدنا. وسيطلبون منا أن نخبرهم أين تذهبين وما تصوّرينه، وسيسبّب هذا لنا وجع الرأس، أنا أؤكّد لك هذا، أرجوك اكتبي بائعة أو مديرة، فهذا أفضل".

بدت هيلين سعيدة بهذه المهزلة: "حسنًا سأكتب مديرة إذًا، ما الذي أديره؟ مصنعًا؟".

قال نديم بجفاف: "لا بأس بأن تكتبي كلمة مديرة فقط".

قالت هيلين بابتهاج تقريبًا: "أصنع المحرّكات بشكل أساسي، محرّكات من أجل القوارب، من أجل كلّ العربات التي تمشي على الماء في الواقع، إذا كان يعوم فنحن نقوم بتأمين الطاقة من أجله، نستخدم المحرّكات في ذلك. قد نحتاج إلى أن نعمل على هذا الشعار، ما رأيك يا فلورينس؟".

ابتسمت فلورينس بشكّ، لم تعتد على رؤية هذا الجانب اللعوب من هيلين.

قال نديم مجدّدًا: "كلمة مديرة وحدها تفي بالغرض". ثم أضاف وهو ينظر إلى حاسوبه اللوحي: "ستبقيان هنا لليلة واحدة فقط كما فهمت، أليس كذلك؟".

أومأتا إليه برأسيهما، ستتوجّهان في اليوم التالي غربًا إلى سيمات.

"هل يمكن أن أقترح عليكما في هذه الحالة مخطّطًا للرحلة خلال فترة إقامتكما القصيرة التي ستمضيانها هنا؟ قصر البديع هو قصر مهدّم ليس بعيدًا عن هنا، إنّه رائع، يستحقّ الزيارة فعلًا، وعليكما أيضًا الذهاب بجولة سريعة في الأسواق، وسأكون سعيدًا بأن أقدم قائمةً بأفضل بائعي الجلود والمجوهرات أو بائعي أي شيء تبحثان عنه".

قالت هيلين معترضة: "حسنًا، قد نفعل ذلك". عرفت فلورينس أنّها لا تحب أن تُملى عليها الخطط، اكتشفت ذلك عندما اقترحت عليها الانعطاف للمرور بجبال الأطلس في طريقهما إلى الشاطئ، فرمقتها هيلين بنظرة استمرّت ثوان ثمّ غادرت الغرفة.

"أؤكّد لكما أنّ هذا آمن يا سيدتي، هناك العديد من رجال الشرطة في الأسواق، عملهم الوحيد هو حماية السيّاح. يتظاهرون بأنّهم سكارى وذوي مستوٍ وضيع، ويتّكئون على جدران المباني، ويجلسون على الأرض، وفي اللحظة التي يرون فيها شيء ما يضربون ضربتهم". صفّق بيديه بقوّة فانتشر الصدى في أرجاء الساحة.

رفعت فلورينس حاجبها: "حقًّا؟".

أضاف وهو يغمزها بعينه: "أجل بالطبع، فكلّ شخص في مراكش يتظاهر بأنه شخص آخر يختلف عنه".

قالت هيلين وهي تهمّ بالوقوف: "أعتقد أنّنا سنذهب إلى غرفنا الآن". فركت عينيها، بدا أنّها انكمشت بغتةً، كان على فلورينس أن تذكّر نفسها بأنّ هيلين ليست معتادة على السفر حول العالم أكثر مما كانت هي نفسها معتادةً عليه. كانت الساعة الرابعة بعد الظهر في مراكش وكانتا مستيقظتين منذ أكثر من عشرين ساعة. لقد أزال الإرهاق وتعب السفر أي فضول بقي داخلهما حول المدينة، توقّعت أنّ هيلين متلهّفة للاستلقاء كما كانت حالها هي.

"بالطبع يا سيدتي". قادهما نديم إلى الطابق الثاني عبر درج حديديّ. "هذا منزل مغربي تقليدي، بُني حول حديقة مفتوحة في الطابق الأرضي". نظرت فلورينس من فوق السياج الحجريّ في الطابق العلوي إلى الساحة في الأسفل، غرفتاهما تقابلان بعضهما وبينهما الهوّة. توقّفوا عند غرفة هيلين أولًا، واتّفقت هي وفلورينس على اللقاء في الأسفل في الساعة السابعة من أجل تناول العشاء.

ثمّ قاد نديم فلورينس إلى غرفتها، فلاحظت وهي تمرّ من الباب المقوّس حلقة على الباب الخشبي وواحدة تشبهها على إطار الباب، بدت كنوع من الأشياء التي يمكنك إدخال حبل أو عصا مكنسة في داخلها لتحبس شخص ما في الداخل.

تساءلت عن السبب الذي يجعل أحدهم يثبّتها هنا، ولكنّها كانت متعبة لدرجة أكبر من أن تأبه لذلك حقًّا، فكل ما أرادته هو النوم، إذا أراد أحدهم أن يحبسها في الداخل، فليتفضّل.

مكتبة
t.me/t_pdf

23

استفاقت فلورينس وهي تعاني من صداع وحلق جاف، فجاهدت للنهوض من ضباب النوم الكثيف، كانت ملاءاتها متشابكة ومرمية جانبًا، شعرت بالتأثيرات اللاحقة لاندفاع الأدرينالين ينبض في عروقها، حاولت تذكّر أحلامها، ولكنّها اختفت كما تختفي السمكة بين الأمواج. اعتقدت أنّها كانت تركض وكأنّ أحدهم يلحق بها.

أجبرت نفسها على النهوض، وفركت وجهها بشدّة، نظرت إلى هاتفها، فرأت أنّ الساعة تشير إلى السادسة والربع صباحًا، كيف يعقل هذا؟ هل نامت فعلًا أربع عشرة ساعة؟ نهضت من السرير وتوجّهت إلى الحمام برجلين متيبّستين، ورشقت وجهها بالماء.

بشكل تدريجيّ، أصبحت حقيقة ما حولها أكثر وضوحًا، إنّها في مراكش، كانت تخطّط للقاء هيلين على العشاء الليلة الفائتة، ولكن لا بدّ أنّها ظلّت نائمة. ستقودان اليوم سيارةً إلى سيمات.

استحمّت فلورينس، ولبست أوّل ما وجدته أمامها من ملابس في حقيبتها، بنطالًا من الجينز وقميصًا مجعّدًا. ثم استرقت السمع وهي تضع أذنها على باب هيلين في الرواق، ولكنّها لم تسمع شيئًا، نظرت من فوق السياج إلى الساحة في الأسفل، فكانت هيلين تجلس إلى طاولة تحت شجرة برتقال، وفنجان من القهوة السوداء أمامها، وكانت ترتدي فستانًا كتّانيًا أسود وصندلًا جلديًا بنيّ اللون يحيط بكاحليها.

جلست فلورينس بتثاقل قبالتها.

قالت هيلين بابتهاج: "ظننت أنّك قد مُتِّ".

"وأنا أيضًا".

"كان ذلك سيخرّب خطّتي حقًّا".

"هذا ليس مضحكًا".

قال هيلين مشيرةً إلى الوعاء الفضّي على طاولة الولائم الموضوعة تحت المظلّة: "أتريدين القهوة؟".

اعتذرت فلورينس حالما عادت ومعها فنجان من القهوة: "لا أعرف ما حدث، هل تناولت العشاء؟".

تجاهلت هيلين سؤالها: "فكّرتُ بالمرور بقصر البديع قبل أن نترك المدينة، وقد اتّفقت مع نديم هذا الصباح على ذلك. بدا رائعًا بالفعل، تعني كلمتي قصر البديع القصر الذي لا مثيل له أليس هذا رائعًا؟ وكلمة البديع تبدو من أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين، يُشعرني هذا بفقري بما أنّه ليس لديّ سوى اسمين. فلنذهب بعد الإفطار تمامًا، وبعدها يمكنك الذهاب للحصول على سيارة".

اقترحت فلورينس في أثناء تخطيطهما للرحلة أن تجدا سائقًا يقلّهما إلى سيمات، ولكنّ هيلين أصرّت على استئجار سيارة، وقالت بنبرة من يفصح عن معلومة حقيقية: "العرب لا يتقنون القيادة، لقد كبرت في بويسي".

بعد الفطور، عادتا إلى غرفتهما لتجلبا بعض الأغراض، ثمّ التقتا مجدّدًا في الرواق، أعطت هيلين محفظتها، وهاتفها المحمول، وعلبة سجائرها لفلورينس وسألتها: "هل تمانعين؟ لم أشعر برغبة في إحضار حقيبة".

قالت فلورينس: "بالطبع، لا بأس". وحشرت الأغراض في حقيبتها المليئة حتى طفحت بالفعل.

تطلّب منهما إيجاد طريق الخروج من المتاهة المظلمة المحيطة بالفندق بعض الوقت، كانت الجدران عالية جدًا فلا تسمح بوصول ضوء الشمس وقريبة جدًا من بعضها لدرجة أنّ فلورينس أمكنها لمس الجدارين المتقابلين في الوقت نفسه. وكانت بعض الأبنية مغطّاة بغلاف صناعي مطليّ ليبدو كالحجر. أكّد لهما

نديم أنّ قصر البديع على بعد مسافة سير قصيرة من الفندق، ولكنّهما لم تحسبا المدّة التي ستستغرقانها لتوجيه نفسيهما في الاتجاه الصحيح.

أخيرًا، وصلتا إلى التقاطع الكبير حيث نزلتا من السيارة بالأمس، تتفرّع منه طرق أوسع وأكثر ازدحامًا. تنافست السيارات والدراجات النارية والمشاة والحمير في الاستيلاء على المساحة. بدت الحمير نحيلةً وبائسة تحمل على ظهورها حمولات متماثلة تقريبًا من موادّ البناء، كأكياس الإسمنت والطوب وقضبان طويلة من الحديد تتدلّى إلى الأسفل وتكشط الأرض خلفها. توقّفت سيارات أجرة صفراء اللون من نوع مرسيدس تعود إلى الثمانينيات من أجلهما، ولكنّهما لوحتا بيديهما بالرفض، وتابعتا السير. الجو حارّ مع أنّ الساعة بالكاد بلغت التاسعة صباحًا، تمنّت فلورينس لو أنّها لم تلبس بنطالًا.

مدّت العديد من المتاجر التي مرّتا من أمامها بضائعها خارجًا، فشاركت في زيادة ازدحام الشوارع، كانت البضائع مزيجًا من الأشياء الغريبة والأغراض البسيطة، كالسلاحف الحية، والجرابات الملفوفة بأغلفة بلاستيكية، ومظلّات الأطفال، وأكياسٍ من الأصبغة والتوابل والحبوب وحفاضات الأطفال والنظارات وأكوام متلألئة من اللحوم. كان رجال بائسون يرتدون الجلابيب يراقبون كل شيء، وفجأة ركضت قطّة تحمل رأس طير في فمها من أمامهما.

عندما وصلتا إلى قصر البديع، شعرت فلورينس بالحرّ الشديد، وبأنّها على وشك الانهيار، دفعتا 70 درهمًا أي ما يعادل سبعة دولارات من أجل الدخول، ووجدتا نفسيهما في مجمّع كبير في الهواء الطلق، كان هذا المجمّع هادئًا وساكنًا بشكل صادم، فقد افتُتح للتوّ، وبدا أنهما أوّل من دخله إلى جانب الحرّاس.

قرأت فلورينس في كُتيب أعطوهما إياه مع تذكرتيهما، ولخّصت لهيلين ما قرأته: "أمر السلطان ببناء القصر عام 1578، وفُرغ من بنائه بعد خمس عشرة سنة، وبعد مئة سنة نهبه سلطان آخر واستخدم الموادّ ليبني قصرًا خاصًّا به في مينكس... لا انتظري، أعتذر، بناه في مكناس في الشمال".

انتزعت هيلين الكُتيّب من يد فلورينس، وبدأت التلويح به لتحريك بعض نسمات الهواء نحو وجهها قائلةً: "الحرّ شديد هنا".

أجابت فلورينس: "إنّها الرياح الشرقية".

ابتعدت هيلين عنها، واتجّهت نحو الحدائق الغارقة في الزهور في مركز الساحة، وتراجعت فلورينس إلى الجدران العالية، حيث وجدت القليل من الظلّ، مرّرت يدها على السطح الخشن الذي كان محفورًا بحفر تشبه الحفر في سور المدينة القديمة. ولكن هنا احتشد في الثقوب المئات من طيور الحمال الزاجل، فكان لهديلها تأثير في إثارة العدوانيّة والتوتّر، كما تثيرهما رياض الأطفال التي تظهر في أفلام الرعب. سقط بعض القشّ على الأرض أمام فلورينس، فنظرت إلى الأعلى لترى أنثى لقلق ضخمةً تحدّق إليها بسكون من عشّها الأشعث المخرّب الذي بنته فوق الجدران، وفضلات الطيور تنتشر في كلّ مكان.

استدارت فلورينس، وهبطت درجًا شديد الانحدار، فوصلت إلى سلسلة من الغرف المدمّرة الأسقف، وذات بلاط متشقّق، وكان صوت الطيور هنا أعلى، فوجدت مكانًا مريحًا أمام جدار مغطّى بالظلّ، ومحميّ من الشمس، ضغطت وجنتها على سطحه، ففاجأها أن الحجر بارد. وبعد لحظات دخل سائح آخر، لم تكن فلورينس مرئيةً بالنسبة إليه بشكل مباشر. وعندما تقدّم أكثر إلى داخل الغرفة رآها وقفز في مكانه هاتفًا: "يا إلهي! لقد أخفتني".

قالت وهي تخرج من الظلال: "آسفة".

"هل أنتِ مختبئة؟".

"مختبئة من الشمس".

"نعم إنّها حادّة اليوم". للرجل لهجة وهيئة إنكليزيتين. "هل أنت في عطلة؟".

قالت فلورينس: "لا! أنا أعمل".

"حقًّا؟ دعيني أخمن عملك". نظر إليها من أخمص قدميها إلى أعلى رأسها ببطء وأعلن مادًّا إصبعًا نحيفًا نحوها: "أنت طالبة آثار".

قالت فلورينس: "روائية". رفع الرجل حاجبيه: "أوه! حسنًا، هذا جيّد، هذا رائع".

شعرت فلورينس بعد كذبها بإحساس من تجاوز تلك المنطقة من المحيط التي لا يمكنك فيها الهروب من الأمواج، وأنّها دخلت منطقة عميقةً جدًّا ولا يمكنها الخلاص سوى بالاندفاع بتهوّر نحو الأمواج.

بسرعة ابتعدت عنه، وتسلّقت عائدةً إلى الضوء، عبرت المجمّع، وتجاوزت حدائق أشجار الليمون الغارقة في الثمار، والمسبح المغطّى بالطحالب، ووجدت على الجانب المقابل درجًا آخر يقود إلى الأسفل. نزلته لتجد نفسها وحيدة ضمن سلسلة من الأروقة، دخلت غرفةً فيها حافظات للعرض مملوءة بالسلاسل والأغلال بدائية المظهر. وعُلّقت على الجدران صور باهتة باللونين الأبيض والأسود تظهر مساجين ينحنون بيأس، فأسرعت في الخروج إلى ضوء الشمس.

وقفت هيلين تقشّر برتقالةً صغيرةً في الظل، يهتزّ سوار الراتنج الذي ترتديه في معصمها بتواتر مع حركة يدها.

سألتها فلورينس: "من أين جئت بهذه البرتقالة؟".

أشارت هيلين برأسها إلى أشجار البرتقال في الحديقة.

"هل أخذت واحدةً فحسب؟"

قالت هيلين بتجهّم: "ولم لا؟ لمن هي؟ هل هي للقالق؟".

نظرت فلورينس بحسد إلى العصير الذي يجري على معصم هيلين، ولكنّها افتقدت إلى الجرأة لتقطف واحدة بنفسها. نظرت إلى أحد الحرّاس، حارس وجهه مليء بندوب حبّ الشباب، ويبدو في العشرينيات من عمره، كان ينقر على هاتفه، ويبدو أنّه أحسّ بأنّه مراقب فنظر إليها، فاستدارت فلورينس بسرعة.

سألتها: "هل أنت جاهزة للرحيل؟".

أخرجت هيلين بذرة برتقال من فمها ورفعتها بين إبهامها وسبابتها نحو الشمس قبل أن تنقرها بإصبعها بعيدًا. قالت: "فلنذهب".

افترقتا عند مدخل القصر، واتّفقتا على اللقاء بعد ساعة عند التقاطع القريب من الفندق.

قالت هيلين: "انتظري! أحتاج إلى أغراضي".

سحبت فلورينس هاتف هيلين المحمول، ومحفظتها، وعلبة سجائرها من الحقيبة وناولتها إياها، فوضعت هيلين علبة السجائر والهاتف المحمول في جيب فستانها، ولكنّها فتحت المحفظة، وأخرجت رخصة القيادة وأعطتها لفلورينس.

"لماذا أحتاج إلى هذه؟".

"من أجل مكتب تأجير السيارات، أعتقد أنّهم سيحتاجون إلى رخصة تحمل اسم البطاقة البنكية نفسها التي سيضعون الحجز باسمها".

نظرت فلورينس إلى صورة رخصة القيادة، وأمالت البطاقة، فشاهدت الصورة تستقبل الضوء ثم تطرده: "هل تعتقدين أنّني سأنجح؟". تتمتّع هي وهيلين بالشعر الأشقر والبنية الضئيلة نفسيهما، ولكنّها لم تجرؤ أبدًا على الاعتقاد بوجود أي تشابه أقوى.

"أعتقد أنّنا سنكتشف هذا".

24

انطلقت فلورينس غربًا والشمس خلفها. تقع وكالة السيارات خارج سور المدينة القديمة. أخبرها نديم أنّها على بعد عشرين دقيقة سيرًا على القدمين، واقترح قائلًا وهو يحدّد علامات على خريطة من أجلها: "اقطعي ميدان الفناء، إنّه أحد أشهر النقاط في مراكش، فهناك كانوا يطلقون النار على المساجين، وبعدها..." فرقع بأصابعه عدّة مرات: "ما هي الكلمة؟ هل تعرفين؟ ذلك الشيء الذي تأكلونه مع الهوتدوغ؟ شيء طويل وأخضر ومقرمش؟".

قالت فلورينس بشكّ: "مخلّل؟".

"مخلّل! وبعدها تُخلّل رؤوسهم، وتُعلّق على بوابات المدينة كتحذير".

"يا إلهي!".

"هناك يمكنك أن تحصلي على رسمة بالحنّاء على يديك، إنّها جميلة جدًا".

اتّضح أنّ ميدان الفناء ليس ميدانًا أبدًا، بل ساحة كبيرة غير منتظمة الشكل تشبه مقهًى فرنسيًا كبيرًا. أدركت أنّها مرّت برفقة هيلين أمامه باكرًا في الصباح عندما كان خاليًا. لقد تحوّل الآن، فانتظرت تلال من البرتقال على طاولات تغطّيها المظلّات أن تُعصر، وهناك رجل عجوز يتحدّث بصوت أجشّ ويأسر جمهورًا من السيّاح الذين يحملون الكاميرات. وجدت فلورينس أنّه قد يكون حكواتي يحكي الحكايات على الملأ، واحد من أواخر حكواتيي المدينة الذين قرأت عنهم خلال بحثها، وهناك المزيد من السيّاح يجلسون في الظلّ في أثناء تلوين أيديهم ومعاصمهم برسمات معقّدة.

اقترب رجل من فلورينس يرفع أفعى نحيفة سوداء وحاول أن يلفّها حول كتفيها.

قالت وهي تتفاداه: "لا، شكرًا لك".

أصرّ.

فقالت بقوّة أكبر: "لا!"

ضحك قائلًا: "لا تخافي".

اقشعرّ بدن فلورينس، لم تكن خائفة، هل هذا هو السبب الوحيد المقبول لرفض أحدهم أن توضع أفعى حول رقبته؟ انعطفت مبتعدة عنه، واستمرّت بالمشي، فتردّد صدى صوت ضحكته من خلفها. ها هي غرابة مراكش أخيرًا، على الرغم من أنّ هذه الغرابة مستساغة من قبل السيّاح إلا أنّ فلورينس لم تعد مهتمّة بها فهي تشعر بالحرّ والتعب.

وصلت إلى طرف سور المدينة القديمة، كان هناك بناء كبير ينتصب أمام واحدة من البوابات، محاط بثلاثة حرّاس يرتدون ملابس عسكرية بثلاثة ألوان، أمسكت بهاتفها، لتلتقط صورةً، ولكنّهم صرخوا فيها فجأةً، حتّى إنّ واحدًا منهم عبر الشارع نحوها وهو يصرخ. استدار العديد من المارّة ليشاهدوا ما يحدث، فشعرت بالدم يتدفّق إلى وجهها، وأعادت الهاتف إلى حقيبتها، ولوّحت بيديها معتذرةً، وعاد الحارس إلى مكانه. تفحّصتها امرأة مارّة ترتدي برقعًا يغطي كامل جسدها، فلمع الضوء الذي انعكس على عدستي نظارتيها، فابتعدت فلورينس سريعًا، وداست على ما خمّنت أنّه روث حمار.

تطلّب إيجاد وكالة تأجير السيارات ثلاثين دقيقة، وعندما وصلت كانت مغطّاة بالغبار الذي التصق ببشرتها الرطبة وتدلّى من أجفانها، وشعرت بذرّاته تحت أسنانها.

سألت المراهق النحيل الجالس خلف المكتب في وكالة التأجير: "هل لديك ماء؟". استخدمت اللغة الفرنسية التي تعلّمتها في الجامعة والتي بدت متهدّجة على شفتيها، وقامت بحركات وإشارات توضح حاجتها إلى الشرب، وقالت بالإنكليزية: "ماء؟"

هزّ المراهق رأسه بأسىً، فتنهّدت فلورينس، وناولته ورقة الحجز المطبوعة.

قال: "لحظة". واختفى خلف باب خشبي.

كان هناك كرسيّان قرب الحائط، جلست فلورينس على واحد منهما، وأسندت رأسها إلى الخلف، وكان هناك مروحة تدور فوق رأسها.

عاد المراهق مع رجل أكبر سنًّا حيّاها باللغة الإنكليزية، فأعطته رخصة قيادة هيلين، فنظر إليها بفضول ومرّرها من فوق الطاولة.

قال: "تعالي". تبعته من خلال الباب إلى الشارع، وكان صندله يصفق بأخمص قدميه مصدرًا صوتًا قويًّا، وكان كعباه مشقّقان بخطوط عميقة جافّة.

كان المرأب في الجوار، فقادها الرجل إلى سيارة فورد فيستا بيضاء وأشار إليها بحماسة قائلًا وهو يربّت على سقفها: "إنّها جديدة". شكرته فوقف إلى جانبها، وراقبها تركب السيارة. شغّلت التكييف على أدنى درجة ممكنة، فخرج الهواء ساخنًا كأنفاس شخص ما، ولكنّه بدأ يبرد بعد وقت قصير، ويجفّف العرق المتصبّب على جلدها. كما بدأ يطرد الضبابية البشعة المغلّفة بالحرّ التي علقت بها منذ أن استيقظت. ظلّ الرجل يراقبها، حتى جذبت ناقل الحركة ووضعته على وضع الرجوع، فتحاشت بمسافة ضيقة صدم طفل صغير بينما كانت تناور لتنضمّ إلى جدول السيارات المسعور.

25

عندما أوقفت فلورينس السيارة بعد خمس عشرة دقيقة، كانت هيلين تقف عند نفس التقاطع مع الرجل نفسه والعربة نفسها التي تضمّ كومة حقائبهما، وكانت تضع على رأسها قبعة قشّ واسعة وضعتها على حجرها عندما ركبت السيارة.

سألت فلورينس مشيرةً إليها: "هل هي جديدة؟".

"نعم، اشتريتها في طريق عودتي لقاء أربعين درهمًا، كان نديم محقًّا، الأسواق الشعبية رائعة".

أومأت فلورينس إليها برأسها وابتسمت، ثم اتّكأت على مسند ظهر مقعدها لفترة وجيزة، إذ كان جسدها بالكامل متيبّسًا. لم تفهم أيًا من الإشارات المرورية خلال قيادتها عائدةً من وكالة تأجير السيارات، وكادت في نقطة ما أن تصطدم بعربة يجرّها حصان تحمل سائحين مرعوبين. أغلق الرجل في الفندق صندوق السيارة، وربّت عليه بخفّة، ولكنّ فلورينس لم تتحرّك.

قالت هيلين: "فلورينس! فلنتحرّك!" كانت تفرقع بأصابعها بطرافة ولكنّها لم تكن تمزح في أغلب الظنّ.

قالت وهي تعتدل في جلستها: "آسفة". وأمسكت عجلة القيادة، وحرّكت ناقل الحركة.

* * *

تعطّل مكيّف الهواء بعد ساعة من الرحلة، فانحنت هيلين إلى الأمام، ونقرت منفذ الهواء عدّة مرات، ورمت بنفسها بعنف إلى الخلف، وأغمضت عينيها. لا يزال هناك ساعتان أمامها.

أطفأت فلورينس مكيّف الهواء المعطّل، وأنزلت زجاج النوافذ، فعوت الرياح داخل السيارة، ولفّت خصلات شعرهما حول بعضها، وتجمّعت كما لو كانت تحت الماء.

انحرفت فلورينس بالسيارة عن مسارها بعض الشيء عندما مرّت بهما شاحنة.

زفرت هيلين: "يا إلهي! احذري يا فلورينس".

كانت عينا هيلين مغمضتين، ولم تكن تضع حزام الأمان، ولم تضعه في حياتها. فتساءلت فلورينس عما سيحصل لو ضغطت المكابح فجأة، كان رأس هيلين على الأغلب سيطير من فوق لوحة القيادة كالكرة.

لم يكن هناك العديد من السيارات على الطريق، ضغطت بقدمها على البنزين، وراقبت الإبرة ترتفع إلى الأعلى في مؤشّر السرعة. ولكنّها سرعان ما وصلت إلى منعطف، وكان عليها أن تبطئ السرعة. لقد انخفضت الشمس في السماء، وتلألأت أشعّتها المنتشرة على الأشجار. ففتحت هيلين عينيها، وشغّلت المذياع، ثمّ أوقفت تشغيله، وأشعلت سيجارة، وكان عليها أن تدخّنها داخل السيارة حتى لا تنتزعها الرياح من بين أصابعها. فزادت الحرارة الرائحة عبقًا علق في حلق فلورينس.

قادت السيارة بصمت لمدّة تجاوزت الساعة، وكلما ابتعدتا أصبح المشهد حولهما أكثر جفافًا ومغبرًا. قرأت فلورينس أنّ مراكش كانت في الأصل واحة تتوسّط الصحراء، ولم يكن هناك في هذا المكان أيّ إشارة إلى خضرة المدينة أو ألوانها. استدرجتهما الحرارة وإيقاع خبطات العجلات على الطريق المتواتر إلى مخالب الغياب. بدأتا بالاستيقاظ حقًّا بعد أن لاحظتا أنّ الهواء المتدفّق إلى داخل السيارة بدا مختلفًا، لقد انخفضت درجة حرارته بضع درجات، وشعرتا به منعشًا وباعثًا على الإشراق. اعتقدت فلورينس أنّها تستطيع شمّ هواء البحر. وبدت

المنطقة حولهما أكثر خضرةً أيضًا، ألقت نظرة خاطفة على الخريطة على هاتفها لتجد أنّهما على بعد عشرة أو خمسة عشر كيلو مترًا عن الفيلا.

اقترب الطريق من منحدر شديد واستمرّ على طول حافّة الجرف. في الأسفل كان المحيط الأطلسي يرغي ويزبد، ولمعت الشمس على سطحه من بعيد. كان من الصعب على فلورينس التصديق أنه نفس المجسّم المائي الذي ترعرعت بالقرب منه، وفكّرت كم وجد هذا المحيط مستودعات فلوريدا ذات القمم المسطّحة مخيّبة للأمل بعد أن قابل مآذن المغرب ومنحدراتها.

بالكاد يتّسع طريق الجرف بين الفينة والأخرى لمسربين، وعندما تندفع سيارة أو دراجة نارية نحوهما من الاتجاه المعاكس، كانت فلورينس تضطرّ إلى أن تخفّف سرعتها إلى النصف تقريبًا. واستمرّت بمسح راحتي يديها بفرش السيارة لتجفّفهما من العرق.

اقتربت شاحنة ذات رايات قماشية من مصدّ الصدمات الخلفيّ لسيارتها، وأطلقت صوت عويل، وفي النهاية انحرفت عنها، وبالكاد استطاعت العودة إلى الممرّ الصحيح قبل أن تنحرف سيارة من الجهة الأخرى حول المنعطف، فأحدثت أصوات أبواق السيارات جلبة شتّتت انتباه فلورينس.

في النهاية، ابتعدت فلورينس عن حافة المنحدر، وسرعان ما انعطفت نحو اليسار إلى طريق صغير، فوجدت لافتة طريق عند مدخله تحمل اسمًا مطابقًا للاسم المذكور على أوراق الإيجار الخاصّة بهما، فتنفّست بعمق من منخريها بينما راحت سيارتهما تثب على الشارع الهادئ، وفاحت رائحة كرائحة التراب الرطب.

سحبهما الطريق إلى منحدر خفيف، وجدتا بعده بقليل بيتًا أبيض مزخرفًا بلونٍ أزرقٍ زاهٍ وقد عرفت فلورينس أنه بيت مغربي آخر يلوح في الأفق أمامهما. كان جاثمًا وحيدًا على قمة تلّة قليلة الارتفاع. قادتا السيارة إلى صخرة ضخمة مطلية باللون الأبيض كتب عليها باللون الأزرق وباللغة الفرنسية عبارة: فيلا دي غرينادز.

تعجّبت فلورينس بصوت مرتفع عندما حجزتا المنزل: "قنابل يدوية".

صحّحت لها هيلين قائلة: "الرمان".

قادت فلورينس السيارة عبر البوابة، وركنتها في الممرّ الخاصّ بالمنزل، وتراجعت على مقعدها إلى الخلف، كان جسدها دبقًا بالكامل.

خرجت من المنزل امرأة بدينة ذات شعر رمادي في الستينيات من عمرها، ومشت عبر الطريق ببطء باتجاههما وهي تعرج عرجة خفيفة في رجلها، فترجّلت كل من هيلين وفلورينس من السيارة لتحيّتها.

خطت المرأة خطوة إلى الأمام، وصافحت فلورينس وقالت باللغة الفرنسية: "صباح الخير، كيف حالك؟".

قالت فلورينس: "بخير، شكرًا لك".

سألتها هيلين: "هل تتكلّمين الإنكليزية؟".

ردّت المرأة مبتسمة بخجل: "نعم، قليلًا".

عرفت عن نفسها قائلة إنّها تدعى أمينة، وإنها تعمل في هذه الفيلا منذ أكثر من عشرين عامًا، وإنها تقوم بكل أعمال الطبخ، والتسوّق، والتنظيف. وإنّه ليس عليهما سوى طلب أي شيء تحتاجان إليه منها، ثم ختمت قائلة إنّها تسكن عند أسفل الطريق، فحاولت أن تحمل حقائبهما، لكن فلورينس أصرّت على حمل الحقائب بنفسها، ولحقتا بها إلى المنزل.

شعرت فلورينس بموجة من الذعر فور دخولها المنزل. كانت الأرضية ينقصها قطع كبيرة من البلاط، والعفن قد وجد ملجأً في كل زاوية، ومدّت النباتات المتعرّشة أغصانها اللولبية الطويلة داخل النوافذ، متسلّقة على الجدران والأسقف. كانت هناك بقع بنية اللون في الأماكن التي كانت الأعشاب قد احتلتها قبل أن تُقطع، وقد ذكّرت فلورينس بالبقع الدبقة التي تتركها اليرقات في وطنها.

في الطابق العلويّ كانت الجدران والأرضيات تعاني من مشاكل الطابق السفليّ نفسه، لكن الملاءات كانت نظيفة والماء يتدفّق حارًّا وباردًا.

وكما هي الحال في الفندق، كان الطابق الثاني مفتوحًا وسطه، ويطلّ على الفناء المشمس في الأسفل.

خلف المنزل امتدّ تِراس ضخم مرصوف بالحجارة حتى حوض سباحة صغير تظلّله أشجار الميموزا وحفنة من أشجار النخيل لها جذوع شعثاء لحاؤها أشبه بنسيج الخيش، بدت وكأنها في خضمّ عملية التعرّي. كان حوض السباحة قد امتلأ ثلاثة أرباعه، وطبقة سميكة من الطحالب الخضراء تغطّي سطح الماء الذي تزحف عليه الحشرات بضراوة. كما كانت ثلاثة كراسيّ مهترئة مصفوفة حول حافّتيه. أشارت أمينة إلى كومة من المناشف النظيفة المطوية بأناقة على طاولة قريبة، وهذا ما جعل هيلين تنفجر ضاحكة.

قالت فلورينس: "سوف اتّصل بوكالة التأجير، لنرى إن كان هناك شيء آخر متوافر، أقسم أن الصور لم تبدُ هكذا على موقعهم الإلكتروني". كانت هيلين أيضًا قد رأت الصور ووافقت على اختيار فلورينس، لكنها قالت: "إنها جيدة، إنها بالتأكيد جيدة".

أرادت هيلين إنهاء بعض الكتابة ظهر ذلك اليوم، لذلك استقرّتا في الطابق الأرضي في غرفة الجلوس الكبيرة ذات الإنارة الجيدة، وكان لها بابان أحدهما يفضي إلى التراس في الخلف، والآخر إلى المكسوّ بالآجر في وسط المنزل. كتبت هيلين باندفاع محموم على مفكرة قانونية صفراء اللون، كان القلم يترنّح بعنف على الورقة، ويحفر خدوشًا في الصفحة بين الحين والآخر.

راقبتها فلورينس من الأريكة في الجهة الأخرى من الغرفة، وهي الأخرى تحمل دفتر ملاحظات في حضنها وقلمًا في يدها، لكنها لم تكن قد كتبت شيئًا، لم يكن لديها شيء لتقوله بعد.

فكّرت في سرّها: "جملة واحدة، اكتبي جملة واحدة فقط".

كتبت: "أنا"، إنها ثاني أقصر جملة في اللغة الإنكليزية.

أنا ماذا؟ أنا من؟

أعادت وضع الغطاء على القلم، ونظرت إلى هيلين مجدّدًا، وعبست مستاءة.

ألقت فلورينس الدفتر على الطاولة أمامها، ولاحظت نظرة انزعاج من هيلين، ثم نهضت وانتقلت إلى التراس. استلقت على إحدى الكراسي وأغمضت عينيها. كانت الساعة قرابة السابعة مساء، لكن الهواء لايزال دافئًا، استمعت إلى الرياح تصارع أوراق أشجار النخيل وزقزقة العصافير.

شعرت بالخيانة، لقد تخلّت عن أمها، ألم تفعل ذلك؟ حسنًا، لماذا لا تزال عاجزة عن الكتابة؟ أين هو سيل الأفكار الذي وُعدت به؟ أكانت هذه المكافأة لهيلين فقط؟

بدأ صدح الطيور بإزعاجها، فعادت إلى الداخل بعد أن نال منها التعب، تفقّدت بريد هيلين الإلكترونيّ على الحاسوب المحمول الذي كانت قد وضعته على مقعد خشبيّ في زاوية غرفة الجلوس.

كان هناك بعض الرسائل الإلكترونية من مساعدة غريتا لورين، ولكن لا شيء مستعجل، ورسالة شخصية واحدة في حساب هيلين ويلكوكس. قالت: "لديك رسالة من سيلفي دالود".

نظرت هيلين ورمشت عدّة مرات، "آسفة، ماذا تقولين؟ لقد كنت منغمسةً في الكتابة".

"لديك رسالة من سيلفي دالود، تقول إنها ستحصل على اشتراك في صالة السينما للموسم المقبل، وتريد أن تعرف إن كنت مهتمّة بتنسيق مواعيدك معها من أجل حضور بعض العروض".

وضعت هيلين دفتر ملاحظاتها وقلمها على الطاولة المجاورة: "حسنًا، سأردّ لاحقًا على الرسالة".

أومأت فلورينس إليها بالموافقة، وأغلقت الحاسوب: "هيلين، أعلم أنه سؤال غبيّ... ولكن كيف تعرفين ما الذي ستكتبين حوله؟".

عبست هيلين: "كيف أعرف ما الذي سأكتب حوله؟ أعتقد أن الأمور أصبحت معكوسة، عندما كتبت رقصة الفوكستروت في مسيسيبي لم يكن الأمر وكأنني

قرّرت أن أصبح كاتبة، وبعد ذلك بدأت بالبحث عن حبكة القصّة. كانت لدي قصّة بحاجة إلى أن أرويها. لذا كتبتها".

قالت فلورينس متنهّدة: "حقًّا!" لماذا لم يكن لديها صديق قتل شخصًا ما؟ أضافت: "ماذا عن الآن؟ هل تتّبعين هذه الخطوات في روايتك الثانية؟".

نظرت هيلين إلى النافذة: "حسنًا، لا، ليس تمامًا". توقّفت لوقت طويل حتى إن فلورينس ظنّت أن المحادثة قد انتهت. ثم أردفت: "يتوجّب عليك أن تخلقي قصّتك الخاصة أحيانًا".

"ماذا تعنين؟ كيف؟".

"يجب أن تتمتّع كل القصص بأسسٍ واقعية، وإلا لن تبدو حقيقية، ولكنّ الواقع مرنٌ بالطبع".

"هل هو كذلك حقًّا؟".

ضحكت هيلين: "كيف أمكنك أن تسألي هكذا سؤال؟ بالطبع إنه كذلك، أنت تتّخذين قراراتك الخاصّة وتتصرّفين". أشارت حولها: "هذه الرحلة ما هي إلا طريقة لتغيير واقعك".

قالت فلورينس: "أعتقد ذلك". افترضت أنها قد غيّرت واقعها بشكل فعّال، فلم تكن لتتواجد مع هيلين في المغرب لو أنها لم ترسل الصور إلى سايمون. هل كانت تلك هي القصّة؟ ربما كانت رحلتها من فلوريدا إلى نيويورك ومنها إلى المغرب كافية لتشكّل حبكة للقصة. وماذا تعرف هي عن حياة الزوجات اللواتي يأكلن أزواجهن؟ فهي لا تعرف سوى عن حياتها، وربما أصبحت شيّقة كفاية لتكتب عنها.

* * *

قدّمت لهما أمينة العشاء في التراس الخلفي بين أشجار الميموزا، وكانتا قد اشترتا زجاجة من الشراب الأسكتلندي من متجر مُعفى من الرسوم الجمركية، وسكبت كلّ منهما كأسًا كبيرةً منها. أحضرت لهما أمينة الطبق تلو الآخر: حساء الحمص والعدس، ومتبّل الياقطين المهروس، والباذنجان المهروس، وطبق من الزيتون الريان، وخبز السمسم المسطّح مثل فطيرة المافن الإنكليزية، وفي النهاية طبق لحم الضأن المطهوّ بالبخار مع الخوخ المجفّف. كان القمر في تلك الليلة هلالًا رفيعًا ساطعًا في السماء.

قالت هيلين وهي تسكب لكلّ منهما المزيد من الشراب الأسكتلندي، "يا إلهي، أليس قصر البديع بغاية الجمال؟".

"لست متأكّدة أنني أستطيع وصفه بالجميل، إنه في حالة خراب".

"لكن باستطاعتك تخيّل مجده السابق، وكيف بدا وقتها، بحجمه هذا، وقد ضمّ ثلاثمئة وستين غرفة، مفروشة بالرخام الإيطالي، والذهب السوداني. ياله من إنجاز! يشكّل بالطبع حالة مقنعة، تتيح رفع دعوى ضدّ الديمقراطية".

"وكيف ذلك؟".

"حسنًا، من الواضح أنه لم يكن ليُبنى في ظلّ الديمقراطية، تمامًا مثل الأهرامات وقصر فرساي. ومع ذلك ألسنا سعداء بوجوده؟ ألسنا سعداء بمعرفة ما بإمكان قبضات الرجال الوسماء فعله عندما يتصرّفون من دون قيود؟ أفترض أن الديمقراطية عادلة"، وضعت هيلين كلمة عادلة بين علامتي اقتباس وأكملت: "ولكن لمَ يجب أن يكون العدل هو الهدف دائمًا؟ ماذا عن العظمة؟ في بعض الأحيان قد يكون من الصعب الحصول عليهما".

"لا أدري، أليس ثمّة ما يقال عن المساواة؟".

"هناك ما نستطيع قوله عن كلّ شيء يا فلورينس، ولكن عندما يتساوى الجميع يصبحون قابلين للاستبدال، هذا ما يدعى بالتسطيح".

لم تعرف فلورينس كيف تردّ على هذا.

"أخبريني هل اعتقدت حقًّا خلال نشأتك أن كل الناس حولك متساوون؟".

هزت فلورينس كتفيها بطريقة مبهمة.

"لا لم تفعلي يا فلورينس، أنا أعلم هذا. لقد اعتقدتِ أنك أفضل منهم"، ثم أكملت كلامها بعد توقّف قصير قائلةً: "وأنا أفترض أنك كنت محقّة في ذلك".

تمتمت فلورينس: "ربما كنت كذلك". أخذت رشفة أخرى من الشراب الأسكتلندي، ونظرت بعيدًا لتخفي ابتسامتها.

تابعت هيلين قائلةً: "ثقي بكلامي، سوف يخيب أملك لو أنك أنفقت حياتك كلّها باحثة عن العدل. إنه غير موجود، وحتى لو وُجد فسيكون مضجرًا ولن يترك مجالًا لحدوث الأمور غير المتوقّعة. ولكن لو بحثتِ عن العظمة، عن الجمال، عن الفنّ، عن التفوّق، هنا تكمن المكافأة الحقيقية، وهذا ما يجعل الحياة تستحقّ أن تُعاش". وضعت هيلين كأس الشراب الأسكتلندي بخشونة مما جعل بعض القطرات تتناثر على الطاولة، وأكملت: "أنا متأكّدة من وجود أشخاص في ماضيي لا يعتقدون أنّه من العدل أن تأخذ حياتي هذا المنحى. ومن يعرف، ربما بالفعل لم يكن هذا عادلًا. لكنني أريدك أن تفهمي هذا، أنا لم أكن لأغيّر أي شيء مما فعلته، أي شيء على الإطلاق".

أحبّت فلورينس الطريقة التي حدّثتها بها هيلين، وكأنها جديرة بأن تكون تلميذتها، وشعرت بالإطراء لأن هيلين أحضرتها معها في هذه الرحلة. هي هنا بصفتها مساعدتها بالطبع، ولم يكن لديها الكثير لتفعله. تنفق هيلين الكثير من المال لإحضارها معها إلى هنا لتقوم بأعمال الطباعة لمدّة ساعة يوميًا، واعتقدت أنه من الممكن أن تكون هيلين قد أرادت صحبتها وأنها أحبّتها فقط.

قالت بطيش وقبل أن تتمكّن من إيقاف نفسها: "هيلين؟".

كانت هيلين تدندن لحنًا وتنقر بأصابعها بوهن على الطاولة، رفعت ناظريها وقالت: "ماذا؟".

"كم منها حقيقي؟".

"من ماذا؟".

"من كتاب رقصة الفوكستروت في ميسيسبي".

هزّت برأسها: "وهل يهمّ هذا؟ لم أفهم في حياتي هوس الناس بالحقائق".

قالت فلورينس رافعةً كتفيها: "لا أعرف، أعتقد أنّ هذا لن يغيّر شيئًا، أريد أن أعرف وحسب".

حدّقت هيلين إليها للحظة من دون أن تقول شيئًا، شعرت فلورينس بالقلق من أن تكون قد تجاوزت حدودها، ثمّ قالت هيلين: "تبًّا لهذا التحفّظ، لن تقولي لأحد".

"بالطبع لن أفعل".

نظرت هيلين إليها بابتسامة مرتبكة وعابرة، أخيرًا قالت: "روبي".

انتظرت فلورينس منها توضيحًا لم تقدّمه.

فسألت: "ما بها روبي؟ هل روبي حقيقية؟".

أومأت هيلين إليها برأسها إيجابًا ببطء: "روبي حقيقة بالكامل ما عدا اسمها، يا إلهي كم أكره الاسم روبي، لا أعرف بماذا كنت أفكر، لا يلائمها هذا الاسم أبدًا".

"ما اسمها الحقيقي؟".

ابتسمت هيلين: "اسمها جيني، كانت أفضل صديقة لي في هذا العالم"، توقّفت لتشعل سيجارة وأكملت: "كان أبي كما عرفتِ من الكتاب لعينًا لا قيمة له، أما أمّي فقد كانت... لا أعرف، بالكاد عرفتها، مَهيضة الجناح، أظنّ أنّها كانت تنتظر موتها، وبالفعل ماتت عندما كنت في الثامنة من عمري، لذلك كلّ من بقي لي هي جيني، أنا وجيني"، تنهّدت هيلين: "ثمّ قتلت ذلك الرجل، وانتهى كلّ شيء"، فرقعت بإصبعها وأكملت: "انتهت صداقتنا وطفولتنا وكل شيء، انتهى عالمي بأكمله".

سألتها فلورينس وعيناها متّسعتان من الدهشةً: "هل كانت الجريمة حقيقية؟".

"لم تكن كل تفاصيلها حقيقية، لم يكن مجرّد رجل يسافر عبر بلدتنا، بل عاش هناك لفترة أطول من تلك التي عشناها. عندما بلغت جيني سن الخامسة عشرة كبر

في داخله ذلك الانبهار بها، فلاحقها من مكان إلى آخر، وطلب لقاءها في مواعيد غرامية، وانتظرها خارج منزلها. حتّى ضاقت ذرعًا به، وفي النهاية، أطلقت عليه النار مستخدمةً بندقية والدها".

"هذا مرعب!"

رفعت هيلين ناظريها متفاجئة: "هل هو مرعب حقًّا؟ سأخبرك بالحقيقة، لم أشعر بالرعب أبدًا. لم أشعر به مطلقًا. كنت... ماذا؟ كنت فخورة، فخورة جدًّا بها، ربما شعرت بالغيرة أيضًا، ذهبت إلى أبعد مما وصل إليه أي شخص نعرفه. أخبرتني بذلك بعد أن قرّرت إطلاق النار عليه، ولكن قبل أن تضغط على الزناد فعلًا، ازداد كلّ شيء فجأة، قويت كلّ حواسها، كل مشاعرها، كل شيء، أمكنها سماع رئتيه تتّسعان، سماع الدم ينبض في شرايينه، وشعرت بتلك القوة الخارقة تتغلغل في جسدها كالكهرباء. تلك القوّة التي لا تُصدّق. لم أعرف شيئًا عنها، ولم أستطع فهمها، كان الأمر أشبه ببدء نادٍ لا يقبل بي بين أعضائه. شعرت أنّني دخيلة، كنت أتظاهر بأنني بالغة، بأنّني عليمة وباردة ومتشائمة. ولكنّها كانت شخصًا آخر، كانت كل شيء حقيقيّ من تلك الصفات، وقد أخافني هذا، لم أستطع أن أجاريها بعد ذلك، فقد ذهبت إلى مكان لم أصله، لقد تركتني وراءها".

ربّتت هيلين على الطاولة بشرود باحثةً عن علبة سجائرها، أخرجت سيجارة، وأشعلتها بما تبقى من السيجارة التي في يدها. بقيت فلورينس صامتة راغبةً في أن تكمل، ولكنّ هيلين لم تفعل ذلك بل ظلّت تدخّن وتحدّق إلى البعيد.

"ما الذي حدث لها؟".

"حُكمت بالسجن لمدة خمس وعشرين سنة".

"ولكن في الكتاب..."

"الرواية".

"صحيح، الرواية، في الرواية كنت أنت القاتلة، جعلت من شخصية مود القاتلة".

مكتبة
t.me/t_pdf

لوّحت هيلين بيدها: "صحيح، هذا يجعل القصّة أفضل فحسب. في الحقيقة، ربما كان ذلك بسبب الغيرة، فأردت أن أحاول، وأجرّب أن أحصل ولو على ظلٍّ باهتٍ مما حصلت عليه".

"أما زالت هناك؟"

"أين؟".

"في السجن".

استعادت عينا هيلين تركيزها، فقد كسرت فلورينس تعويذتها، فقالت هيلين بحدّة: "لا أعرف، أعتقد هذا، لم أتكلّم معها منذ سنوات. كما أخبرتك عندما غادرت قرّرت أنّ الماضي يعود إلى الماضي ولا شيء غيره".

زفرت هيلين بصوت عالٍ، واتّسعت عيناها استغرابًا، ثم قالت وهي تنهي المحادثة بحزم: "حسنًا، ذهبت محادثتنا في اتجاه لم أتوقّعه". ضحكت بخفّة، ووضعت يديها على فخذيها لتنهض عن الكرسي، وأضافت: "وعلى هذا الكيس المهترئ من العظام الرثّة أن يأوي إلى السرير، هل أراك في الصباح؟ سنذهب إلى البلدة، سنستكشف بعض الشيء".

أومأت فلورينس إليها برأسها.

استدارت هيلين، ثم توقّفت عند الباب قائلةً: "لا أحتاج إلى أن أذكّرك بأنّ يبقى هذا بينا، أليس كذلك؟".

هزّت فلورينس رأسها.

"أنت فتاة جيّدة، أنا سعيدة لأنّك جئت يا فلورينس".

ثمّ اختفت في داخل المنزل المظلم من دون انتظار الإجابة.

26

حجبت أوراق شجرة العنب التي تغطّي النافذة ضوء النهار الباكر تاركةً ظلالًا متموّجة على الحائط بجانب فلورينس، نظرت إلى ساعتها، لقد تجاوزت الساعة الثامنة بقليل، أنزلت رجليها من فوق السرير، وزرعت قدميها كنبتتين على الأرضية الإسمنتية الباردة.

كانت أمينة قد وضعت الفطور على طاولة التراس في الأسفل، وكان هناك خبز محلّى في سلّة مغطّاة بفوطة نظيفة وزبدة ذائبة في صحن خزفيّ وثلاثة أنواع من المربّى، وزبدية من العسل السميك جدًا لدرجة أنّ الملعقة الخشبية انتصبت باستقامة فيه، بالإضافة إلى ذلك، كان هناك أطباق من التمر، واللوز، والرمان، وبرتقال أبو سُرّة وثلاثة أنواع مختلفة من أباريق العصير.

جلست فلورينس، ولاحظت عصفورًا صغيرًا ينقر سلّة الخبز، ثمّ يحطّ على كرسي قريب.

قالت وهي ترمي إليه بعض الخبز: "آسفة أيّها العصفور الصغير". تذكّرت أنّها سمعت في مكان ما أنّ ريش الطائر يزن أكثر من هيكله العظميّ.

أتت هيلين بعد وقت قصير، وتوقّفت عند الباب، ورفعت وجهها نحو الشمس وقالت: "يا إلهي! كم يبدو هذا جيدًا".

أكلتا على مهل وتحدّثتا قليلًا، كلاهما تعانيان من آثار ما بعد الثمالة.

بعد الفطور، تحقّقت فلورينس من البريد الإلكتروني مستخدمةً الحاسوب المحمول في غرفة الجلوس.

صاحت قائلةً لهيلين التي كانت تدخّن سيجارة وتحدّق إلى الأفق:

"لديك رسالة جديدة من غريتا".

سألتها من دون أن تلتفت برأسها: "ماذا تقول فيها؟".

"أتمنّى أن تسير الرحلة على خير، كلام تافه، توافه، وتريد أن تتحدّث إليك بشأن شيء ما عندما يتوفّر لديك الوقت".

"عن ماذا؟".

"لم تقل، قالت اتّصلي بها وحسب".

"حسنًا".

"هل يجب أن أردّ عليها؟".

"لا، سأتّصل بها بعد قليل".

سجّلت فلورينس دخولها إلى بريدها الإلكتروني الخاصّ، فوجدت رسالة واحدة فقط، وكانت من أمّها. مسحتها بسرعة والتقطت كلمة خيانة قبل أن تغلق النافذة.

* * *

توجّهتا إلى البلدة قرابة الساعة العاشرة، وناولت هيلين فلورينس أغراضها مرّة أخرى عند الباب.

سألت فلورينس: "أحضرت جواز سفرك؟".

"من دروس الحياة أن تحملي دائمًا جواز سفرك عندما تكونين خارج البلاد. لا تعلمين ما قد يحدث". ووقفت هيلين عند الباب، وأشارت بيدها إلى الطابق العلوي، فتجهّمت فلورينس، ولكنها ركضت إلى غرفتها، وجلبت جواز سفرها.

تبعد سيمات خمس عشرة دقيقة عن الفيلا، في الاتجاه المعاكس للاتجاه الذي جاءتا منه. تتربّع البلدة على هضبة فوق خطّ الساحل، وتحيط بها أسوار بلون رمل البحر. ساعدت أسوارها في حجب الرياح العاتية التي تهبّ من جهة البحر

ساحبة خلفها زبد أمواج البحر. كانت الأبنية تتعالى داخل المدينة حيث لا يوجد سوى عدد قليل من السيارات، شكّلت الأبنية سدًّا يحجب السماء الزرقاء الصافية. أُسّس الأمازيغ هذه المدينة القديمة في القرن الأول، واحتلّها في السنوات التالية كلّ من الرومان، والبرتغاليين، والفرنسيين على التوالي، ويطلق عليها كُتيّب الإرشاد لقب قرية صيد الأسماك، ولكنّ اقتصادها اليوم يعتمد على السياحة بشكل أساسيّ، يتدبّرون عيشهم من الزوار الذين لم تقتنصهم المنتجعات البحرية الأكثر شهرة في الصويرة وأغادير.

ركنت فلورينس السيارة بالقرب من قصر الحسن الثاني الذي يعتبر قلب سيمات، وضعتها أمام بناء له باب أزرق رائع، يقبع الميناء والبحر في أحد الاتّجاهات، والبلدة في الاتجاه الآخر. سألت فلورينس إن كانتا ستتوقّفان في الأسواق، أرادت التبضّع في مراكش، ولكنّها لم تحظَ بالوقت لذلك.

يومض ضوء الشمس من بين الحصائر الخيزرانية المعلّقة في الأعلى لتحجبه عن السوق الضيّق الذي يبلغ حجمه خُمس حجم سوق مراكش. الأرض مليئة بالغبار، وهناك طاولات مكدّس فوقها أهرام مرتفعة من التوابل، وقد لفت نظر فلورينس بطاقات مكتوب عليها زعفران وأخرى مكتوب عليها فلفل أحمر، ووُضعت على طاولات أخرى أطباق ملوّنة من الخزف مرتّبة في صفوف. تجوّلت حول رجل يبيع حقائب جلدية يدوية الصنع، كان شريكه خلفه ينحت تصميمًا معقّدًا على قطعة من الجلد مستخدمًا سكينًا، فرفعت فلورينس حقيبة حمراء صغيرة قاسية وفتحتها.

قال الرجل من خلف الطاولة: "مئتا درهم، عشرون دولارًا".

قلبت فلورينس الحقيبة بين يديها، واستدارت لتسأل هيلين عن رأيها، ولكنّها كانت بعيدة عنها تراقب رجلًا ينتف ريش ديك.

قالت فلورينس للرجل: "حسنًا، سآخذها". ثمّ انتزعت مالها من أعماق حقيبتها.

نقلت محتويات حقيبتها القديمة إلى الحقيبة الجديدة ووضعتها على كتفها، وكانت سعيدة لحصولها على تذكار من هذه الرحلة، وتوقّعت تلقي الإطراء بسبب شرائها، عند إخبار الناس أين وجدتها. ثم مشت نحو هيلين التي كانت قد انتقلت لتفحّص الأطباق وأرتها إياها.

"هل أحببتها؟".

"كم سعرها؟".

"عشرون دولارًا".

"كم خفّضت سعرها؟".

"لم أخفض، بدا هذا المبلغ جيّدًا".

"ألم تجادليه؟".

تجهّمت فلورينس قائلةً: "على الأغلب يحتاج إلى المال أكثر مني".

"هذا ليس صلب الموضوع، إنّهم يحترمون الأشخاص الذين يعلمون كيف يفاوضون، لديه الآن سبب إضافي ليعتقد أنّ كل الأميركيّين مهرّجين مترفين وضعفاء الشخصية".

اندهشت فلورينس بعض الشيء من تصميم هيلين الدائم على إشعارها بغبائها فأصرّت قائلة: "تمامًا، ألن يكون من الخاطئ تضليله؟".

ضحكت هيلين بحسد.

غادرتا السوق، ومرّتا من أمام قصر الحسن الثاني مجدّدًا واتّجهتا نحو الميناء، حيث كان يشوي البائعون الأسماك الطازجة في الأكشاك في نهاية الشارع، ففاحت الرائحة في الجوّ وبعثرتها الريح. كان هناك دزينات وربما مئات القوارب تتمايل مع تيار الماء، وكانت في معظمها زوارق ومراكب فردية للصيد على الرغم من أنّه هناك بعض السفن الخشبية وبضعة يخوت صغيرة بشعة، ذكّرت فلورينس بالوطن بطريقة ما، عندما كانت في المدرسة الثانوية، وكانت وصديقتها تتسلّلان إلى القوارب في الميناء. لم تتمكّنا في الواقع من دخولها ولكنهما استطاعتا الاستلقاء على متنها والتظاهر بأنّ اليخت لهما.

صادفتا رجلًا يطرق أخطبوطًا على الأرض مرّات ومرّات فتوقّفتا للمشاهدة.

سألت فلورينس: "ما الذي يحدث؟".

قالت هيلين: "إنّه يجعله ليّنًا، إنّه أقسى من أن يؤكل إن لم يضربه قليلًا أولًا".

تناولتا الغداء في الهواء الطلق في أحد محلّات المأكولات البحرية في الميناء بدلًا من المشي عائدتين إلى البلدة. بدا أنّ النسيم القادم من البحر ينفخ مزيدًا من الهواء الحارّ الثقيل. طلبت كلٌّ منهما أخطبوطًا طازجًا من البحر، لقد نُصحتا بذلك، كما طلبتا تشكيلة من الخضار المشوية وزجاجتين من الجعة المحلية المسماة كزابلانكا.

بينما تسلّقت الشمس إلى قمّتها، انتقل ظلّ مظلّتهما، وكشف عن ساقي هيلين العاريتين. طلبت من فلورينس أن تتبادل معها المقاعد.

قالت: "يمكن لجلدك الفتي تحمّل الشمس".

توقّفت فلورينس قليلًا، فهيلين أكبر منها بستّ سنوات فقط، ولكنّها أذعنت لطلبها.

ذبلت فلورينس مجدّدًا تحت الشمس، رفعت زجاجة الجعة إلى جبهتها ورقبتها. بالكاد تستطيع النظر إلى الأخطبوط. فكّرت في أنّه قد سُحق أرضًا حتّى الموت فدفعت صحنها بعيدًا.

سألت هيلين: "ألن تأكلي؟".

هزّت فلورينس رأسها بالنفي.

جذبت هيلين الصحن نحوها وقالت: "أنا أتضوّر جوعًا".

نظرت فلورينس إلى القوارب على صفحة الماء. عندما أغمضت عينيها، رأت بقايا صورها المضيئة عالقة في جفنيها.

أشعلت هيلين سيجارةً بعد أن أنهت وجبتها، ونفضت الرماد فوق الذرّات غير المأكولة على صحنها.

كان طريق العودة إلى الساحة تحت الشمس الحارقة أكثر انحدارًا مما تذكّرت فلورينس، تذكّرت أنّها أرادت شراء قبعة وقالت لاهثة: "إنّ الجوّ شديد الحرارة".

سألت هيلين: "ماذا تقولين؟".

"لا شيء".

لم تفكّر فلورينس في وضع السيارة في الظلّ، وكان عليهما استخدام فستانيهما لامساك قبضتي البابين. لا يزال مكيّف الهواء معطّلًا.

* * *

عند الظهيرة، عادت كلٌ منهما إلى غرفتها، فحاولت فلورينس أخذ غفوة، ولكنّها نامت نومًا متقطّعًا، واستيقظت وهي تشعر أنها كانت أفضل حالًا قبل أن تستلقي. كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة عندما غادرتا من أجل تناول العشاء، فارتدت فلورينس فستانًا قطنيًا أبيض، وانتعلت صندلًا جلديًا كانت قد بدّدت مالها لشرائه في هيودسن مع حقيبتها الجديدة، وكان وجهها محمرًّا بسبب الشمس.

طرقت على باب هيلين وسألتها: "هل أنت جاهزة؟".

صاحت هيلين من الداخل: "دقيقة واحدة، أنا أضع اللمسات الأخيرة على عملي".

سمعت فلورينس صوت إغلاق درج بعنف، ثمّ فتحت هيلين الباب قائلة: "فلنذهب". كانت تضع عقب سيجارة قصير عند زاوية شفتيها. وكانت تعبق غرفتها كلّها برائحة الدخان، ففكّرت فلورينس بأنّ هذا أكثر مما تسمح به عبارة ممنوع التدخين المكتوبة في عقد الإيجار.

نقرت هيلين عقب السيجارة في الرواق من فوق السور، طار لمسافة خمسة عشر قدمًا قبل أن يسقط على البلاط الصلب في الأسفل، فتجهّمت فلورينس عندما فكّرت في أمينة وهي تنحني لتلتقطه لاحقًا. عند الباب، أعطت هيلين أغراضها مجدّدًا لفلورينس.

كان حرّ الليل يوازي حرّ الصباح تقريبًا، فاحت رائحة الياسمين في الهواء. قادتا السيارة ونوافذها مفتوحة، ولفح هواء البحر وجهيهما، وهما متوجّهتان إلى مطعم فوق التلال نصحهما به صديق هيلين.

أرادت فلورينس أن تسأل: "أيّ صديق؟". ولكنّها لم تفعل.

قالت بدلًا من ذلك: "لم توضحي لي نوع الأبحاث التي تريدين القيام بها من أجل الكتاب".

سألتها هيلين وهي تنظر من النافذة: "ماذا؟".

"ما أقصده هو، هل هناك شيء تريدين مني القيام به ونحن هنا؟ هل تريدين مني التحدّث إلى شخص ما، أو زيارة شخص ما؟ ما زلت غير واثقة تمامًا مما يفترض بي القيام به".

"لا، لا شيء محدّد، أريد فقط أن أحصل على الشعور بالمكان، هذا كلّ شيء".

قالت فلورينس رافعةً كتفيها استهجانًا: "حسنًا".

كان المطعم خاليًا إلا من زبونين آخرين، كانا زوجين بريطانيّين في الستينيات من عمريهما كانا يأكلان الحلوى.

حّياهما المضيف بحرارة: "مرحبًا بكما".

أجابت هيلين وهي ترفع إصبعين: "نريد كأسين من الشراب الأسكتلندي".

بدت هيلين غريبة، متوتّرة ولكنّها احتفظت بلمسة من انتعاش فرح ظهر عدّة مرات منذ أن وصلتا إلى المغرب. جاءهما الشراب الأسكتلندي في كأسين ملطّخين ببصمات أصابع ملوّثة بالدِهن.

قالت فلورينس مع تكشيرة: "دارهم ما دمت في..."

أكملت هيلين: "في دارهم".

طرقتا كأسيهما وقالت هيلين: "نخب البدايات الجديدة". وارتشفتا رشفتين طويلتين.

* * *

طلبت هيلين لكلتيهما الطبق الخاصّ بالمطعم، لحم الجمل، ولكن عندما وصل الطعام شعرت فلورينس بانحسار شهيّتها نحو الطعام، وكانت تشعر بتأثير الشمس والحرارة، خصوصًا أنها أفرطت في احتساء الكحول. كانت الموسيقى العربية تنطلق من مكبّر الصوت المثبت فوق طاولتهما، وبدا أنّ صوتها يرتفع أكثر ويتآمر مع الأضواء.

كانت هيلين تتحدّث، ولكنّها بدت غائبة في مكان بعيد جدًّا، بدا كل شيء بعيدًا جدًا. شعرت فلورينس وكأنّ كل جوارحها وكلّ وجودها قد تقلّص وصار بحجم حصاة صغيرة، وكأنّها حصاة صغيرة تطرق جدران جمجمتها من الداخل، وشعرت بهوّة داخلها مظلمة وواسعة، وبالعالم حولها أبعد من أن تكترث به، وكأنّه فيلم معروض على شاشة بعيدة. بدا لحم الجمل في صحنها متعرّقًا، هل تتعرّق بعد أن تموت؟ لا! لا، الأظافر والشعر تستمرّ بالنمو، فتظهر على جثث الرجال لحى خفيفة.

عندما صمتت الموسيقى، أصبح كل شيء أكثر هدوءًا، وكأنّها تحت الماء الذي ابتلع الأصوات، شعّرت أن التيار الجارف يهدّئ من روعها ويجرفها بأمواجه، وأنّ أيادي قويةً تسحبها، ثمّ انجرفت بعيدًا مجدّدًا. فجأةً بدا صوت هيلين عميقًا ومتذبذبًا كأغنية الحيتان، كارتداد الصدى، كظلّ مترنّحٍ على جدار، كما لو أنّ كل شيء قيل قبلًا وسيُقال مجدّدًا، ولكن بصوت أعمق وأغنى حتّى تلاشى تمامًا، وكل ما بقي هو صوت الأمواج، تروح وتجيء بعذوبة، وعذوبة، وعذوبة...

القسم الرابع

27

"سيدة ويلكك؟".

كانت فلورينس أكثر وعيًا عندما استفاقت في المرة الثانية، تذكّرت أنّ الطبيب قال إنّها تعرّضت لحادث سير وأنّه خاطبها باسم سيدة ويلكوكس، ما الذي يعنيه هذا؟ أين هي هيلين؟ ربّما في سرير آخر، في غرفة أخرى، ربما يخاطبونها باسم السيّدة دارو؟

عندما عادت الممرّضة سألتها فلورينس: هل المرأة التي كانت معي في السيارة هنا؟".

نظرت إليها الممرّضة نظرات زائغة.

واجهت صعوبةً بإيجاد بعض الكلمات الأساسية في اللغة الفرنسية نظرًا لحالة التشويش التي كان دماغها قد تعرّض لها وقالت: "هل من شخصٍ أميركي آخر غيري في المستشفى؟ امرأة؟".

هزّت الممرضة رأسها قائلةً: "ما من أحد آخر يا سيّدتي".

"كانت هناك امرأة معي في السيارة، هل تعلمين ماذا حدث لها؟ ماذا حدث للمرأة الأخرى؟".

ابتسمت الممرّضة بعجز وهزّت كتفيها.

"هل أتى أحد لزيارتي؟".

هزّت الممرضة رأسها مجدّدًا، وقالت قبل مغادرتها: "لم يأتِ أحد".

تأمّلت فلورينس السقف، لا أحد، لم يأتِ أحد لزيارتها. أدارت وجهها باتجاه النافذة، ولاحظت للمرّة الأولى وجود كيس بلاستيكي متجعّد على الطاولة بالقرب

من سريرها. وعندما مدّت يدها إلى الكيس سرت ضربة من الألم في أضلاعها، وعلت وجهها تكشيرة وهي تسحب الكيس وتضعه في حضنها. وجدت بداخله الملابس التي كانت ترتديها الليلة الماضية، الثوب الأبيض، لباسها الداخلي، والحقيبة التي اشترتها في وقت سابق من ذلك اليوم، كل شيء مبلّل بالماء، الجيب الداخلي للحقيبة مغلق وبداخله جواز سفر هيلين ومحفظة نقودها وهاتفها وعلبة سجائر مبلّلة. حسنًا هذا يفسّر مناداة الجميع لها بالسيدة ويلكوكس. أما بقية الحقيبة فكانت فارغة.

ضغطت على زرّ تشغيل هاتف هيلين فلم يشتغل.

28

استيقظت فلورينس فجأةً، مقطوعة الأنفاس وقلبها ينبض بسرعة كبيرة، وحالما فركت عينيها، أدركت وجود شخص آخر معها في الغرفة. كان الرجل الذي يرتدي لباس البحرية مرّة أخرى، لمَ يظهر هذا الرجل خلال نومها فقط؟ بدا الأمر كما لو أنه مجرّد شكل بشريّ تستحضره أحلامها.

خاطبها قائلًا: "السيّدة ويلكوك، هل تتذكّرينني؟ أنا الضابط حميد رمزي من الأمن القومي، ومن الضروريّ أن أسألك الآن بعض الأسئلة حول الحادث". كانت لغته الإنكليزية غريبة قليلًا، لكنها كانت أفضل مما توقّعته من شرطيّ في بلدة صغيرة في المغرب، وربما كان هو معجبًا ببراعته أيضًا، فقد تحدّث بثقة عمياء.

نظرت فلورينس حولها، متمنّية قدوم الممرّضة لعلّ ذلك يعطيها مهلة، ولكن أحدًا لم يأتِ. أومأت إلى الشرطي بالموافقة.

بحث الرجل في جيوبه حتى تمكّن من إيجاد دفتر ملاحظات صغير باللون البيج، وسحبه من جيبه مع قلمٍ مقضوم الرأس. كانت كل تحرّكاته مفاجئةً ومتشنّجة، وكأن مفاصله رُكبت حديثًا، وهو لا يزال يحاول الاعتياد عليها.

"بدايةً، هل تتذكّرين أحداث الليلة الماضية؟".

هزّت فلورينس رأسها بالنفي.

قلّب رمزي بضع صفحات إلى الوراء في دفتر ملاحظاته وقال: "لقد خرجت سيارتك عن مسارها في شارع بدر، وسقطت في المحيط قرابة الساعة العاشرة والنصف مساءً. ومن حسن حظّك، تواجد صياد على مركبه ورأى ما حدث،

فسحبك من السيارة وأنقذك. وصلتِ إلى المستشفى قرابة الساعة الحادية عشرة، وكنت غائبة عن الوعي".

ارتسمت ابتسامة باهتة على وجه فلورينس، وشعرت وكأن أحدًا كان يمازحها.

سألت بشكّ: "سقطت سيارتي في المحيط؟ وسحبني شخص ما خارجها بينما كانت تغرق؟".

"هذا بالضبط ما حدث، نعم".

استمرّت فلورينس بالنظر إليه منتظرةً المغزى من كلامه، وبدوره حدقّ إليها. كانت لديه تلك النظرة المتعبة الحذرة في عينيه، فتلاشت ابتسامتها، وبذلت مجهودًا كبيرًا لمعالجة هذه المعلومات الجديدة. بدا لها أنه من غير المعقول أن يكون شيئًا كهذا قد حدث لها من دون أن تقدر على تذكّره. كانت هذه أكثر لحظات حياتها إثارةً، وقد فوّتتها! يا له من فعل نمطي!

شارع بدر هو الطريق الذي سلكتاه للوصول إلى المطعم، وقد لاحظت المنحدر القاسي نحو البحر في ذلك الوقت وأبعدت السيارة عنه، ومن المستحيل أن تكون سيّارتهما بعد عدّة ساعات قد رمت بنفسها في حضن الليل وسقطت في المياه السوداء.

لكن أين هيلين؟ دارت حول هذا السؤال ببطء، وتابعت البحث عن بدائل رغم تجلّي الإجابة الأكثر احتمالًا أمامها، وكأن وجود عدّة لحظات أخرى من عدم اليقين ستغيّر النتيجة. "إذًا..." أرادت أن تسأل الرجل عن شيء ما ولكنّها نسيت ما هو، لماذا لم يذكر الشخص الآخر الذي كان في السيارة؟ لأنّها لم تُنقذ؟

"انتظر، ولكن من هو؟ من أنقذني؟"

"الصيّاد؟".

"من هو؟".

"أتريدين اسمه؟".

"اسمه؟ أعتقد أنّني أريده، يجب أن أشكره، أليس كذلك؟".

فرك الشرطي صدغيه ونسخ اسمًا ورقم هاتف من ذاكّرته على صفحة نظيفة ثمّ مزّقها وناولها لفلورينس.

وضعتها على السرير من دون أن تنظر إليها، وأحكمت إغلاق عينيها. ولكنّها رأت عندما فعلت ذلك صورةً لهيلين وكأنّها مُلتقطة من آلة تصوير داخل جفنيها، كانت تغرق وتطرق بقوّة على نافذة السيارة تشاهد بيأس فلورينس تُسحب إلى برّ الأمان. هل هذا ما حصل؟ هل تركها الصيّاد هناك؟ ألم يرها؟ أم أنّه كان لديه قوّة كافية ليُنقذ واحدة منهما فقط فاختارها هي؟ يا إلهي! يا له من غبي، لقد اختار الشخص الخاطئ.

قطع صوت الشرطي سلسلة أفكارها: "سيّدتي، ما هي آخر ذكرياتك حول تلك الليلة؟".

فتحت فلورينس عينيها: "ماذا؟".

"آخر ما تتذكّرينه".

حاولت فلورينس استرجاع أفكارها، لحم الجمل، الموسيقى، قالت: "العشاء والمطعم".

"أيّ مطعم؟".

"كان في أعلى التلة، دار أمل؟ شيء من هذا القبيل؟".

كتب ذلك في مفكّرته.

"وهل كنت تشربين الكحول؟".

فاجأها سؤاله، فها هي للتو قد بدأت تفهم فكرة أنّ هيلين قد تكون ميتة، هل يلمّح إلى أنّه كان ذلك خطأها؟ لم تفصح ملامحه عن أيّ شيء.

"سيّدة ويلكوك؟".

قالت فلورينس وهي تهزّ رأسها: "لا أتذكّر، لا أستطيع أن أتذكّر، أنا آسفة".

"هل تدركين أنّه من غير القانوني في المغرب أن تقودي بعد تناول الكحول؟ حتّى ولو لم تشربي سوى كأس واحدة فقط؟".

تذكّرت الكأسين القذرتين من الشراب الأسكتلندي، وهيلين ترفع كأسها لتقول نخبًا، وعرفت حينها بجلاء مرعب ما قد حدث، لقد أفرطت في شرب الكحول، وقادت السيارة حتّى سقطت عن الجرف وقتلت هيلين، وهناك الآن رجل شرطة يسألها عن ذلك، وسيزجّ بها في سجن مغربي، فكّرت بقيود الرقبة التي وجدتها في قصر البديع.

تابع الشرطي النظر إليها باهتمام فقالت: "لا، لم أعرف هذا". أومأ إليها برأسه ببطء وهو يراقبها، ثمّ وضع ساقًا فوق الأخرى وأزالها مجدّدًا وسألها من أين هي.

سألت باستغراب لتلقّيها هذا السؤال السهل بشكل مفاجئ: "ماذا؟".

"من أين أنت؟".

"من الولايات المتّحدة..."

تابع الشرطي طرح سلسلة من الأسئلة اللطيفة على مثال: منذ متى وهي في المغرب؟ أين استأجرت؟ ما الهدف من زيارتها؟

قالت: "البحث، من أجل كتاب".

حدّق إليها بحدّة: "هل أنت صحفية؟".

قالت: "لا بل روائية، أكتب الروايات الخيالية".

بدا هادئًا.

بقي لمدة تقارب النصف ساعة، ولكنّه لم يذكر هيلين. أخيرًا، وقف ليغادر، وقال ويده تمتدّ إلى الستارة: "أنت محظوظة جدًّا". بدت جملته اتّهامًا، فقالت فلورينس وهو يهمّ بالمغادرة: "انتظر". نظر إلى الخلف.

"ماذا عن السيارة؟ هل انتُشلت؟".

"ماذا تعنين بكلمة انتُشلت؟".

"هل سُحبت من الماء؟".

قال وكأنّه يحادث طفلًا: "بالطبع، ولكنّها انتهت، تسرّب الماء إلى داخل المحرّك، ولا زجاج أمامي لها".

"لا، هذا ليس ما..." توقّفت فلورينس فجأةً، فتابع التحديق إليها باهتمام بالغ: "ألم يكن هناك... أي شيء آخر في السيارة؟".

"مثل ماذا؟".

توقّفت لمدة قصيرة.

قالت أخيرًا: "حذائي، لقد فقدت حذائي، كان باهظ الثمن".

قال وقد استشاط من الغضب وبصوت قويّ رتيب: "سيّدة ويلكوك، كنت تقودين تحت تأثير الكحول، وكان من الممكن أن تقتلي سائقًا آخر، وخاطر رجل بحياته لينقذك، ولا أكترث بشأن حذائك".

همست فلورينس: "حسنًا". حدّقت بحزم إلى الملاءة الخفيفة التي تغطّي قدميها. أرادته أن يرحل، وهذا ما قام به بعد أن سحب الستارة بعنف.

تمالكت نفسها، وحاولت التنفس ببطء أكثر.

لا يعرف، لا يعرف، لا يعرف.

قال إنّه لا يوجد زجاج أمامي، لابدّ أنّه تحطّم خلال الاصطدام، ولا بدّ من أنّ هيلين التي لم تضع في حياتها حزام الأمان قد عامت بعيدًا وحسب.

وضعت فلورينس يديها على وجهها، وبقيت على هذه الحال لدقائق، ولكنّها أدركت لاحقًا أنّ ما كانت تفعله هو ضرب من ضروب عروض التمثيل، وأنّ ليس لديها جمهور هنا، ثم أعادت وضع يديها على السرير.

29

في صباح اليوم التالي، أحضرت ممرّضة بعض الاستمارات لتوقّعها فلورينس، سيطلقون سراحها. كانت الاستمارات مكتوبة بالكامل باللغة العربية، ولكنّ فلورينس لم تكترث، طبعت اسم هيلين ويلكوكس حيث أشارت الممرضة ووقّعت تحته.

وهكذا سنحت لها الفرصة لتخبرهم بأنّها ليست هيلين ويلكوكس، ولكنها اختفت بلمح البصر.

كادت قدماها أن تنهارا عندما وقفت، وساعدتها الممرّضة في الذهاب إلى الحمام المشترك في الرواق، فكان صغيرًا وقذرًا، وشعرت بالامتنان للمرّة الأولى لأوعية التبول في الفراش التي كانت تستخدمها حتّى الآن.

ارتدت فلورينس ملابسها بصعوبة متجنّبةً البركة الكريهة على الأرض الإسمنتية، أمضت بعد ذلك وقتًا طويلًا تنظر إلى نفسها في المرآة، كان وجهها متوّرمًا ومشوّهًا، وشعرت بشعور غريب بعدم الارتباط به، وكأنّ المرآة كانت في الواقع صورة فوتوغرافية تظهر شخصًا آخر. وتذكّرت كيف كان الطلّاب في الجامعة يثملون ويرسمون بالأقلام على وجوه الغائبين عن الوعي. فشعرت وكأنّ شخصًا ما قد فعل ذلك لها، وكأنّ شخصًا ما قد رسم كدمات ودماء على وجهها في أثناء نومها مستخدمًا مستحضرات التجميل السينمائية.

ولكنّ كدماتها ودماءها كانت حقيقيةً بالطبع، كانت ناعمة ومسلوخة، إذ علق فستانها المتصلّب بسبب الملح بالجروح على جسدها فقشطها، والتفّت شرائطه السميكة حول جذعها فسحبت جلدها البنفسجي.

فتحت صنبور المياه الساخنة على المغسلة، ورفعت يدها تحت سيل المياه المتماوج الذي بقيت درجة حرارته معتدلة ومنفّرة حتّى بعد عدّة دقائق فأغلقته بإحباط.

أعطوها فاتورةً قبل أن يُخرّجوها من المستشفى، بلغت تسعين دولارًا أميركيًا، دفعتها باستخدام بطاقة هيلين البنكية. ثمّ وصل الشرطي رمزي ليأخذها بسيارته إلى فيلا دي غرينيدز. كانت تفضّل أن تذهب بسيارة أجرة، ولكنّها لم ترد أن تثير الشبهات. هل يرفض البريء عرض الشرطة بأن تقلّه بسياراتها؟ وخصوصًا إن كان بلا حذاء.

استدارت في السيارة لتسأله: "هل أنا واقعة في مشكلة؟".

قال: "القيادة تحت تأثير الكحول مخالفة للقانون".

"هل أجريتم لي اختبار الكحول؟".

"ما هذا؟".

"ما أقصده هو هل لديكم دليل على أنّني كنت أشرب؟".

"عمّال المطعم يقولون إنك كنت كذلك".

"هل تحدّثت إليهم؟".

"بالطبع".

استدارت فلورينس بعدم ارتياح في مقعدها، إذ كان حزام الأمان يؤذي أضلاعها، وسألت: "ما الذي سيحدث؟".

توقّفت السيارة التي أمامها بغتةً وضغط رمزي على البوق، ثمّ أخرج رأسه من النافذة وصاح بغضب على السائق الآخر. عاد واتّكأ إلى الوراء في مقعده، وأخذ نفسًا عميقًا عندما عادا إلى التحرّك، ثم استدار نحو فلورينس عند الإشارة المرورية التالية وقال: "ما الذي سيحدث! لن يحدث شيء في الغالب، السياحة مهمّة هنا، هل تفهمين؟".

أومأت إليه فلورينس برأسها، شعرت بالذنب كما كانت متأكّدة من أنّه أرادها أن تشعر به.

"ظلّ ابن أخي في السجن لمدّة ستة أشهر بسبب هذا، ولكنّ ابن أخي ليس أميركيًا بالطبع".

قالت فلورينس ببرود: "أنا آسفة". لماذا لم يستطع استخدام علاقاته لمساعدة ابن أخيه في الخروج من السجن، ربما هذا لا يحدث هنا، ربما اعتقد أنّ الفتى يستحقّ السجن، على الرغم من أنّها تساءلت عن كل هذه الأسئلة إلا أنّها لم تسألها.

بدأت أمينة بنزول الممشى للقاء السيارة عندما وصلت إلى بيتها، توقّفت عندما رأت الشرطي خلف المقود، حيّاها ونظرت إليه.

خرجت فلورينس، وأطلّت على المنزل رافعةً يدها لتحجب الشمس، وهي تشعر بأنّه قد مرّت سنوات منذ أن كانت هنا.

كان رمزي أيضًا يتفحّص المنزل سأل وهو يطل من النافذة: "صديقتك، هل تنزل هنا أيضًا؟"

سألت فلورينس بحدّة: "أي صديقة؟".

"قال عمّال المطعم إنّك كنت مع صديقة".

"لست متأكّدة من مكانها".

"ألم تأتِ إلى المستشفى؟".

رفعت فلورينس كتفيها: "كان لديها سيارتها الخاصة، وهي تسكن في المدينة، أغلب الظن أنّها لا تعرف بحصول الحادث".

هزّ رمزي رأسه، تخيّلت فلورينس أنّه يشمئز منها بشكل مطلق، من علاقاتها المفكّكة وعدم اكتراثها بالقواعد وجهلها. حسنًا، فليحتقرها بسبب كل هذا، الأمر المهمّ هو أنّه لا يشكّ بها بسبب أي شيء آخر أسوأ، كالقتل غير العمد مثلًا.

وقفت كلّ من أمينة وفلورينس في ممرّ السيارات، وراقبتا رمزي يقود سيارته بعيدًا، وعندما غابت السيارة عن الأنظار، استدارت أمينة وأشارت إلى الكدمات على وجه فلورينس وسألتها: "هل أنت بخير؟".

طمأنتها فلورينس: "نعم، بخير". شعرت بفيض من الراحة لكونها في مكان مألوف، وبالامتنان للمساعدة اللطيفة التي قدّمتها هذه المرأة التي تبعتها بخطوات صغيرة نشيطة، فتركت الحصى آثارًا على قدميها العاريتين.

صعدت فلورينس مباشرة إلى الأعلى، لكنها قبل أن تستلقي ذهبت لتتفقّد غرفة هيلين. كانت ملابسها في الخزانة ومجوهراتها مبعثرة على سطح رفوفها، وفرشاة أسنانها موضوعة بشكل مائل في الفنجان على المغسلة. بدا الأمر وكأن مالكة هذه الأشياء ستعود في أي لحظة، فمرّرت يدها برقة على الأثواب المعلّقة في الخزانة، فانبعث من علّاقات الملابس بسبب هذه اللمسة صوت رنين خفيف.

جلست فلورينس بكل ثقلها على سرير هيلين، ثم انهارت مستلقيةً عليه، وحدّقت إلى الظلال المنعكسة على السقف. ربما كان الكذب على الشرطي خطأً، لكنها لم تكن قادرة على إخباره بوجود شخص آخر في السيارة. ربما سيغضون النظر عند رؤيتهم سائحًا ثملًا يقود سيارةً، ولكن بالتأكيد لن يفعلوا هذا عند قيامه بقتل أحدهم خلال القيادة.

علاوةً على ذلك، ما الهدف من كلّ هذا؟ لقد رحلت هيلين، لم يكن الأمر وكأنّها تطفو على قطعة من حطام سفينة منتظرةً أن تُنقذ. ربما كان من الخطأ أن تدع جسدها ينجرف بعيدًا في البحر، وقد عرفت من برامج أخبار فلوريدا المروّعة التي لطالما أحبّت والدتها مشاهدتها أنّه يصعب التعرّف إلى الجثث بعد أن تبقى عدة أيّام في البحر، لأنها تنتفخ بفعل الماء، وتمضغ الأسماك أطرافها. كما عرفت أن التعامل مع الجثث في بعض الثقافات، بل في أغلبها، له مكانةٍ مقدّسة، إلا أن فلورانس لم تتمكّن من فهم ذلك وافترضت أن هيلين أيضًا لم تكن لتوافق على مثل هذا. من مات قد مات، هم لم يعرفوا. كانت هذه الطقوس مجرّد علاج للأحياء.

دفعت نفسها إلى وضعية الجلوس، وسحبت علبة مسكّن الألم التي أعطوها إياها من حقيبتها، وابتلعت حبّتين من الدواء مع نصف كأس ماء كانت موجودةً هناك منذ يومين. ثم تراجعت إلى الخلف، ونظرت في أرجاء الغرفة. كانت أكبر من غرفتها بكثير. ثم غرقت في نوم عميق من دون أن تطرأ على بالها أي فكرة أخرى.

30

مكتبة
t.me/t_pdf

أمضت فلورينس اليوم التالي في سريرها، وحاولت قراءة رواية غراهام غرين التي أحضرتها معها، ولكن الدواء جعلها غير قادرة على التركيز. أمضت ساعات وهي تغفو وتستيقظ، وكانت الأفكار المتعلّقة بهيلين تعود إليها مرة تلو الأخرى وكأنها غصن شجرة ينقر باستمرار على النافذة. لكن هذه الأفكار لم توصلها إلى نتيجة، كانت مجرّد ضوضاء.

أحضرت لها أمينة عددًا غير منتهٍ من أطباق الطعام، وحملت مرّتين إبريق الشاي النحاسيّ الكبير، وسكبت الشاي بالنعناع الذي ينطلق منه البخار مباشرةً في الغرفة. كان الأمر ليبدو لها أسهل لو أنها بكلّ بساطة أحضرت فنجان الشاي، لكن فلورينس قدّرت لها القيام بتلك المراسم. كانت والدتها بالكاد قادرةً على أن تأخذ إجازةً من عملها عندما كانت تصاب بالمرض خلال طفولتها، ولهذا استمتعت بالخدمات التي قدّمتها أمينة.

في وقت متأخّر من الظهيرة، وبينما كانت أمينة تأخذ الأطباق، سألت فلورينس: "هل ستعود صديقتك؟".

لم تذكر فلورينس شيئًا بخصوص السبب الذي دفعها إلى تبادل الغرف أو بخصوص ما حدث لهيلين.

حتى إنّها لم تعطِ أيَّ تفسير لكدماتها، ولم يكن بمقدورها إلقاء اللوم على مسكّنات الألم، إلا أن الحقيقة كانت أنها لم تتمكّن من تحمّل فكرة أن تنظر أمينة إليها بالطريقة نفسها التي نظر بها الشرطي إليها.

أجابت فلورينس: "لا أعتقد ذلك، لقد ذهبت إلى مراكش".

جالت عينا أمينة في أرجاء الغرفة التي كانت ممتلئة بأغراض هيلين المبعثرة وقالت: "بدون...".

"لقد أخذت بضعة أشياء في حقيبة صغيرة، سآخذ الباقي عند ذهابي".

هزّت أمينة رأسها بالموافقة.

في الصباح التالي، استيقظت فلورينس وهي تشعر بتحسّن. ازدادت الحرارة خلال الليل، لقد استطاعت الشعور بها وكأنها بطانية ثقيلة أُخرى فوقها. ربما وصلت درجة الحرارة إلى تسعين درجة، فنظرت إلى ساعة يدها، إنها التاسعة. ركلت الأغطية ودفعت الوسادتين باتجاه اللوح الأمامي للسرير، وسحبت نفسها برقّة قدر المستطاع لتتّخذ وضعية الجلوس. كانت تشعر بالألم، لكنّ حدّته تراجعت، فبحثت عن هاتفها قبل أن تدرك أنها لم تعد تملك واحدًا. نظرت إلى حبوب الهيدروكودون الموضوعة على الطاولة الجانبية، لكنها قرّرت ألا تأخذ منها، لأنها لا تريد أن تعرّض نفسها للتشويش بعد الآن.

خلال جلوسها هناك في تلك الغرفة المضاءة الحارّة شمّت رائحة الحموضة المنبعثة من جسدها. لم تكن قد استحمت منذ أكثر من يومين، وكانت تفوح من جسدها الذي أفرز إفرازات عرق رائحةٌ كريهة للغاية، وفكّرت في مقدار الجهد الذي علينا أن نبذله لإخفاء رائحتنا.

دخلت بخطوات مرتعشة إلى حمام هيلين الكبير المكسوّ بالسيراميك واستحمت لوقت طويل، رافعةً معصمها المغطّى بجبيرة بعيدًا عن مجرى تدفّق الماء قدر ما استطاعت. أحسّت بلسعات من الألم بسبب خدوشها، لكنها شعرت بانتعاش لطيف، بعد أن جعلها الألم أقوى من الناحية الجسدية. فهي وحدها لم تكن تريده في رأسها.

ربّتت بيدها على علبة زجاجية من مرطّب الجسم الكثيف القوام، وهي لا تزال ملفوفة بمنشفة، ومشّطت شعرها إلى الوراء، ونظرت إلى نفسها في المرآة.

أدركت لماذا أخطأوا واعتقدوا أنّها هيلين في المستشفى، على الأقل بالمقارنة مع الصورة الموجودة على جواز سفر هيلين المبلّل، تطابقت النقاط الأساسية، بنية

نحيلة، شعر أشقر، عينان قاتمتان، وكان وجهها منتفخًا مليئًا بالكدمات الأمر الذي أخفى معظم معالمها. تذكّرت نصيحة متعلّقة بالكتابة كانت هيلين قد أسدتها إياها سابقًا. عليكِ إعطاء تفصيل واحد أو اثنين لا أكثر عن المظهر الخارجيّ للشخصية. إن هذا كل ما يحتاج إليه القارئ لتشكيل صورة في مخيّلته، وأي شيءٍ آخر سيشتّت انتباهه.

ارتدت فلورينس زوجًا من ملابس هيلين الداخلية الحريرية ذات اللون الرمادي، وفتحت باب خزانتها، وسحبت فستانًا من الكتّان قشدي اللون مع أزرار قرنية الشكل في منتصفه، ووضعت في معصمها بعضًا من أساور هيلين. وفجأةً تذكّرت أن هيلين كانت تضع أساور مكتنزة في ليلة الحادثة. فهل حاولت السباحة للخروج من السيارة؟ هل أثقلت هذه الأساور وزنها وسحبتها إلى الأسفل؟

ربّتت على خديها برقّة، واستمرّت بإقناع نفسها بأنه غير مهمّ، إنه غير مهمّ.

تناولت الطعام على التراس في الطابق السفلي بشهية، فدهنت الخبز بالزبدة والمربّى، وطلبت من أمينة أن تعدّ لها البيض، ثم شربت ثلاثة فناجين من القهوة والمبيّض. بعد ذلك تقلّبت على أحد الكراسي، فأحضرت لها أمينة بعض الماء البارد مع النعناع والليمون، وكانت الكأس قد بدأت تتعرّق قبل أن تضعها، فأغمضت فلورينس عينيها، وشعرت بالحرارة تضغط عليها.

لقد ماتت هيلين.

للمرة الأولى بدأت تدور هذه الفكرة برأسها كما لو كانت تحملها إلى الأعلى لتبصر النور، وتتفحّصها بدقّة، لقد ماتت هيلين.

انتظرت لترى إن كان بمقدورها الشعور بشيء من الحزن أو ربما الذنب، لكنها لم تشعر بأي منهما.

فكّرت في أن الموت يشكّل الحدث الانتقالي الأهمّ في رحلة وجود أي شخص، ومع ذلك فحالما يحدث لن يكون الأمر مهمًّا للشخص نفسه بعد الآن. تشكّل العلاقة بين الشخص نفسه وبين موته حدثًا توزيعيًا، حيث باستطاعته

المشاركة بهذا الحدث وبإمكانه القيام بهذه التجربة، ولكن حالما تكتمل هذه العملية لن يكون موجودًا ليراها، وسيكون قد رحل. عند هذه النقطة فإن المغزى من وجوده سيكون عبارة عن أجزاء مبعثرة، وسيكون تأثيرها موزعًا بين الناجين.

من همّ الناجون في حالة هيلين؟ أمها ماتت، وأُبعدت عن عائلتها. ومن هناك أيضًا؟ المحرّر الخاصّ بها؟ لم يكونا قريبين من بعضهما حسب أقوال هيلين. ماذا عن غريتا؟ ربما تشعر بمرارة فقدان إحدى عميلاتها، لكن للكلّ حصّته من هذه الخسارة المهنية.

في الحقيقة، كان الشخص الوحيد الذي شعرت بالأسف حياله هو هي نفسها، كانت هي الوحيدة التي تأذّت، وتُركت وحدها في بلد أجنبي، مجرّدة من عملها، ومن راتبها ومرشدتها بضربةٍ واحدة.

مع ذلك لم تشعر بشيء، لا بالشفقة ولا بالندم، لم تشعر بأي شيء على الإطلاق.

في ظلّ انعدام هذا الشعور أو أي شعورٍ آخر، تمكّنت فلورينس من رؤية الحقائق بوضوح، وما كان شيّقًا بخصوص هذه الحقائق، أو بالأحرى شيّقًا جدًا، كان عدم معرفة أيّ شخص بما حدث فعلًا. كانت الشخص الوحيد في العالم الذي عرف أن هيلين ويلكوكس قد ماتت.

31

من الممكن أن جزءًا من فلورينس دارو عرف ما كانت ستفعله في اللحظة التي سمعت بها الضابط يهمس ذلك الاسم في أذنها؛ سيّدة ويلكوك. أو ربما عرفت ذلك في وقت سابق، ربما كان ذلك في المرّة الأولى التي دخلت فيها منزل هيلين البارد الأبيض قبل خمسة أسابيع، ورأت أزهار القرنفل على عتبات النوافذ والموقد المتوهّج. خلال الوقت الذي وجدت نفسها فيه مستلقيةً تحت الشمس الساطعة في ذلك الصباح الحارّ بشكل غير معقول، بدأ بعض الشكّ يشغل بالها.

ستصبح هيلين ويلكوكس.

ولَمَ لا؟ فقد كانت هويّة هيلين موضوعة هناك، ما من أحد يستخدمها، منتظرة كمنزل كبير فارغ. في هذه الأثناء كانت هي تعيش في كوخ صغير بشع، ولَمَ لا ينبغي لها الانتقال إلى هذا القصر المهجور؟ لَمَ عليها تركه ليصبح بحاجة للترميم عوضًا عن ذلك؟ كان باستطاعتها الدخول والقيام ببعض الإصلاحات، تنظيف المزاريب، شطف الأرضيات، والتأكّد من بقائه بحالة جيدة.

كانت قد حصلت على المفاتيح مسبقًا، وكان هذا هو الجزء المذهل، أعطتها هيلين كلّ المفاتيح.

لقد عرفت كيف تكون هيلين، لديها الآن خبرة في عيش روتين حياة هيلين أكثر من هيلين نفسها. لقد عاشت في منزلها، دفعت فواتيرها، وكتبت لها بريدها الإلكتروني، لهذا اعتقدت أنها قادرة بالتأكيد على النجاح كهيلين؛ فلطالما فعلت ذلك. كانت صور رخصة قيادة وجواز سفر هيلين صغيرة وقديمة للغاية، وعلى أية حال فقد تلفت بفعل الماء.

كان هذا النتوء الحادّ على أنف هيلين أكثر سمة بارزة لديها، إلا أنه لم يكن ظاهرًا في الصور المأخوذة من الأمام. بالإضافة إلى ذلك فمن ذاك الذي سينظر إليها بشكل قريب إلى هذه الدرجة؟

عندها خطر ببالها أنها لم تحصل على جواز سفر حتى، لقد جرفه التيار المائي بعيدًا كما حدث مع هيلين. في السياق الطبيعي للأحداث، عرفت أن باستطاعتها الذهاب إلى السفارة والحصول على جواز جديد، إلا أن هذا السياق لم يكن ليجلب لها سوى خيبة الأمل لبقية حياتها. إلى جانب ذلك، لمَ قد تحتاج إلى جواز سفر فلورينس دارو بعد الآن؟

لم تستطع فلورينس منع خروج ضحكة عالية بشكل زفير هامس صغير. هذا الوضع غريب جدًا، لذا بدا لها الأمر وكأنه هدية من قوّة أسمى، ربما كان ذلك ما وعدتها به أمها طوال تلك السنوات، كانت هذه فرصتها لتحقيق العظمة. كان بمقدورها بكل بساطة أن تحتلّ الفراغ الذي تركته هيلين خلفها، وكان الأمر كله متوقّفًا على عدم إخبار أحد بموت هيلين.

كانت والدتها تخبرها في كثير من الأحيان بأن لديها حياة واحدة فقط لتعيشها، وأنها ما لم تفعل أي شيء عظيم بها فستكون عندها قد أضاعت هدية الربّ، والناس الذين عاشوا حياة بسيطة متواضعة كانوا بمثابة خيبة أمل بالنسبة إليه. إن التخلي عن حياة مهمّة كهذه سُلّمت لها تحديدًا يعتبر جحودًا كبيرًا، بل إنه يتخطّى الجحود ليرتقي إلى مرتبة الكفر.

وضعت فلورينس ذراعها على عينيها، واستلقت ساكنة لدقائق. ثم نهضت ونفضت بعض الأوراق اليابسة عن ثوبها.

شعرت فلورينس بالراحة تتغلغل في عظامها، في قدميها، وفي روحها. في النهاية، تمكّنت من التخلّص من كل تلك المشاعر القديمة التي كانت مصاحبة لها بشكل دائم من شكوك وإحساس بعدم الأمان وقلق، تلك المشاعر التي انتمت إلى فلورينس دارو، ولم يكن عليها المحاولة بشدّة من أجل أن تتغير بعد الآن. التغيّر؟

يا له من خدعة! لا أحد يتغيّر. إنهم يمضون سنوات في تعديل عاداتهم متّخذين خطوات تدريجية صغيرة على أمل تغيير مجرى حياتهم، وهو ما لا ينجح أبدًا. لا. عليك فقط أن تعرف كيف تحدّ من خسائرك، لقد مُحيت آثار فلورينس دارو من دون أدنى شكّ. لم يكن لديها أحد، ولم تنشر شيئًا قطّ. وهل لديها فعلًا ما يستحقّ الإنقاذ؟ ستطهّر كل شيء، ستنزع عنها فلورينس دارو بحركة سريعة، وسترتدي هيلين ويلكوكس، وستعيش حياة مرفّهة، حياة الفنّان، الكاتب، لفظت هذه الكلمات لاهثة.

ماذا عن مود؟ لم تكن قد فكّرت في مود ديكسن حتى الآن! كانت وكأنها تحصل على هويّتين بسعر واحدة. هيلين ويلكوكس ومود ديكسن.

كان بإمكانها أن تكون مود ديكسن.

أتستطيع فعل ذلك؟

حسنًا، ربما.

لم يكن بإمكانها الإفصاح علنًا عن أنها مود ديكسن المعروفة باسم هيلين ويلكوكس، فهذا سيجلب كثيرًا من التمحيص في هويّتها، لكنها بالتأكيد قادرة على نشر أعمالها باسم مود ديكسن. كانت قد وقّعت مسبقًا على عقد الكتاب القادم، وكل ما عليها فعله الآن هو إنهاء هذا الكتاب. أخيرًا، ستتمكّن من رؤية كتابها مطبوعًا وليس بشكل حفنة من الكلمات المتناثرة هنا وهناك، مجرّد كلمات كانت تتلاعب بها عندما كانت في كيرو، الآن سيصبح هذا الكتاب كلّ شيء. إنّه لها، لم تكن مكترثة لحقيقة أنه لن يكون موقّعًا باسمها الحقيقي، وشعرت بأنّ اسم فلورينس دارو قد أصبح بالفعل بقايا من آثار الماضي. لكنها لم تعد مرتبطة به بعد الآن، بل كانت متأكّدة من أنّ الناس سيرون أخيرًا موهبتها باسم مود ديكسن. إن الأمر كلّه متعلّق بالغلاف الخارجي، كم مرة أخبرتها أغاثا بذلك؟

ستبقى هنا في المغرب لأسبوع آخر لتكمل الرحلة التي قامتا بها. لم ترد أن تقوم بأي تصرّف قد يثير الشبهات نحوها لأي سبب كان، وستمضي قدمًا كما لو أن

كلّ شيء طبيعي. وماذا بعدها؟ ستعود إلى منزل هيلين، منزلها الآن. وتنتقل إلى الغرفة الرئيسية، وتشعل النار في المدفأة الكبيرة، وتقرأ جميع الكتب التي كانت تغطّي مكتب هيلين، وتتعلّم الطبخ، وتزرع الطماطم.

كان لديها من المال ما يكفيها من دون أن تضطرّ إلى العمل، خصوصًا لو أنها عاشت باقتصاد كما فعلت هيلين. بإمكانها الآن تكريس وقتها كلّه للكتابة. باستطاعتها الكتابة في مكتب هيلين الجميل في الطابق العلوي، ستشتغل وتنتظر تدفّق عبقريتها، بالطبع كل ما يحتاج إليه الأمر هو وجود بيئة حاضنة. تلك العبقرية التي كانت تأبى الخروج في منزلها الصغير المظلم في أستوريا، وهي محاطة بالأثاث الرخيص وعبوات اللبن الفارغة.

شعرت بفورة الطاقة. أجل، أجل! أخيرًا، حصلت على ما كانت موعودةً به.

قضت فلورينس حياتها وهي حريصة على عملها للغاية، تعمل بجدّ، وتتبع القوانين، لأنها أدركت أن هذا الشيء هو ما قدّم لها الفرصة الأفضل للخروج من فلوريدا، والابتعاد عن فيرا. وقد نجح ذلك بالفعل، فقادها هذا النظام بدايةً إلى غينزفيل، ثم إلى فوريستير، وفي النهاية إلى هيلين.

كل شيء بدأ خلال الأشهر القليلة الماضية- بدايةً بذلك اللقاء مع سايمون- وقتها بدأت بنزع تلك القيود التي فرضتها على نفسها. خلال تلك الفترة، اتّخذت قرارها بأنّ تلك القوانين القديمة لم تعد قابلة للتطبيق.

ذات مرة، أخبرتها هيلين أن الشيء الأهمّ يكمن في المضيّ بالحبكة إلى الأمام، قالت ذلك بشأن كتاباتها، لكن هذا يمكن أن يُطبّق أيضًا على طريقة عيشها لحياتها، إن لزخم الأحداث أهمّية كبرى. كما أخبرتها أن النساء عمومًا ينفقن وقتًا طويلًا في التفكير بالعواقب، وفي الوقت الذي يتمكّنّ فيه من اتّخاذ قرار، يكون الرجال قد سبقوهنّ وشكّلوا التحالفات وتجاوزوا خطوط المعركة وحطّموا كل شيء.

قالت هيلين إنّهم يستطيعون دومًا تصويب الأخطاء.

حسنًا، لا بأس إذًا، ستتصرّف فلورينس أيضًا، قد تحطّم كل شيء إذا اقتضى الأمر، وستصلحه لاحقًا. ابتسمت وقالت لنفسها إنها ستكون خطّة جيدة. كانت خطّة كبيرة جدًا. نهضت للبحث عن أمينة في المطبخ، وطلبت منها أن تطلب لها سيارة أجرة. لقد كانت سجينة لوقت طويل، أطول بكثير من هذين اليومين التاليين للحادثة. كانت حبيسة حياة فلورينس دارو الصغيرة لأكثر من ستّة وعشرين عامًا.

سألتها أمينة: "أتشعرين بتحسّن؟".

أجابت فلورينس مبتسمة "اشعر بتحسّن كبير".

32

أوصلتها سيارة الأجرة إلى الطرف الشمالي للشاطئ الطويل الهلالي الشكل. يقع هذا الشاطئ جنوبي الميناء حيث شاهدت مع هيلين ذلك الصياد يخبط أخطبوطه بالأرض قبل ثلاثة أيام. وقفت فلورينس على قمّة درج غير مستوٍ توصل نهايته إلى الرمال، وحدقّت إلى المياه، فكانت الأمواج تتوالى وتلتفّ بشكل ثابت مشابه لشكل المثلجات وهي تلتفّ على نفسها تحت المغرفة. عصفت الريح بالرمال بقوّة، ناثرة معها حفنات منه إلى هنا وهناك، محرّكة إياه في اتّجاهات مختلفة.

عند أسفل الدرج، جلس ثلاثة جِمال تحت أشعّة الشمس تغطّيها بطانيات ملوّنة، وجلس رجل بالقرب منها يمسك بيده مربطها.

مرّت سنوات منذ قصدت فلورينس البحر، كانت المرّة الأخيرة في فلوريدا خلال فترة الجامعة. يومها ذهبت وحيدة لتسبح، وتعرّضت للسعة قنديل البحر، فاستمرّت بالترنّح إلى أن وصلت إلى الشاطئ، وهناك سكبت امرأة الماء على منشفة وضغطتها على جلد فلورينس المحمرّ.

قالت لها فلورينس بكلّ ثقة وهي تئن من شدّة الألم: "إن نسبة الماء الموجود في قنديل البحر تشكّل خمسًا وتسعين بالمئة".

سألتها المرأة: "ولكن كيف تستطيعين التمييز بين الماء الخاصّ به وبين ماء البحر؟".

وكان سؤالها في مكانه.

خلعت فلورينس الصندل من قدميها، وسارت على الشاطئ، وعندما وصلت إلى منطقة مفتوحة نسبيًا، بسطت المنشفة البالية التي أحضرتها من المنزل، ودفنت

أطرافها في الرمل لتثبّتها، فتماوجت المنشفة وسُحبت مراسيها لكنها بقيت في مكانها.

استطاعت أن تشعر بحرارة الرمال تحتها على الرغم من أن المنشفة سميكة النسيج. كانت السماء صافية، يتخلّلها بعض الخطوط النفاثة البيضاء التي تشكّلت خلف طائرات مرّت منذ مدة. خلعت ملابسها، وبقيت بثوب السباحة وهو بيكيني أسود اللون ونزلت إلى الماء. كانت المياه أبرد مما توقّعت، خاضت في المياه حتى غمرتها إلى خصرها. كانت تتوق إلى الغوص فيها، لكن الطبيب أخبرها أن تحافظ على جفاف جبيرتها. وللمرة الأولى تساءلت عن كيفية نزع الجبيرة، فكّرت في أن عليها الذهاب إلى الطبيب في نيويورك، غطّست رأسها في الماء رافعة معصمها المكسور في الهواء، ثم خرجت من الماء وهي تشعر بالنشاط.

بينما كانت تسير باتجاه منشفتها، التفت إليها بعض الأشخاص وهم يحدّقون إلى الكدمات ذات اللون البنفسجي التي كانت تغطّي بطنها وصدرها. وما لبثوا أن أشاحوا بنظرهم بعيدًا عنها محرجين، كما لو أنه تصرّف غير محتشم من قبلها أن تكشف بتهوّر هشاشة الجسم البشري. لقد استخدمت مساحيق هيلين التجميلية لتغطية وجهها بأفضل ما استطاعت، لكن فيما يتعلّق بجسدها لم يكن هناك الكثير لفعله. سحبت روايتها من الحقيبة، واستلقت على بطنها بحذر، وعوضًا عن فتح الكتاب، قامت بوضع رأسها على ذراعيها، فكانت بشرتها قد بدأت تشعر بالحرارة مجدّدًا، وانبعثت منها رائحة مرطّب الجسم الخاصّ بهيلين. أغمضت عينيها وتنفّست بعمق، إنها رائحة المسك.

لم تكن واثقة إن كانت نائمة أم لا عندما عبر خيال أمامها، فتحت عينيها، فارتسمت أمامها فتاة في العشرين من عمرها تقريبًا. وهناك هاتف محمول مثبت أسفل البيكيني البرتقالي اللون الذي كانت ترتديه، ووشم لدلفين على معدتها.

قالت: "مرحبًا". كانت تعضّ على شفتها السفلى التي كانت متشقّقة ومتورّمة.

نظرت إليها فلورينس.

تابعت الفتاة كلامها: "أنا آسفة، أعلم أن هذا مزعج، لكن أيمكنك دهن الكريم الواقي من أشعّة الشمس على ظهري؟".

حدّقت فلورينس إليها مرّة أخرى وسألتها: "كيف عرفتِ أنني أتكلّم الإنكليزية؟"

أجابتها: "من كتابك".

نظرت فلورينس إلى الدليل على جريمتها وتنهّدت.

لوّحت الفتاة بعبوة الواقي من أشعّة الشمس ذات المنظر الدهني قائلةً: "هل تمانعين؟".

رفعت فلورينس نفسها قليلًا، وهي ترتجف، استغرقت في النظر إلى جذور شعر هذه الفتاة الداكنة اللون، وجلد بطنها الرخو، والبثور التي تغطي صدرها، ثم هزّت رأسها قائلة: "لا أعتقد أنني سأفعل ذلك".

أطلقت الفتاة ضحكة خافتة وقالت: "ماذا؟".

"لا أريد أن أدهن الكريم على ظهرك".

تلاشت ابتسامتها لكنها قالت: "حسنًا"، وكانت تهمّ بالعودة إلى المكان الذي أتت منه، إلا أن عينيها اللتين كانتا تتجوّلان شاهدتا الكدمات على جذع فلورينس، فجلست الفتاة القرفصاء، وقالت بارتباك وهي تضع أصابعها على جلد فلورينس المزرقّ وقالت: "ماذا حدث لك؟".

عبست فلورينس، فقد قلبت كدماتها موازين القوى. كان الأمر بديهيًا، كانت كحيوان مجروح، ولهذا لن تشكّل تهديدًا على الإطلاق. بالنسبة إلى تلك الفتاة، كانت الجروح بمثابة دعوة للتودّد إليها، ضعف جسدي يستدعي اللطف الاجتماعي، والتجرّد من التسلسل الهرمي.

أجابت فلورينس باختصار: "لقد تعرّضت لحادث سيارة".

اتّسعت عينا الفتاة: "هل أنت الفتاة التي تعرّضت للحادث؟".

"هل سمعت عنه؟".

"عن السيارة التي هوت في شارع بدر؟ أجل، لقد سمع به الجميع، هل كان ذلك مرعبًا؟".

لم تستطع فلورينس منع نفسها من أن تضحك، أتقول مرعبًا!

قالت: "لا أتذكّره حتّى".

"أعرف أغلب الغرباء هنا، إنّها بلدة صغيرة جدًا، ولكن لم يسمع أحد عنك من قبل، أنت هيلين، أليس كذلك؟".

"نعم، هيلين، تعرّضت للحادث في ثاني ليلة أمضيتها هنا".

"حسنًا، مرحبا بك بيننا". انتشرت مسحة من المعرفة المتعجرفة على وجهها وهي تضيف: "وإن كان لديك أي سؤال أخبريني وحسب، لأنّني هنا منذ قرابة الشهر، كأنّني اكتسبت لقب الفتاة المحلية، هذا ما يقوله الجميع، بالمناسبة اسمي ميغ".

"تشرفت بلقائك".

جلست ميغ التي كانت في وضعية القرفصاء على الأرض مرخيةً ثقلها كله دفعة واحدة عند نهاية منشفة فلورينس الصغيرة.

"هل أنت في إجازة؟".

"نوعًا ما، أنا في إجازة عمل".

"وما هذا؟".

"أنا أقوم ببعض الأبحاث، من أجل رواية".

"انتظري! حقًّا؟ أنت كاتبة؟ هذا جميل، أحبّ القراءة، كنت مهووسةً بهاري بوتر عندما كنت طفلةً، مهووسة تمامًا. كان عندي القبعة والوشاح وكل شيء".

راقبت فلورينس منتظرةً ردّ فعلها وأضافت: "والنظارة".

أخيرًا قالت فلورينس: "رائع".

أومأت ميغ برأسها بحماسة، ورفعت نفسها إلى الأعلى من دون تحذير وبعنف شديد مسبّبةً اضطرابًا كبيرًا في الرمل. "هل تدخّنين؟".

قالت فلورينس بتأكيد: "نعم". وضعت في الواقع علبة سجائر هيلين في حقيبتها ذاك الصباح، وأشعرتها فكرة أن تدخّن واحدة في هذا الحرّ بالنفور، ولكنّ السيجارة بدت كقطعة سحرية مساعدة، كاستخدام الممثّلين لغليون ليكملوا تشكيل شخصياتهم.

قفزت ميغ إلى منشفتها على بعد عدّة خطوات على الشاطئ، وأخذت تبحث في حقيبة متّسخة، وعادت حاملةً سيجارة حشيش وهي تشعر بالنصر.

قالت فلورينس: "يا إلهي!" وهي التي لم يسبق لها أن دخّنت الحشيش من قبل، وهذه حقيقة محرجة من حقائق حالتها الاجتماعية خلال المدرسة. إلا أنّها أخذت السيجارة من ميغ وحملتها بحذر بين إصبعي السبابة والوسطى. ولمَ لا؟ لديها شخصية جديدة تمامًا لتبنيها. وهذا وقت جمع الخبرات، وقت قبول كل شيء، كيف يحصل المرء على العظمة بغير التهام الفرص العظيمة في الحياة؟

رفعت ميغ قدّاحة، وأشعلت فلورينس نهاية السيجارة، وسحبت بقوّة ولمدة طويلة من الطرف الآخر. شاهدت ذلك يحدث في الأفلام، حطّمها السعال مباشرةً، فناولت ميغ السيجارة وقد دمعت عيناها.

"نعم، حشيش الكيف هنا شرير نوعًا ما".

"الكيف؟".

"المخدّرات".

"أجل، لا أعتقد أن هذا ما أنا معتادة عليه".

"على الأغلب تحصلين على مخدّرات تشبه تلك التي في فيلم هاري بوتر".

ضحكت فلورينس قائلة: "هذا غير منطقي حتّى". تمدّدت مجدّدًا على منشفتها، وغطّت وجهها بيدها، وشعرت بميغ تجلس عند قدميها مجدّدًا.

سألت ميغ: "من أين أنت؟".

"من نيويورك". ثمّ أضافت: "ولكنّني في الأصل من ميسيسبي".

"حقًّا؟ ليس لديك لكنة في كلامك".

"غادرت منذ وقت طويل".

"أوه".

"ومن أين أنت؟".

"من سانت لويس".

بدا أنّه ليس هناك إجابة واضحة على هذا، كان الرمل يتموّج تحت فلورينس كأرجوحة، هدّأها ونقلها إلى عالم من الراحة، فشعرت بارتياح لم تشعر به منذ أشهر.

صاح طائر بشكل متكرّر من مكان ما في البعيد.

قالت ميغ وقد لمعت عيناها: "أحبّ تلك الطيور التي يبدو صوتها كصوت البوم".

"هل تقصدين البوم حقًّا؟".

بدأت ميغ تضحك بطيش وبصوت عالٍ: "هل هذا ما هي عليه؟ هل هي طيور بوم في الواقع؟".

لم تُجب فلورينس، لم تعلم ما كانت ميغ تتحدّث عنه، بدا صوتها بعيدًا جدًا.

ظلّت ميغ تكرر الكلمة مع اختلافات بسيطة: "بوم، بوم، بوم، يا لها من كلمة عجيبة! هل هي من مقطع صوتي واحد أم مقطعين؟ لا أعرف حتّى".

كانت فلورينس قد فقدت اهتمامها بالمحادثة فقالت فجأةً: "ماذا؟".

"أعتقد أنّها مؤلّفة من مقطعين، أل التعريف المضافة وكلمة بوم".

انزلق شعور فلورينس بتحسّن صحّتها من بين أصابعها، فتحت عينيها، ونظرت إلى الفتاة. بدا الدولفين على معدة ميغ وكأنّه يعاني من نوبة ارتعاش عندما تضحك، فشعرت بأنّها مفضوحة وقذرة. وأرادت أن تكون في المنزل، في غرفة هيلين وبين أغراضها. هذه الفتاة ليس من نوع الأصدقاء الذين قد تصادقهم هيلين، هذا ليس صحيحًا بالمرّة.

وقفت على حين غرّة، وبدأت تجمع أغراضها قائلة: "يجب أن أذهب". سحبت المنشفة من تحت الفتاة الأصغر منها سنًّا فتدحرجت الفتاة كأنّها جذع

شجرة يابس.

قالت الفتاة بابتهاج: "حسنًا، ولكن يجب أن تأتي إلى الحفلة الليلة".

"أي حفلة؟".

"ليست حفلة بالمعنى الحرفي، ولكن هناك مجموعة من الغرباء سيجتمعون في أحد المنازل وهناك الكثير من الأشخاص المبدعين المثيرين للاهتمام، وأعتقد أنّك ستحبّينها كثيرًا".

لم يطرأ على بال فلورينس أن تتعجّب كيف عرفت ميغ ما قد تحبّه أو تكرهه. شعرت ببساطة بالإطراء لأنّ أحدهم سيأخذ ذلك بعين الاعتبار وحسب. تخيّلت نفسها محاطة بالشعراء والفنانين المرتدين ملابس جميلة ملونة بينما تومض الشموع في القناديل.

قالت وهي تومئ إليها برأسها: "أجل، سأحبها".

شرحت فلورينس لميغ أنّها لا تمتلك سيارة، فعرضت ميغ عليها أن تمرّ بها في فيلا دي غرانيدز عند الساعة الثامنة.

ركضت فلورينس على الرمل الساخن إلى الطريق، كانت قد خطّطت للذهاب إلى البلدة من أجل تناول الغداء، ولكنّها بدلًا من ذلك دخلت إلى أول مطعم رأته، كان هناك لافتة مكتوب عليها جملة تصطاد السياح اصطيادًا: "يوجد لدينا هوت دوغ على الطريقة الأميركية". شربت مشروبًا غازيًّا بينما طلبوا لها سيارة أجرة لتقلّها إلى المنزل. راقبت قطع الهوت دوغ تتقلّب في مقاليها المدهنة وفكّرت بالرؤوس المخلّلة.

33

عضّت فلورينس على شفتها، كانت تجلس أمام طاولة غرفة تناول الطعام، ولا تزال في ملابسها الملطّخة بالرمال تنظر إلى رسالة إلكترونية من غريتا فروست. قرأتها عدّة مرّات، ولكنّ الكلمات لم تتغيّر.

مرحبًا يا ميم،

أريد الاطمئنان عليك مجدّدًا. اتّصلي بي. أريد أن أناقش معك موضوع تي بي آر بتفصيل أكبر.

المرسل غين

حاولت فلورينس أن تستخلص منطقًا أكبر من الكلمات على الشاشة، ولكنّها لم تأتِ بشيء، فبحثت عن الاختصار تي بي آر بواسطة محرّك البحث غوغل، فوجدت أنّه إمّا رمز أسهم شركة أزياء كبيرة أو اختصار للأحرف الأولى لإحدى طرق تعليم الأطفال اللغات الأجنبية. ولكن أي من هذين المعنيين منطقي أكثر. طرقت بأصابعها على لوحة المفاتيح للحظة، ثمّ ضغطت على زر الإجابة وكتبت:

للأسف، لقد أصبت بتسمّم طعام.

أعادت قراءة ما كتبته، ومحته، وأرسلت بدلًا عنه:

لقد تسمّمت بسبب تناول أخطبوط شديد القذارة، ما يهمّ بالموضوع هو أنّني أمضي وقتي في الاستمتاع بالحمامات المغربية أكثر مما اعتقدت أنّني سأفعل.

ميم

جاءت الإجابة فورًا:

للأسف، تحسّني قريبًا، وابقي على تواصل معي.

مسحت فلورينس لطخة على الشاشة، وأغلقت الحاسوب المحمول. ها قد بدأت، ها قد بدأت المسرحية. عرفت أن الحديث مع غريتا أمر محتوم الحدوث، ولكنّها أملت أن تؤخّره قدر المستطاع.

كانت غريتا العقبة الأساسية في خطتها، فقد كانت دائمة التواصل مع هيلين، وسترغب في التحدث إلى هذه العميلة فعليًا في مرحلة ما، ربما لن يحدث هذا خلال هذا الأسبوع أو هذا الشهر، ولكنّه سيحدث في النهاية، وتحتاج فلورينس إلى أن تكون مستعدّة لتلك اللحظة.

افترضت أنّها تستطيع أن تحاول إقناعها بالسير بخطّتها، فغريتا لديها بالطبع مصلحة مهنية في الحفاظ على اسم مود ديكسن حيًّا يُرزق. ولكن هل لديها ما يكفي لتجاهل موت شخص عملت معه لثلاث سنوات وبنجاح؟ وهل لديها ما يكفي من المصلحة لأن تساعد في جريمة انتحال الشخصية؟ من الصعب معرفة ذلك. لم تعرف فلورينس كيف يمكنها طرح الفكرة حتّى من دون أن تعترف بكل شيء، فهذا الطلب يتطلّب قول كل شيء أو عدم قول أي شيء.

حسنًا، هناك طرق أخرى لدفعها إلى التعاون، لدى فلورينس الوقت، لديها خيارات. سينتهي الأمر بغريتا بأن تكون عقبة بطريقة أو بأخرى. لم تعرف فلورينس ما يعنيه هذا بالضبط بشكل عملي. ولكنّها كانت متأكّدة من شيء واحد، وهو أنّ أحدًا لن يأخذ منها الهبة التي مُنحت لها، لا أحد في هذا العالم سيأخذها.

* * *

نامت فلورينس تلك الظهيرة بعمق ولفترة طويلة، واستيقظت عندما بدأت الشمس تأفل، ثمّ استحمّت.

عند الساعة الثامنة إلا عشر دقائق، توقّفت ميغ بدراجتها النارية من نوع هوندا أمام المنزل مصدرةً صوت جلجلة عالٍ، كانت فلورينس في الطابق العلويّ تضع المستحضرات التجميلية، ووجدت عندما نزلت إلى الطابق السفلي ميغ تمسك بيدي أمينة بين يديها وتقرّبهما من قلبها، فتملّصت أمينة من قبضة ميغ.

قالت ميغ وهي تشاهد أمينة تغادر الغرفة: "المغاربة أناس دافئون جدًا". ثمّ توجّهت إلى فلورينس وصاحت: "انتظري! تبدين لطيفةً!" كانت فلورينس ترتدي فستانًا حريريًا وتنتعل حذاءً أسود من دون كعب مربوطًا إلى كاحليها. كانت قد وضعت أيضًا أحمر الشفاه الأحمر الذي اعتادت هيلين وضعه دائمًا، فشعرت بعد وضعه وهي تنظر إلى المرآة وكأنّها تضع قناعًا، بدت غير مألوفة تمامًا، حتّى إنّها رفعت يدها لترى إن كان الانعكاس سيلوح فيها أيضًا.

أجابت فلورينس: "شكرًا لك، وأنت أيضًا". كانت ميغ ترتدي شُورتًا من الجينز المقطّع وقميصًا فضفاضًا مطرّزًا.

صعد فلورينس الدراجة خلف ميغ، ووضعت يديها حول جذعها الرقيق، أمسكت الجبيرة الملفوفة حول يدها اليسرى بيدها اليمنى.

سألتها ميغ: "هل أنت بخير؟".

"أنا بحالة رائعة، مرحبًا بالمغامرة".

تقع الفيلا الكبيرة في نهاية طريق متعرّج ضيق، ولابدّ من أنّ شكله من الأعلى يبدو كخصلة شعر مزروعة في الأرض. ارتفع هدير محرّك الدراجة، وانخفض عندما التفتا عند المنعطفات، فاستمتعت فلورينس بهذه الجولة، وبهذا الميلان الخطر للدراجة عند عبورها للمنحنيات. وتذكّرت الشعور بالإثارة الذي أحسّت به عند زيادة سرعتها في طريقها إلى سيمات، وعندها تبادر إلى ذهنها منظر رأس هيلين وهو يرتطم بلوحة عدّاد السيارة ويرتدّ وكأنه كرة قدم. فهزت رأسها لتطرد هذه الفكرة.

بعد قرابة خمسين دقيقة، توقّفت ميغ في مرأب سيارات لمبنى سكني عصري مكسوّ بالجص، لا سحر في مظهره، كان هذا المبنى يقع خارج الأسوار التي طوّقت

المدينة القديمة. أُخبرت فلورينس أن أربعة شبان أستراليين استأجروا شقة في هذا المبنى لتمضية فصل الصيف هنا، كما أن عدّة سياح ينتقلون من هذه الشقة وإليها كل بضعة أسابيع. أغلبهم من راكبي القوارب الشراعية الذين يأتون سعيًا وراء الرياح في هذه المنطقة. ضغطت على جرس الاتصال الداخلي الذي أصدر نغمة صغيرة مرحة.

أجاب أحدهم بصوت حادّ: "نعم؟".

صاحت ميغ تاركةً آثار ملمّع الشفاه على جهاز الاتصال الداخلي: "هذه أنا".

ساد الصمت لبرهة، ثم صدر صوت حادّ آخر: "من؟".

ضحكت ميغ قائلة: "أنا ميغ". حرّكت عينيها مبديةً الامتعاض بلطف وهي تنظر باتجاه فلورينس. بدت وكأنها امرأة اعتادت أن تكون منسية، رنّ الجرس طويلًا وعندها فُتح الباب مصدرًا صوتًا خافتًا. حالما وصلتا إلى الطابق الثالث، سألتها فلورينس عن عمرها.

"سأتمّ الثانية والعشرين في شهر أيلول المقبل. لم تسألين؟ كم عمرك أنت؟".

قرّرت فلورينس اختيار رقم وسطيّ بين عمرها وعمر هيلين، وقالت: "ثمانية وعشرون".

في الطابق الأعلى، فتح شابّ أشقر لا يرتدي سوى سروال قصير الباب، ثم استدار ومشى عائدًا إلى غرفته من دون أن ينبس ببنت شفة. بينما كانت فلورينس تتبع ميغ إلى الداخل، استقبلت المنظر برعب متصاعد. كان هناك ثمانية أشخاص يطوفون في أرجاء الغرفة، بل ربما تسعة، الغرفة مفروشة بأريكة ضخمة مصنوعة من الجلد الأسود ومرقّعة بشريط متقشر، وطاولة مهترئة تعلوها منافض السجائر وعبوات الجعة الفارغة المتناثرة، ولم يكن أي من هؤلاء الأشخاص مرتديًا ملابس ملونة، ولم يكن هناك أي قناديل.

قالت ميغ بابتهاج: "مرحبًا يا رفاق". سارت في أرجاء الغرفة، وعرّفت الجميع على فلورينس بطريقة رسمية لم يعهدها أولئك الأشخاص. وكانت تقول في كل

مرّة تعرّف أحدًا عليها: "إن هيلين كاتبة". ثم خرجت لتحضّر شيئًا للشرب.

سألتها فتاة هزيلة الجسم ترتدي القطعة العليا من لباس السباحة وتمضغ قلمًا بلا مبالاة: "هل سبق وقرأتُ شيئًا من كتاباتك؟".

مكتبة
t.me/t_pdf

"أشكّ في ذلك".

"حسنًا، ما الأعمال التي كتبتها؟".

تساءلت فلورينس بمَ كانت هيلين ستجيب عندما يُطرح عليها هذا السؤال. قلما رأت هيلين تتواصل مع الناس، ربما لم تخبر أحدًا على الإطلاق أنها كاتبة. ولكن الوقت قد تأخّر الآن على ذلك. قالت: "بصراحة، أنا أكتب باسم مستعار، ولا أعترف به لأحد أبدًا".

رفع الشابّ الذي فتح لهما الباب بصره عن السيجارة التي كان يلفّها ونظر إلى فلورينس قائلًا: "بالله عليك! لا تقولي إنّك مود ديكسن".

ضحكت فلورينس بقوّة وقالت: "أتمنّى لو كنت كذلك".

قالت فتاة أميركية كانت الشمس قد لفحت بشرتها: "يا إلهي كم أحبّ مود ديكسن!" التفتت إلى الشابّ الذي ترمي بساقيها في حجره: "أولستُ أتحدّث عنه باستمرار يا جاي؟" لم يقم بأي ردّ فعل يدلّ على سماعه لها، فبدأت بهزّ ساقيها وقالت: "عزيزي، ألم أتحدّث باستمرار عن ذلك؟".

تنهّد جاي وهو يقلّب في هاتفه المحمول.

قالت بفرح مدّعيةً غرز سكين في معدته: "سوف أطعنك".

قال بهدوء: "توقّفي".

خرجت ميغ من المطبخ حاملة قارورتي كازابلانكا باردتين، ولم يتزحزح أحد من مكانه ليفسح مكانًا لجلوسهما، لذا استقرّتا على زوج من الكراسي البلاستيكية بيضاء اللون موضوعة على الشرفة المطلّة على مرأب السيارات.

قالت ميغ بابتهاج: "إذًا؟".

قالت فلورينس بابتهاج أقل: "ماذا؟".

"هل هذا ممتع؟".

"ليس تمامًا".

"أخبريني كيف أصبحت كاتبة".

"لا أعرف، كتبت دائمًا وحسب، وأعتقد أنّ الحظّ ساعدني ذات يوم".

"هذا رائع، أحبّ أن أصبح كاتبة".

"وهل تكتبين؟".

"ليس فعليًا، أنا شخص يستخدم الجزء اليساري من دماغه بشكل كبير، أحبّ المنطق وهذه الأشياء".

"ما هي خطّتك إذًا؟".

"لا أعرف، يرغب والداي في أن أعود إلى الجامعة، ولكنّني لا أعرف ما إن كنت أحبّ هذا، ربما أرغب في التمثيل".

"التمثيل في الأفلام أم على المسرح؟".

"نعم، أظنّ أنّني سأحبّ التمثيل في الأفلام، لا أعرف، ربما، قد أصبح خبيرة في مجال التأمين أيضًا، هذا عمل والدي".

"هل تريدين أن تصبحي ممثلة أم خبيرة في مجال التأمين؟ هاتان المهنتان مختلفتان".

قالت ميغ وعيناها تتّسعان: "أعلم، أليستا مختلفتين حقًّا؟". أخذت سيجارة من علبة سجائر على الطاولة وعرضتها على فلورينس التي هزّت رأسها رافضة.

سألتها ميغ: "لماذا تكتبين باسم مستعار؟".

حاولت فلورينس أن تتذكّر ما قالته هيلين عندما سألتها عن هذا، هل تضمّن جوابها الديدان الشريطية؟ كلّ ما استطاعت اختراعه هو: "الأمر معقّد".

أومأت ميغ إليها برأسها: "بالطبع".

خرج أحد قاطني الشقّة إلى الشرفة، وهو يلوّح بأطرافه بخفّة، قال إنّ اسمه هو نِك. كان طويلًا وملامح وجهه مريحة بشكل عامّ، وشعره أشقر طويل

مصـفّف بشـكل جـدائل، لا يبـدو أنّ أحـدًا يراهـا مثيـرة للإحـراج كمـا تفعـل فلورينس.

سأل ميغ: "هل لديك سيجارة لأجلي؟".

مررت علبة السجائر إليه، فاستدار إلى فلورينس بعد أن أشعل واحدة وقال: "قالت لنا ميغ إنّك الفتاة التي حصل معها الحادث، بدا مثيرًا للاشمئزاز".

"مثير للاشمئزاز؟".

"نعم، ألم تقعي عن جرف؟". مثّل بيديه سقوط سيارة عن الجرف وانفجارها.

"هل ذُكر أمر الحادث في الصحف؟".

"نعم".

"أي صحيفة؟"

"صحيفة الصباح".

سألت فلورينس باستغراب: "هل تجيد الفرنسية؟".

"أجيدها جيّدًا، وأتحدّثها بطلاقة تبلغ نسبتها أربع وستّين بالمئة".

شهقت فلورينس: "كيف توصّلت إلى هذا الرقم؟".

"استخدمت أحد التطبيقات الذي يحدّد النسبة، هل تريدين رؤيته؟". أخرج هاتفه من جيبه.

"لا، شكرًا".

"حسنًا، لا بأس". أعاد وضع هاتفه في جيبه، فمن الواضح أنّه يشترك مع ميغ في حصانته ضدّ الرفض.

سألت ميغ: "سأجلب زجاجة جعة أخرى، هل ترغبون في واحدة؟". هزّ كل من نِك وفلورينس رأسيهما بالموافقة. تهاوى نِك على الكرسي التي تركتها ميغ فارغة، وفرك مؤخّرة عنقه.

سأل: "أنت كاتبة؟".

أومأت فلورينس إليه برأسها.

"رائع، رائع".

"ماذا عنك؟ ما الذي تفعله في الحياة؟"

"لا أزال في الجامعة".

"حقًّا؟ تبدو أكبر سنًا".

"أنا في الرابعة والعشرين من عمري، تأخّرت في الحصول على الشهادة عدّة سنوات، وسأكون في السنة الأخيرة في جامعة سان دييغو هذا الخريف".

"وماذا بعدها؟" لم تعرف فلورينس لماذا تلعب دور مستشار الوظائف. في الحقيقة، لم تعرف كيف تتصرّف في هذا الوضع حتّى ولو لم تكن تتظاهر بكونها شخصًا آخر، كانت محاطة بغرباء في حفلة سيّئة صغيرة في بلد أجنبيّ.

"سأعمل على الأرجح في مجال العقارات، يعمل أخي ستيف وكيلًا للعقارات ويجني أموالًا طائلة".

"هذا ما تظلّ أمي تخبرني بأن أفعله".

"حقًّا؟".

"أجل. ابنة صديقتها تعمل وكيلة عقارات في شركة تامبا، وعندها زوج وأربعة أولاد وبطاقة عمل عليها صورتها. ولكنّني في الواقع قد أقتل نفسي إن كانت تلك حياتي".

"لماذا؟ لا يبدو هذا سيّئًا للغاية، بضعة أطفال ومنزل قرب البحر".

"ولكنّها حياة غير كافية، ليست سوى ثمانين سنة من القيادة إلى متجر البقالة والعودة منه، ألا يمكننا أن نطمح إلى شيء أسمى من هذا؟".

"ولكن لماذا من الأفضل أن تصبحي كاتبة؟".

"لماذا من الأفضل أن أنتج الفنّ؟".

"نعم، لماذا هذا أفضل من مساعد شخص ما في إيجاد منزل؟ هذا حقيقي".

"الفنّ حقيقي".

"أفضّل أن يكون لديّ منزل على أن يكون لديّ قصة".

"حسنًا، ولكن توقّف عن التفكير كمستهلك للحظة، ماذا عن حياتك؟ هل تعتقد حقًّا أنّك ستُشبع رغبتك بقضاء أغلب وقتك على هذه الأرض في أخذ الأشخاص في جولات في المنازل؟ هل هذا هدفك؟".

"أعتقد أنّ هدفي هو أن أكون شخصًا جيّدًا".

نظرت فلورينس إلى وجه نِك لرؤية إن كان جادًّا، لقد كان جادًّا بالفعل.

تمتمت: "أعتقد أنّ هذا مهمّ أيضًا".

"لا، أعتقد أنّه من الرائع أن تكوني كاتبة، حقًّا، الفنّ رائع".

ضحكت فلورينس: "شكرًا".

"هل تعتقدين أن هذا هدفك إذًا؟ الكتابة؟".

"أعتقد هذا، إنّها الشيء الوحيد الذي يُشعرني بأنّني حيّة، تُشعرني بأنّ حياتي حقيقية وتنتمي إليّ، تشعرني أنّ أفكاري مهمّة، وأنّني مهمّة".

أومأ نِك إليها برأسه ببطء: "أفهم هذا".

أخذت فلورينس سيجارته المشتعلة من بين أصابعه، وأخذت تسحب منها الدخان.

سألت: "ما الذي أتى بك إلى سيمات؟".

"الرياح".

"أفهم أنّك من راكبي الأمواج؟".

"نعم، وأنت؟".

ضحكت فلورينس: "لا، بالطبع لا".

"يجب أن تجرّبي القيام بذلك، أستطيع تعليمك إن كنت ترغبين في ذلك".

أمالت فلورينس رأسها قائلة: "سأفكّر في الأمر". تساءلت ما إن كانت هيلين ستقبل بهذا العرض أم ستعتقد أنّها تستحقّ أهمّ منه، ولكنّ المشكلة في محاولة توقّع ما قد تفعله هيلين في أي وضع هي أنّ فلورينس لطالما وجدتها غير قابلة للتوقّع.

حسنًا، يمكن أن تكون تصرّفاتها هي أيضًا صعبة التوقّع، وضعت يدها على فخذ نِك، وقالت: "تعالَ إلى هنا".

بعد مضي خمس عشرة دقيقة، كانت فلورينس تعلو فوقه على الفراش المجرّد من الأغطية، وكيس النوم القذر ملفوف عند قدميهما، جلس وأمسك برأسها بين يديه وقال لها: "أنتِ جميلة". دفعته إلى الأسفل وقالت: "قل اسمي".

لفظ لاهثًا: "هيلين".

"قله مرة أخرى".

"هيلين".

34

غمّست فلورينس القطعة الأخيرة من الكرواسان في وعاءٍ صغير من المربّى ودفعتها إلى فمها، سكبت آخر ما تبقّى من القهوة الموجودة في المكبس الفرنسي في فنجانها. ثم أشعلت سيجارة من علبة السجائر التي أحضرتها من غرفة هيلين إلى الطابق السفلي، فنقرت رماد السيجارة بحافّة صحنها، وابتسمت عند رؤيتها آثار أحمر الشفاه ذي اللونِ الأحمر على عقب السيجارة، بعثت رؤيتها لهذه الحركة التي شاهدت هيلين تقوم بها لعدد لا يحصى من المرّات في نفسها إحساسًا بأنها كانت بالفعل تنظر إلى يد هيلين. كان الأمر مقلقًا، أخذت تسحب مرّة أخرى من السيجارة. وفكّرت في أن بمقدورها الإحساس بالدخان يحرق رئتيها، محوّلًا إياها إلى هيلين من الداخل إلى الخارج. أصابها الدوار، فأطفأت سيجارتها في صحن المربّى.

كانت الليلة الماضية مبهجةً لها، ولم يكن الجنس سبب بهجتها، فقد كان نِك ثملًا ومرتخيًا جدًّا، لكن الليلة الماضية كانت بكاملها بمثابة أفق واسع لا حدود له، لقد كانت هيلين، كانت هيلين بالفعل.

تحوّل كل من البيئة الرثّة المحيطة بها، وغياب سحر الرفقة اللذين أثارا خيبة أمل فلورينس انطلاقة إلى البيئة المثالية التي تسمح لها بتطوير نفسها الجديدة. وبعد كل شيء، لطالما كان الازدراء حجر الأساس للوصول إلى الثقة بالنفس، وهو ما كان مطلوبًا منها الآن. إنه شعورٌ قريب من الغطرسة، وليس إحساسها المعتاد بعدم الأمان وعدم الثقة بالنفس. اعتادت فلورينس الشعور بصغرها وتدنّي مكانتها في أثناء وجودها بين فتيات يشبهن هيلين ويلكوكس وأماندا، لكنّها تمكّنت من الإحساس بالقوّة الليلة الماضية وبوجودها ضمن تلك المجموعة.

لطالما أحبّت بهيلين القوّة، ليس ذلك النوع من القوّة الجسدية، بل القوّة العاطفية، والقوّة النفسية التي كانت بمثابة عملة نادرة تميّزها. استمتعت باستخدام هذه القوّة تمامًا مثلما يحصل عازف أو راقص على السعادة من ممارسته مهنته. كانت هيلين خلال النقاشات تحدّد مسار الحديث وأسلوبه، وكانت تتمنّع باستمرار عن إعطاء المعلومات من دون سبب وجيه. كان جوهر كتابها رقصة الفوكستروت في ميسيسبي هو استكشاف القوّة، بدايةً مع قوّة فرانك ثم قوّة مود، بعد أن انتزعتها منه بتصرّف عنيف واحد. حتى إن نفي هيلين لنفسها إلى كاتسكيلز، كان استعراضًا للقوّة. بدت وكأنها تقول للعالم أنت تحتاجني أكثر مما أحتاج إليك، وكان هذا حقيقيًا بالفعل. لم يبدُ أنها أرادت شيئًا من العالم باستثناء فيردي والنبيذ الجيّد، بينما كان الجميع منتظرين كتابها التالي بفارغ الصبر في هذه الأثناء.

غالبًا ما أخفقت محاولات فلورينس في الوصول إلى البراعة في استخدام استراتيجيات قوّة الشخصية. لم تَقُم صداقاتها في أيّام المدرسة المتوسّطة والثانوية إلا على أسس أعمق بقليل من مجرّد الخوف المشترك من النبذ المطلق. في الجامعة، أقامت صداقات في حصص اللغة الإنكليزية، لكنها لم تحاول التقرّب من أي من هؤلاء الأصدقاء بشكل خاصّ. كانت دومًا بحاجة إلى العودة إلى عزلتها بعد قضائها عدّة ساعات بصحبة شخص ما.

لقد كان هذا المكان إذًا مكانًا يمكنها فيه التدريب على طريقة جديدة لإثبات وجودها في العالم، وللارتباط بالناس.

وقد أعاد إليها مجرّد مناداتها لنفسها باسم آخر، اسمًا كان بالنسبة إليها مرتبطًا بالجاذبية والقوّة، مغزى وجودها. شعرت أنها... قد تحوّلت، حتى بين الناس الذين لم يكترثوا بها، الذين لم يعرفوا أن هيلين كانت كاتبةً مشهورة، حتى وهي وحيدة على المقعد الخلفي في سيارة الأجرة في طريق عودتها إلى المنزل، فبتنكّرها بزيّ هيلين، شعرت حقًا أنها أصبحت أكثر سيطرة، وإثارة، وقيمة بكل الطرق الممكنة. وبشكل غريب شعرت أنها هي نفسها أكثر من أي وقت مضى، شعرت أنها تلك

المرأة التي لطالما شكّت بوجودها في مكان ما بداخلها.

حتى إنها أغوت نِك، لمجرّد أن تتأكّد من أنّ باستطاعتها فعل ذلك، قد فعلت ذلك الفتاة التي لطالما كانت مجرّد ظلّ، ونادرًا ما تركت ولو أثرًا بسيطًا.

تناولت فلورينس رشفة من عصير البرتقال، ومضمضت فمها به للتخلّص من طعم النيكوتين، ثم انتقلت من طاولة الفطور إلى المكتب في الداخل حيث كان الحاسوب المحمول، فكان هناك رسالة بريدية من غريتا، ولكنّها وصلت هذه المرّة إلى حسابها:

مرحبًا يا فلورينس:

كيف حال مود اليوم؟ أتعتقدين أنّها يمكنها التحدّث إليّ عبر الهاتف؟ لا أريد أن أزعجها وهي مريضة. ولكنّني وجدت لتوّي أنّ مجلّة تي بي آر تريد أن تنشر المقابلة في إصدار الخريف لذلك فنحن نواجه محنة زمنية هنا.

أخيرًا، فهمت فلورينس معنى الاختصار، فالأحرف إلى تي بي آر تعود إلى الأحرف الأولى من اسم مجلّة ذا باريس ريفيو بالإنكليزية، تلك المجلّة الأدبية التي تصدر كل ثلاثة أشهر، والمعروفة بمقابلاتها الجادّة مع المؤلّفين المشهورين.

قالت غريتا في رسالتها السابقة إنّها ترغب في أن تناقش موضوع المجلّة "بتفصيل أكبر". هل يعني ذلك أنّ هيلين وافقت على القيام بالمقابلة؟ تجهّمت فلورينس، هذا غير منطقيّ أبدًا، لم تحتج هيلين إلى تبرير تصرّفاتها أو عملها. لم تكن ذلك النوع من الأشخاص. هل كانت ستستخدم اسمها الحقيقي وتكشف هويّتها؟ نشرت مجلّة ذا باريس ريفيو عددًا باسم مجهول من قبل، واستخدمت اسم الكاتب المستعار، ولكنّ ذلك لم يحدث سوى مرّة واحدة. بحثت بشكل سريع في آي بريد هيلين الوارد، لم يكن هناك أي رسائل أخرى تذكر ذا باريس ريفو. ذهبت إلى الطابق العلوي، وبحثت في غرفة هيلين عن حاسوبها المحمول، كانت قد لمحته في حقائب سفرها في المطار، فوجدته سريعًا، ولكن عندما فتحته ظهرت النافذة نفسها

التي يتطلّب تخطّيها كلمة السرّ التي أوقفتها عندما كانت تتجسّس في كيرو. جربت فلورينس بضع محاولات عشوائية مثل: رقصة الفوكستروت وجيني وروبي، ولكن لم تنجح أي واحدة منها.

لا بأس، قرّرت وهي تغلق الحاسوب بأنّ ما كانت تخطّط له هيلين لا يهمّ، فقد ماتت، ولن تجري المقابلة مهما حدث.

كتبت فلورينس إلى غريتا عندما عادت إلى الطابق السفلي:

هيلين مريضة للأسف، ولكنّها قالت إنّها تعيد التفكير بشأن المقابلة.

وصلتها رسالة بعد ثوانٍ، نظرت إلى ساعتها، كانت الساعة الخامسة صباحًا في نيويورك واليوم هو الأحد.

هل يمكنك الاتّصال بي يا فلورينس؟

شدّت فلورينس على فكّها، تكره التحدّث عبر الهاتف، فهو لا يمنحك وقتًا للتخطيط ولتحضير ما ستقوله. ربما يكون هذا ما يعجب الآخرين به، لا تبدو غريتا شخصًا سيعدل عن قراره، فمشت على مضض إلى المطبخ حيث كان هاتف المنزل، وطلبت الرقم الذي وضعته غريتا في رسالتها.

قال الصوت المبحوح المألوف: "مرحبًا يا فلورينس".

"مرحبًا يا غريتا، إنّ الوقت مبكر عندك".

"لا أنام أبدًا بعد الساعة الخامسة، هذه أحد محاسن التقدّم في العمر، ما الذي يجري مع هيلين؟".

"أكلت أخطبوطًا مسمّمًا".

"ولا تستطيع التحدّث عبر الهاتف؟".

"في الواقع، لم تبارح الحمام منذ أربعٍ وعشرين ساعة".

"لا يبدو هذا جيّدًا، هل اتّصلت بالطبيب".

"نعم، بالطبع، قال لي أن أعطيها الكثير من السوائل وحسب".

"دوام المرض مدّة أربعٍ وعشرين ساعةً أمر سيئ، أعتقد أنّ عليك التفكير بالعودة إلى مراكش. أستطيع أن أتّصل بالمستشفى هناك لأخبرهم بأن يتوقّعوا وصولك، لا أستطيع أن أتخيّل أنّ المستشفى حيث أنتما أفضل من خيمة معالجة ميدانية".

"ليست بهذا السوء".

"هل ذهبتما إليها؟".

"نعم، أخذت هيلين إليها البارحة".

"وماذا حدث؟".

"أخبرني الطبيب بأن أعطيها السوائل".

ساد صمت قصير: "قلتِ شيئًا بشأن إعادة هيلين التفكير بشأن مقابلة باريس ريفيو".

"أجل، قالت إنّها غيرت رأيها، لا تريد أن تقوم بها بعد الآن".

توقّفت مرّة أخرى ثم قالت: "هذا مثير للاهتمام، أتعلمين أنّها لم توافق بعد؟ كنت ما أزال أحاول إقناعها بأنّها فكرة جيّدة، لذلك لم يتغيّر رأيها إذا كانت معلوماتي صحيحة".

اللعنة. "حقًّا؟".

"نعم".

"هذا غريب، ربما أخطأت بإيصال كلامها، إنّها غائبة تمامًا عن الوعي، وكأنّها تهذي نوعًا ما".

"هل هذا صحيح؟".

ساد الصمت مرّة أخرى.

"سأعترف لك يا فلورينس بأنّك جعلتني أقلق، تقولين إنّ هيلين تهذي وإنّها لا تستطيع أن تأتي لتتحدّث عبر الهاتف، ولم تتحرّك عن أرضية الحمام، لا يبدو أيّ من هذا جيد، أحثّك حقًّا على العودة إلى مراكش للحصول على علاج ما، ستكون لورين سعيدة بتجهيز الترتيبات من أجلكما، وأستطيع أن أجعل السيارة تقلّكما هذا الصباح".

"لا، ستكون بخير على ما أعتقد، سأسألها، ولكنّها مُصرّة على البقاء هنا، وإنهاء البحث".

"لا يبدو أنّ هيلين بحالة ذهنية مناسبة لاتّخاذ هذه القرارات من طريقة وصفك للأمر، اسمعي يا فلورينس، أنت صغيرة في السنّ ويمكن أن تكون هيلين مخيفة بالنسبة إليك، أنا أعرف هذا. ولكنّ التأكّد من أن هيلين تتلقّى العناية الجيدة، وأنّها في حالة جيّدة أهمّ من أن تكوني على قائمتها السوداء لعدّة ساعات".

"لا، أعرف هذا، سأفكّر في الأمر، ما رأيك؟".

"حسنًا، سأعاود الاتّصال بك هذه الظهيرة، لأرى كيف يتطوّر الوضع، صحيح، تذكّرت شيئًا، حاولت الاتصال بهاتفيكما ولم أستطع".

"أجل، التغطية هنا سيئة جدًا".

"هذا هو الرقم الذي يمكن أن استخدمه لأتّصل بك إذًا؟".

"أجل، هذا هاتف المنزل".

"رائع، سأكلّمك قريبًا".

صفقت فلورينس سمّاعة الهاتف، اللعنة، ماذا ستقول لها بعد عدّة ساعات؟ أو بعد عدّة أيام عندما لن تستطيع أن تجلب هيلين لتكلّمها عبر الهاتف.

35

جلست فلورينس على شاطئ البحر، ودفنت قدميها في الرمل. هدأت الرياح التي كانت تعصف بلا توقّف منذ وصولها من دون إنذار مسبق، وسكن الهواء، فشعرت به ثقيلًا، ولم تشعر بالراحة في ظلّ هجوم الشمس العنيد.

حاولت ألا تُفكّر في مكالمة غريتا، أرادت أن تستعيد ذلك الاندفاع الذي استفاقت معه، السعادة المكهربة التي تغمرها لأنّها هيلين، لم تحبّ أن تعود فلورينس ولا أن تتعامل مع غريتا. ترك هذا فيها بقايا قذرة من الماضي، ترك شيئًا لزجًا غير مريح، أرادت أن تكشطه عن جلدها، أرادت عودة الخفّة، والثقة، والقوّة.

رفعت حفنة من الرمل، وتركتها تنساب من بين أصابعها، جلدها وردي بسبب الشمس، ولون كدماتها يتغيّر من البنفسجي إلى الأصفر والأخضر. سكبت الرمل على ساقيها وغطّتهما.

كانت هناك مجموعة من راكبي الأمواج النِحاف يجتمعون على الشاطئ، لم تستطع فلورينس التعرّف إلى أيٍّ من وجوههم، ولكن عندما جمعت أغراضها في حقيبتها وبدأت السير باتجاههم، استدار بعضهم لرؤيتها بينما كانت تقترب، ولكن لم تدم أي من نظراتهم طويلًا. عرفت أنّ أشعة الشمس تنعكس بحدّة على بشرتها الشاحبة كاشفةً عن عيوبها الكثيرة، كما أنّ نهديها بالكاد ملآ صدرية مايوه هيلين.

وجدت نِك يجلس على منشفة بحجم قطعة القماش التي توضع تحت الصحن على طاولة الطعام، كان قد خلع نصف بذلته المبلّلة، وترك هذا النصف المخلوع مرميًّا خلفه كأنّه ظلّه. كان يلعق قطعة ذائبة من المثلجات، قالت وهي تقف أمامه: "مرحبًا".

نظر نِك إليها وابتسم بسعادة: "مرحبًا!" توقّف لمدّة سمحت بأن تشقّ قطرات المثلجات الذائبة طريقها إلى معصمه فقال: "اللعنة" وأمال رأسه ليمرّر لسانه من مرفقه إلى معصمه.

سألت فلورينس: "ما الذي تخطّط لفعله؟".

أشار إلى مسطّح الماء وقال: "لا أخطّط لفعل الكثير، البحر بحالة مزرية".

نظرت فلورينس إليه وأومأت إليه موافقة.

أطلق نِك فجأةً صرخة إحباط، ورمى ما تبقّى من مثلجاته على الرمل. "يا إلهي، كان ذلك الشيء يمزّقني إربًا إربا". مسح يديه بعنف بفخذي بذلته وابتسم قائلًا لفلورينس: "ماذا ستفعلين أنت؟".

"لن أفعل الكثير، كنت أقرأ، ولكنّ الجوّ أكثر حرًّا من أن يسمح لي بالبقاء على الشاطئ، ربما سأذهب لأتجوّل في المدينة". توقّفت قليلًا ثم أضافت: "هل تريد أن تأتي؟".

ابتهج نِك: "أجل، فلنفعل ذلك، هيّا بنا". تجرّد فورًا من بذلته، وبحث في حقيبة ظهر صغيرة عن قميص مصبوغ. وعندما سحبه خرج معه كتاب، التقطته فلورينس ونظرت إلى الغلاف، ذا شيلترينغ سكاي للكاتب بول باولز.

سألته: "هل تقرأ هذا الكتاب؟".

"نعم، لقد أنهيته مؤخّرًا، كان رائعًا، تستطيعين استعارته إذا أردت".

حاولت فلورينس إخفاء دهشتها، لم تفكّر في أن نِك من الأشخاص الذين قد يقرأون كتابًا لكاتب نصحت به هيلين. قلّبت الكتاب، وقرأت الملخّص المكتوب في الخلف، كان يتحدّث عن ثلاثي من الأميركيين يقطعون الصحراء الإفريقية الشمالية في أربعينيات القرن العشرين. كان كتاب باولز الأول وحقّق نجاحًا مهولًا. قرأت الجمل الأولى ووجدتها جيّدة.

سألها نِك: "جاهزة؟".

أومأت فلورينس إليه برأسها، وأعادت الكتاب إليه.

صاح وهما يمشيان بعيدًا عن المجموعة: "أراكم لاحقًا".

هاما على الشاطئ ببطء وهما يتحدّثان.

قال نِك: "كانت الليلة الماضية ممتعة".

أجابت فلورينس: "نوعًا ما".

صعدا التلة، ومرّا بقصر الحسن الثاني نحو مركز البلدة. عندما وصلا إلى الطريق المزدحم المحيط بسور المدينة القديمة مدّ نِك يده السمراء المليئة بالشعر الأشقر، ولفّها حول جذعها ليحميها من جدول جارف من الدراجات النارية، فنظرت إليه وابتسمت.

خطف وجه مألوف انتباه فلورينس فجأةً بينما كانا يعبران الشارع، الضابط رمزي، ينتصب هناك أمام بناء مزخرف، رجل الشرطة الذي قابلته في المستشفى، فتسارعت أنفاسها، ولكنّها ذكّرت نفسها بأنّه ليس هناك سبب للخوف، فعلى حسب علمه، ليست سوى سائحة غبية تملّصت من عقوبة القيادة تحت تأثير الكحول، وتحطيم سيارتها المستأجرة، وصدف أنّها تمتلك دولارات أميركية لتصرفها.

ومع ذلك، سرّها يقبع هناك، سرّ قد يدمّر حياتها الوليدة. أخيرًا، وجدت طريقًا إلى السعادة، ولكنّه مبنيٌّ على شيءٍ واهٍ، فمكالمة غريتا كانت بمثابة عاصفة أثارت في داخلها الهواجس، ولكنّها دفعتها بعيدًا.

كان رأس رمزي يدور ببطء، وكأنّه رشّاش ماء في حديقة وهو يدفع الحشد، التصقت فلورينس بشكل غريزي بالحائط.

سألها نِك: "ما الذي يجري؟".

"لا شيء، اعتقدت أنّني رأيت جرذًا".

قال: "أنت ظريفة"، وجذبها وقبّلها، بدا طعم شفتيه كطعم الفريز الصناعي المخلوط بمستحضر الحماية من أشعة الشمس.

قالت وهي تجذبه إلى داخل السوق: "دعنا نلقِ نظرةً هنا".

كان الجوّ في السوق أبرد وأكثر ظلمةً، تتلألأ ذرّات الغبار بسبب أشعّة الضوء التي تمكّنت من التسلّل عبر شقوق السقف المؤلّف من صفائح صُفّت بشكل عشوائي.

"ما رأيك؟".

استدارت فلورينس لتجد نِك يقف أمام كشك معلّق عليه أقمشة ملوّنة ويحمل سترة طويلة زرقاء يضعها على جسده.

ضحكت فلورينس: "لا، بالطبع لا".

اقترب منهما البائع وقال: "إنّه قفطان للنساء"، سحب سترة سوداء من الكدسة وأضاف: "هذه للرجال، جرّبها". بدأ بوضعه فوق رأس نِك الذي لوّح بيديه وقال: "لا، شكرًا لك يا رجل". ولكنّ ذلك لم ينفع، فقد ألبسه الرجل العباءة بالفعل، مرّر الرجل يديه على القماش ليمسّد التجعّدات، قال وهو يلوي قماشة رمادية ثمّ يلفّها حول رأس نِك: وهذه عمامة". وقف نِك بغرابة رافعًا يديه بعيدًا عن جسده، ونظر خجلًا إلى فلورينس وقال: "ما رأيك الآن؟".

ضحكت فلورينس وهزّت رأسها: "لا".

قال الرجل وهو يعقد يديه طالبًا هاتفًا: "أنا ألتقط الصور الآن". فتحت فلورينس يديها تعبيرًا عن عدم حيلتها، وقالت: "أنا لا أملك هاتفًا". فالتفت الرجل إلى نِك.

قال: "إنه في جيبي". امتدّت يدا الرجل إلى جيبي السترة اللذين كانا مجرّد شقّين مصمّمين ليمكّناك من المرور عبرهما إلى جيبي بنطالك، فقال نِك لفلورينس بتعجّب: "رائع، إنها فتحات، يا حبيبتي". لم تتمكّن فلورينس من السيطرة على ضحكتها.

أخذ صاحب المحلّ صورةً ضبابيةً قاتمة اللون لهما وهما ينظران إلى بعضهما في نوبةٍ من المرح. وبعد ذلك، صارع نِك لخلع السترة، وفكَّ العمامة عن رأسه، فأمسك بالقفطان الأزرق اللون الذي اختاره منذ البداية، وسأل صاحب المحلّ: "بكم هذا؟".

"لأجل السيّدة الجميلة؟ أريد مئتي درهم".

قالت فلورينس لنِك: "لا، أنا بخير، ليس عليك أن تشتري هذا لي".

قال: "بل علينا شراء شيء ما".

"لا، ليس علينا القيام بذلك، الأمور بخير، وأنا واثقةٌ من أنه يقوم بهذا خمسين مرّةٍ في اليوم". لكن نِك كان يخرج النقود بالفعل، وقدّم للبائع مئة وخمسين درهمًا، فعبّر البائع عن موافقته بإيماءة، ثم سلّمها الكيس البلاستيكي المجعّد وبداخله قفطانها الجديد.

قالت محرجة: "شكرًا لك".

صرخ نِك وهو يسير مباشرةً باتجاه كشكٍ إلى جانب الطريق: "حبيبتي، انظري إلى كل تلك التوابل". غمّس معصميه بعمقٍ في سلة فاصولياء.

مشت فلورينس إلى كشك لبيع الأسماك وهي تلوّح بالحقيبة البلاستيكية بيدها، ووقفت وراقبت رجلًا كبيرًا في السنّ ينزع الجلد والحسك عن سمكة فضّية بحركات سريعة خبيرة بسكّينه، ثم رمى السمكة النظيفة التي لم تعد تظهر تفاصيلها في كومة من الأسماك، فحطّت عليها ذبابة، وبدأت تخز اللحم بأرجلها الزغبة الدقيقة التي تشبه الخيوط.

تجوّلت فلورينس مطوّلًا في السوق، كانت المحلّات شبيهة بتلك التي شاهدتها في مراكش، خليط من المحلات الخلّابة والشعبية.

فجأة، أحسّت بيد تمسك بيدها، استدارت لترى رجلًا صغير القدّ ومجعّد الوجه يشدّ قميصها نحو كشك لبيع المجوهرات الفضية. همس: "مجوهرات من نوعية ممتازة، جميلة جدًا". سحبت يدها وقالت: "لا شكرًا".

خطا خطوة أخرى نحوها: "لا يوجد سوى الحليّ المزيفة في ذلك الاتجاه، أما الموجودة هنا فهي حقيقية".

قالت بخشونة أكبر: "لا". وبدأت بالمشي بسرعة بعيدًا عنه، والتفّت إلى زقاق صغير يقود إلى مكان أبعد عن الشارع الرئيسي، الظلمة هنا أشدّ. كان هناك

مجموعة من الرجال جالسين على كراسٍ يشربون من كاسات يتصاعد منها البخار، فنظروا إليها نظرة خاطفة، ثمّ أشاحوا بنظرهم غير مكترثين بها. ثم مرّرت إصبعها على صفّ من الأحذية الجلدية اللماعة التي انبعثت منها رائحة دافئة وخمة وكأنّها رائحة حيوان مبتلّ. فجأة ازدادت دقّات قلبها سرعة على الرغم من أنّها لم تعرف سبب ذلك، وشعرت بيده مجدّدًا على كتفها، وهو يُديرها، فابتعدت عنه بعنف واستدارت لتواجهه.

"فلورينس!"

خطت إلى الخلف، فتعثّرت بالأرض غير المستوية، وما إن تأمّلت الوجه الذي أمامها، والأسنان الكبيرة البارزة، والقميص ذا اللون الزهري من ماركة بولو، والشعر الجافّ السابل والابتسامة العريضة والعينين المندهشتين، قالت بدهشة:

"ويتني؟".

إنّها صديقتها من فلوريدا، تسمّرتا في مكانيهما بغرابة قبل أن تنحنيا لتتعانقا. بلغ طول ويتني مئةً وثمانين سنتمترًا منذ أن كانت في الصف السابع، وكان على فلورينس أن تقف على رؤوس أصابعها لتلفّ يديها حولها، ولم ترَ ويتني منذ حفلة تخرّج المدرسة الثانوية، وربما كانتا قد تبادلتا بعض الرسائل منذ ذلك الحين، وتوقّفت فلورينس عن مراسلتها تمامًا بعد أن انتقلت إلى نيويورك. لا يبدو أنّ ابتسامة ويتني تخبّئ حقدًا، ولكن من المحتمل أن يكون هذا قد نُحيَ جانبًا حاليًا بسبب غرابة هذا اللقاء.

صرخت ويتني: "يا إلهي! كم هذا جنوني!".

سألت فلورينس: "ما الذي تفعلينه هنا؟".

لم تجب ويتني، بل لهثت صائحةً مشيرةً إلى الجبيرة ووجه فلورينس الذي كان منتفخًا ومتلوّنًا بسبب الكدمات: "ما الذي حدث؟ هل أنت بخير؟".

"أصبت بحادث سيارة، الأمر ليس بالسوء الذي يبدو عليه".

"آسفة لسماع هذا".

سألت مرّة أخرى باندفاع ضئيل يلفّ صوتها: "ما الذي تفعلينه هنا؟". شعرت بالتهديد بسبب لقاءاتها الأخيرة، مع رمزي ومع غريتا، وحتّى مع ذاك الرجل الذي يبيع الحليّ، لدرجة أن نواقيس الخطر أخذت تدقّ في رأسها الآن، كان عليها أن تذكّر نفسها بأنّ ويتني ليست سوى ويتني، الفتاة التي أدّت أغنية المدرسة الثانوية في حفل المواهب لأربع سنوات على التوالي. عرفت فلورينس قبل أن تنتقل إلى نيويورك وقبل أن تقابل هيلين وقبل أن تُصبح هيلين. أحسّت بالرعب وهي تنظر إلى الحال التي صارت عليها من منظور شخص عرفها منذ كانت طفلة. ولكنّ هذا مرّ بسرعة كما جاء، لم تؤذِ أحدًا، ولم تفعل شيئًا لا يمكنها ألا تتراجع عنه.

"أنا في عطلة مع صديقتي من الجامعة، لقد وصلنا إلى سيمات هذا الصباح، وبقينا في جبال أطلس لعدّة أيام".

عملت ويتني بجدّ في المدرسة الثانوية، ولكنّها لم تكن طالبة متفوّقة مثل فلورينس أبدًا، ولا تزال فلورينس تفكّر في أنّ طبيب الأسنان، والد ويتني، قد دفع الرسوم الدراسية كاملة لجامعة إيموري، بينما أُرسلت فلورينس إلى جامعة فلوريدا العامة مثل الجميع.

سألتها ويتني: "ما الذي تفعلينه هنا؟".

"أنا أعمل نوعًا ما".

"حقًّا؟ ما الذي تفعلينه؟".

"أنا... حسنًا، إنّها قصّة طويلة، أنا أجري بحثًا".

"هذا رائع! أمازلت تعملين في مجال النشر؟".

"نعم، بالطبع".

"هذا عظيم، أنا سعيدة حقًّا من أجلك، لطالما أحببت الكتب".

لاحظت فلورينس أنّ الأشخاص الذين لم يشعروا بمثل شعورها تجاه الأدب أي اعتباره واحدًا من المبادئ الناظمة للحياة كعلم الأحياء والفيزياء، ينظرون إليه كأنّه مجموعة من الأغراض الملموسة، كأنّه كتب فقط. هل يعتقدون أنّ قوّة

الموسيقى يمكن تجسيدها شكلًا لتلامس أوتار الكمان؟ لقد أحبّت فلورينس الكتب في الواقع، أحبّت رائحة الأغلفة، وخشونة الصفحات، ولكنّ هذا لا يعتبر شيئًا ذا قيمة مقارنةً بحجم ما كان داخلها.

سألتها فلورينس: "ماذا عنك؟ ماذا تعملين؟".

"أنا مديرة مشاريع في شركة تامبا في أريزونا، جرّبت أتلانتيكا لفترة، ولكنّني اشتقت إلى البحر وإلى عائلتي، إنّه عمل عظيم، وأحبّ من أعمل معهم".

تذكّرت فلورينس أنّ أكبر أخطاء ويتني الاجتماعية في المدرسة الثانوية كان حماستها غير الضرورية في وقت من أوقات الحياة، كان خلاله معظم الأشخاص الذين عرفوهم يفضّلون بتر أطرافهم على أن يبدوا أيّ نوع من أنواع الحماسة تجاه أي شيء.

فجأةً، أغمضت ويتني عينيها وأخذت نفسًا عميقًا من أنفها، ومدّت يدها، وأمسكت بيدي فلورينس، لطالما كانت من النوع الذي يحبّ أن يلمس الأشخاص الآخرين في أثناء المحادثة، وقالت: "في الحقيقة يا فلورينس، هل أستطيع أن أقول إنّ القدر جمعنا؟ وأنّه جعلني ألتقي بك هنا؟ لقد كان هناك شيء أريد أن أخبرك به منذ أشهر".

لم تستطع فلورينس تخيّل ما قد ترغب في قوله لها بعد ستّ سنوات من غياب التواصل بينهما.

أخذت ويتني نفسًا آخر، وقالت دفعة واحدة وبسرعة: "أنا وتريفور نتواعد".

جاهدت فلورينس لتبعد الابتسامة عن وجهها وقالت: "هذا رائع، لا أمانع هذا، حقًّا. لقد تواعدنا منذ وقت طويل، وكأنّ ذلك حدث في حياة أخرى، كنّا شخصين مختلفين حينها".

زفرت ويتني بصوت قوي: "يا إلهي! أنا مرتاحة كثيرًا الآن، كان الشعور بالذنب يدمّرنا". تستطيع فلورينس أن تصدّق أنّ ويتني تشعر بهذا، ولكنّها تشكّ في أمر شعور تريفور بتأنيب الضمير حيث كانت لعبة ماينكرافت والفتاة آين راند أكبر شغفين في حياته عندما كانت تعرفه.

"مرحبًّا يا حبيبتي". استدارتا لتجدا نِك يحمل كيسًا من الكركم ذي اللون البرتقالي البرّاق بيده التي تشبه كفّ القطة.

قالت فلورينس بعصبية وهي تدرك فجأةً الموقف الذي هي فيه: "مرحبًا".

قال لويتني عندما فشلت فلورينس في تقديمه: "مرحبًا أنا نِك".

"أنا ويتني، لقد أمضيت طفولتي مع..."

تدخّلت فلورينس قائلةً بصوت عالٍ: "لقد كبرت وويتني معًا".

قال نِك: "يا له من عالم صغير".

شرحت فلورينس: "تَجُول ويتني في المغرب مع صديقتها من الجامعة".

قال: "هذا رائع".

مكتبة
t.me/t_pdf

قالت ويتني: "لقد كان ذلك رائعًا".

نظرت فلورينس حولها وسألت: "هل صديقتك هنا؟".

"لا، لقد غفت في الفندق، بقينا مستيقظتين لوقت متأخّر ليلة البارحة".

قال نِك: "جميل".

خيّم الصمت المطبق.

قال نِك وهو ينظر إلى فلورينس: "عليكما إذًا أن تأتيا لتتسكّعا معنا الليلة، أليس كذلك يا حبيبتي؟".

"يبدو أنّ ويتني تحتاج إلى أن تحظى بليلة هادئة".

قالت ويتني: "سأحبّ هذا في الحقيقة، أمازلت تحتفظين برقمك نفسه؟".

هزّت فلورينس رأسها، الحصول على رقم برمز منطقة نيويورك كان أوّل ما فعلته بعد أن انتقلت، تلت رقمها فحفظته ويتني.

قاطعهما نِك: "انتظري يا حبيبتي، هاتفك لم يعد معك".

استدارت إلى ويتني وقالت: "صحيح! لقد فقدته خلال الحادث".

قال نِك: "خُذي رقمي".

"رائع، سأرسل إليك رسالة الآن ليصبح رقمي عندك".

أمسكت يد فلورينس مجدّدًا بعد ذلك ونظرت إلى عينيها: "أنا سعيدة جدًّا لأنّني صادفتك".

قالت فلورينس ببرود: "حسنًا".

استدار نِك إلى فلورينس عندما رحلت ويتني وقال: "ما الأمر يا حبيبتي؟ ألا تحبّينها؟" تجهّمت فلورينس، فقوله كلمة حبيبتي قد بدأ سريعًا وبقّوة.

"لا، أنا أحبّها، ولكن... لا أدري، فاجأتني رؤيتها، هذا كلّ ما في الأمر".

عندما عادا إلى ضوء الظهيرة المشرق أدركت فلورينس أنّها تقضم أظفارها فتوقّفت على الفور، وقالت لنفسها أنّ الهلع ما هو سوى هدر للطاقة، ما تحتاج إليه هو خطّة مُحكمة.

36

بعد ساعات، استلقت فلورينس في حوض الاستحمام واسندت جبيرتها إلى حافّة الحوض، ثم انزلقت تحت الماء لفترة قصيرة، وتركت خصلات شعرها خفيفة الوزن تطفو على السطح قبل أن تُخرج رأسها مجدّدًا طلبًا للهواء، كانت تفكّر في مشاكلها.

طرحت ويتني تحدّيًا فوريًا، ولم تستطع فلورينس أن تفكّر في طريقة تمنعها من أن تأتي الليلة، لم يكن لديها رقم هاتفها، كما ان الساعة تجاوزت الخامسة، الخيار الوحيد المتاح أمامها هو أن تمنعها من أن تناديها باسمها الحقيقي طيلة الأمسية.

الخطر الأكبر هو غريتا، وقد أخبرتها أمينة أنّها اتّصلت مجدّدًا عندما كانت في الخارج.

تنهّدت فلورينس، أرادت أن تتجاوز الأسابيع المقبلة أو الأشهر المقبلة بسرعة وأن تصل إلى الوقت الذي سينجح فيه كل شيء، إلى الوقت الذي ستكون فيه قد استقرّت في منزل هيلين تكتب وتعمل في الحديقة وتطبخ، إلى الوقت الذي تصبح فيه فلورينس دارو من الماضي. ولكن عليها أن تكتشف كيف تنتقل من الحاضر إلى المستقبل.

جفّفت نفسها، ولفّت جسدها بعباءة هيلين، فلم تفكّر أبدًا في أنّ تمتلك عباءة حريرية، فما بالك بحزمها معها في أثناء سفرها. وقفت أمام الخزانة، ومرّرت أصابعها على الملابس المعلّقة بترتيب، وسحبت فستانًا بلون برتقالي فاتح وعليه تطريز بلون أحمر ورفعته أمام جسدها، فطابق لون التطريز الأحمر لون أحمر الشفاه الخاصّ بهيلين بشكل مثالي.

لبست، ووضعت المستحضرات التجميلية بإتقان وهي تنظر إلى مرآة الحمام، فوقع نظرها على علبة الدواء التي أحضرتها من المستشفى وهي تفتح علبة أحمر الشفاه. توقّفت قليلًا، ثمّ تابعت ما كانت تفعله.

سمعت الهاتف يرنّ بينما كانت تربط اشرطه صندلها، فطرقت أمينة على الباب، وبعد عدّة لحظات قالت فلورينس بقلق: "ماذا هناك؟".

أطلّت أمينة رأسها وقالت: "إنّها السيّدة غريتا مجدّدًا، تتحدّث عبر الهاتف".

"هل يمكنك أن تقولي لها إنّني لست هنا من فضلك؟"

"نعم، بالطبع يا سيّدتي". أغلقت الباب بهدوء، واستمعت فلورينس إليها تجرّ قدميها نزولًا على الدرج.

بعد وقت قصير، وصل نِك، وحالما وضع قدمه في بهو الفيلا، أدرك أنّه وفلورينس يسافران بميزانيتين مختلفتين تمامًا.

"هل تعيشين في هذا المكان كلّه بمفردك؟ إنه هائل الحجم".

هزّت فلورينس كتفيها وقالت: "إنها ليست أغلى من غرفةٍ في فندق، انظر إلى العفن الذي يملأ المكان".

"ومع ذلك فهو أجمل بكثير من منزلنا".

لم تستطع فلورينس مجادلته في ذلك، طلب منها أخذه في جولةٍ في المكان، فوافقت مرغمة، تجاوزت فقط الغرفة التي كانت تقطنها قبل الحادث. لم تكن قد دخلت إلى هناك منذ الحادث باستثناء مرةٍ واحدة، لتستعيد فرشاة أسنانها.

أبدى نِك رأيه في نهاية الجولة قائلًا: "إنه مكان رهيب".

تبادرت إلى ذهن فلورينس فكرة، وقالت: "ما رأيك بقضاء الوقت هنا بدلًا من الذهاب؟".

"حقًا؟ نعم، بالتأكيد. هل أراسل الآخرين لإخبارهم؟".

هزّت فلورينس كتفيها قائلةً: "بالطبع، كما تشاء".

"وعلينا إخبار ويتني".

ابتسمت فلورينس بعصبية وقالت: "في الواقع، انس الأمر، بإمكاننا تمضية ليلة الغد هنا إذا كنت ترغب في ذلك. دعنا نذهب الآن إلى شقّتك، فكل شيء جاهز هناك".

عبّر نِك عن موافقته بإيماءةٍ قائلًا: "حسنًا، رائع. أجل، فقد طلب ليام البيتزا على أي حال".

* * *

كانت البيتزا جافّة، والجبنة صلبة ومُصنّعة، نقرت فلورينس قطعتها وهي مشتّتة الانتباه. وكلّما رنّ جرس جهاز الاتّصال الداخلي، كانت تحرّك رأسها في أرجاء المكان لترى من القادم، ولم ترَ ويتني حتى الآن. أخذت رشفة من الجعة، فكانت دافئة وبلا غازات وطعمها أقرب إلى طعم العبوة المعدنية التي تحتويها منه إلى طعم الجعة. كانت ترتشفها لأكثر من ساعة، إذ عليها أن تكون يقظةً الليلة.

ليس الليلة فقط، بل عليها البقاء يقظة لما تبقى من حياتها، تمامًا كما كانت هيلين، ولن تفسح المجال لأيّ شعورٍ بالضعف أو التردّد. كانت تلك المحادثة مع غريتا بمثابة نداء الصحوة لها، وليس بمقدورها التخلّي عن حذرها أبدًا. الحصول على هويةٍ جديدةٍ شبيهٌ بزرع عضوٍ جديد في جسدها، وأدركت أنه سيكون عليها أخذ العقاقير المضادّة طيلة حياتها ليتكيّف هذا العضو مع جسدها.

عند الساعة العاشرة والنصف، رنّ جرس جهاز الاتّصال الداخلي، وبدا ذلك وكأنه يحدث للمرة الثانية عشرة، وما إن سمعت فلورينس صوت ويتني المبهج يعلن عن حضورها، حتى قفزت من مكانها، وسارت إلى المطبخ مباشرةً. سكبت كأسين من الفودكا وأضافت الصودا إلى كليهما، ثم أخرجت من جيبها ورقةً مثنيةً وقامت بفتحها بحذر. كان في داخلها مسحوقٍ أبيض اللون، وهو عبارةٌ عن أربع حبّات هيدروكودين كانت قد طحنتها في وقتٍ سابقٍ في تلك الليلة في أثناء وجودها في الفيلا مستخدمةً علبة كريم الوجه الخاص بهيلين لطحنها، ورشّت المسحوق

بحذر في إحدى الكأسين، ثم حرّكته بعنف باستخدام سكين، وتخلّصت من الورقة، وألقت بالسكين في المغسلة، وحملت الكأسين وتوجّهت نحو الباب. وكان نِك يرشد ويتني وصديقتها إلى مكان تجمعهم.

رحّبت فلورينس بهما بصوتٍ مرتفعٍ وقدّمت لهما كأسي الشراب، بدا على المرأتين شيء من الذهول، لكنهما أخذتا الكأسين على أية حال.

ضحكت ويتني قائلةً: "حسنًا، أعتقد أننا لن نعبث الليلة".

صاحت فلورينس مجدّدًا بصوت مرتفع: "نحن في إجازة".

قالت ويتني: "أوافقك الرأي"، ثم أشارت إلى المرأة السمراء ذات المظهر الرياضي الواقفة بالقرب منها وقالت: "بالمناسبة، هذه صديقتي إيمي". استدارت باتجاه إيمي، وقالت مشيرةً بيدها إلى فلورينس: "وهذه...".

قاطعتها فلورينس قائلة: "دعونا نتخطّى هذه المقدّمات التافهة، إنها مملّة، بإمكانك مناداتي كليوباترا، أو الملكة إليزابيث".

نظر كلٌّ من نِك وويتني وإيمي إليها بقلق واضح، ولكن أيًا منهم لم يقل شيئًا حتّى كسر نِك الصمت أخيرًا سائلًا وهو ينحني مقتربًا منها: "هل أنت بخير يا حبيبتي؟".

"أنا بخير يا حبيبي! إنّنا نحتفل! فلنشرب!" أشارت إلى كؤوسهم بعلبة الجعة وأخذت رشفة أخرى من الجعة الدافئة. رفع البقية الكؤوس في اللحظة نفسها.

قالت ويتني مطلقةً ضحكةً صغيرة: "لم أرك على هذا الحال أبدًا".

"لقد مضى وقت طويل يا ويت، أنا امرأة جديدة تمامًا الآن".

"هذا واضح!"

أخفضت فلورينس صوتها واقتربت منها: "في الحقيقة، هل يمكنني أن أتحدّث إليك على انفراد للحظة يا ويتني؟".

"بالطبع"، نظرت ويتني إلى إيمي وسألتها: "هل ستكونين بخير؟".

"لا تقلقي يا ويتني، أنا أحبّ الفودكا أكثر بكثير مما أحبّك".

"شكرًا لك".

"على الرحب والسعة".

انسحبت فلورينس مع ويتني إلى غرفة نِك، وأغلقت الباب. نظرت إلى الملاءة التي تشاركتها مع نِك الليلة الفائتة. بدت أكثر قذارة الآن والمصباح مضاء، فجلست عليها رغم ذلك وربّتت على المساحة إلى جانبها، فجلست ويتني مستغربة.

خشيت فلورينس من هذه المحادثة، ولكنّها قرّرت أنّه ليس لديها خيار آخر، لقد قرّرت أنّها تحتاج إلى أن تبقي ويتني بعيدة عن المجموعة لعشر دقائق على الأقل لتسمح لمسكّنات الألم بأن تأخذ مفعولها. أرادت أن تكون ويتني غير قادرة على الحديث بعض الشيء في الوقت الذي ستغادر فيه الغرفة وهي تتفوّه بالهراء فقط.

"أعرف أنّني قلت لك سابقًا إنّي لا أهتمّ ما إن كنت تواعدين تريفور، ولكنّني لم أستطع أن أتوقّف عن التفكير بشأن الأمر طيلة الظهيرة، وأنا في الحقيقة منزعجة جدًّا من هذا".

غطّت ويتني وجهها وهزّت رأسها: "عرفت ذلك".

عضّت فلورينس على شفتها، وحاربت صوتًا يصرخ في داخلها طالبًا إمّا أن تنفجر ضاحكةً في وجه ويتني أو أن تصفعها. بكى تريفور عندما جرّدها من عذريتها، كان قد رتّب سلسلة من الأغاني خصيصًا من أجل هذه العملية، ولكنّهما لم يتجاوزا ثلاثة أرباع الأغنية الأولى التي تغنّيها فرقة كولد بلي. كان قد أخبرها أنّ دراسة اللغة الإنكليزية في الجامعة ما هي سوى هدّر للوقت. لا، لم تمضِ السنوات الثماني الماضية مشتاقة إلى تريفور غليبين.

وخزتها فلورينس قائلة: "هل يمكنك إخباري كيف حصل هذا؟".

تناولت ويتني رشفة من مشروبها وقالت: "حسنًا، يعمل في أريزونا أيضًا، هل عرفت ذلك؟".

"أعتقد أنّ أمّي قد ذكرت شيئًا من هذا القبيل".

"إنّه مهندس أنظمة". نظرت ويتني إليها لترى وقع هذا عليها.

"حسنًا". لم تعرف فلورينس معنى مهنة مهندس الأنظمة، وأملت ألا تشرح ويتني ذلك.

"إنّه مجال تنافسي للغاية".

"هذا رائع".

أومأت ويتني إليها برأسها، وارتشفت رشفة أخرى، وتابعت ذكر قصّة علاقتهما، لقاءهما في مركز للرشاقة وكيف كان هناك الكثير من الأمور المشتركة بينهما، وكيف كانا يفكّران في تبنّي قطة.

كرهت فلورينس القطط.

ختمت ويتني كلامها: "أنا آسفة، لقد كسرت القاعدة الأولى من قواعد الصداقة".

شكّت فلورينس في أنّها الشخص الذي كسر القاعدة الأولى من قواعد الصداقة، وتقول الصداقة هنا مجازيًا. ولكنّها لم تقل شيئًا عن شكّها، فركت عينيها، وجعّدت جبهتها، ونظرت عبر زجاج النافذة.

قالت ويتني: "يا إلهي، أنا الأسوأ، ما الذي يمكنني فعله لإصلاح هذا؟" كانت تعضّ على حافّة كأسها، اختلست فلورينس النظر إلى داخله ووجدته نصف فارغ.

سألت فلورينس بعد أن استنفدت كل الأفكار الأخرى لمتابعة النقاش: "هل ستتزوّجينه؟".

ارتعش فم ويتني الكبير، فأدركت فلورينس أنّها تحاول ألا تبتسم. قالت: "لا أعرف، آمل ذلك، أنا آسفة، هل من القبيح قول هذا؟".

لم تعرف فلورينس لكم من الوقت تستطيع أن تتحمّل هذا.

"أتعلمين؟ أنا سعيدة لأجلكما، حقًّا، لنشرب نخبكما".

رفعت ويتني نظرها: "حقًّا؟".

رفعت فلورينس الجعة، وطرقت كأس ويتني، وأخذت ويتني رشفة أخرى. أبقت فلورينس الجعة على فمها، ولوّحت بيدها لتخبر ويتني بأن تستمرّ بالشرب: "هذا هو الاحتفال الحقيقي! اشربي! اشربي!"

تجرّعت ويتني جرعة كبيرة، ثمّ ضحكت وتناثر بعض مشروبها حول فمها، فمسحته بظهر كمّها.

"أنت صديقة جيدة يا فلورينس". أصبح كلام ويتني لزجًا كالطين، وخرجت كلمة فلورينس من فمها بلدغة، مستبدلةً آخر حرفين بأحرف أخرى غير مفهومة.

"حسنًا، ليس هناك ما هو أهمّ من الصداقة، أليس كذلك؟".

أومأت ويتني إليها برأسها موافقة: "صحيح، صحيح". ولم تتوقّف عن هزّ رأسها.

قالت فلورينس بسعادة: "بالحديث عن الصداقة، لا بدّ من أنّ إيمي تتساءل ما الذي فعلته بك، فلنعد إلى هناك".

تعثّرت ويتني قليلًا عندما وقفت على قدميها فثبّتها فلورينس وسألت: "هل أنت بخير؟".

أخذت فلورينس المشروب من ويتني وقالت: "هيّا، دعيني آخذ هذا، أعتقد أنّنا انتهينا منه". سكبت ما تبقى من المشروب خارج النافذة، ونظرت إلى الكأس الفارغة التي علق بعض المسحوق في قاعها، لذلك رمت الكأس برمّتها من النافذة، وقادت ويتني إلى غرفة الجلوس وهي تمسك بيدها. لم تكن إيمي ونِك هناك، بل وجدتهما في المطبخ يضحكان بالقرب من المغسلة.

قالت إيمي بإشراق: "مرحبًا". ولكن سرعان ما انطفأت ابتسامتها عندما رأت عيني ويتني الذابلتين. "هل أنت بخير يا ويت؟".

"بخير".

توجّهت إيمي بنظرة متسائلة نحو فلورينس.

"شربت كأسها دفعةً واحدة، أنا آسفة، لم يكن عليّ أن أجعلهما قويّين جدًّا".

أمسكت إيمي يد ويتني، ونظرت إلى عينيها مباشرةً: "ويت؟".

جاهدت عينا ويتني للتركيز على صديقتها، ابتسمت، ولكنّها لم تتمكّن من الحفاظ على التحكّم بشفتيها فانهارتا وتحوّلتا إلى تثاؤب منهك.

قالت إيمي: "حسنًا، من الواضح أنّه علينا أن ننهي الأمسية في الساعة التاسعة واثنين وأربعين دقيقة، هذا سريع يا ويتني". توجّهت إلى نِك قائلة: "آسفة، هل تمانع أن تتّصل لتطلب لنا سيارة أجرة؟ لا يدعم هاتفي الاتصال الدولي".

أمسك نِك هاتفه وقال: "بالطبع".

قالت له: "نحن عائدتان إلى فندق لوتوس".

توجّهت إلى فلورينس قائلة: "أنا آسفة جدًا، إنها ليست كذلك في العادة".

قالت فلورينس: "لا بأس، يُسمح لنا بأن نفقد التحكّم بأنفسنا في العطلات".

قال نِك وهو يضع هاتفه في جيبه مجدّدًا: "ستأتي السيارة بعد خمس دقائق".

تساعد الثلاثة في إنزال ويتني على الدرج ووضعها في سيارة الأجرة، فألقت برأسها على حجر إيمي التي مسّدت بلطف على شعرها، واعتذرت من فلورينس مرة أخرى.

"لا بأس بذلك، هذا يحدث مع أفضل الأشخاص".

"أنت لطيفة جدًّا، أنتما الاثنان لطيفان، شكرًا مرّةً أخرى".

وضع نِك يده حول كتف فلورينس بينما ابتعدتا، وجذبها إليه.

* * *

لاحقًا تلك الليلة، رقدت فلورينس في حضن نِك، كان يربّت على ظهرها ببط ويمسّده صعودًا ونزولًا، كانت قريبة من أن تسقط في أحضان النوم.

ثمّ قال نِك بهدوء: "حبيبتي؟ هل أستطيع أن أسألك سؤالًا؟".

"نعم".

"ظلّت إيمي تناديك باسم فلورينس".

فتحت فلورينس عينيها، ولكنّها لم تقل شيئًا.

أضاف: "واعتقدت أنّ هذا غريب لأنّ اسمي هيلين وفلورينس ليسا متشابهين أبدًا".

"لا، ليسا كذلك".

مرّت لحظة من الصمت، ولاحظت أنّه توقّف عن تمسيد ظهرها.

فقالت أخيرًا: "كنت معروفة باسم فلورينس في صغري، وبدأوا بمناداتي هيلين في الجامعة. إنّه اسمي الأوسط".

لم يقل نِك شيئًا، وكان المكان أكثر ظلمةً من أن ترى وجهه.

ثمّ قال: "أحبّ الاسم فلورينس".

"لا، إنّه غليظ".

"ليس كذلك، إنّه جميل".

"أنا أفضّل اسم هيلين الآن، حسنًا؟".

"حسنًا إذا كان هذا ما تريدينه".

"هذا ما أريده".

جذبها نحوه: "حبيبتي، لا أهتمّ باسمك، أنا أحبّك وحسب".

ابتسمت فلورينس بعينين تشعّان وسط الظلام.

37

في صباح اليوم التالي، استيقظت فلورينس قبل نِك، فشعرت بأنّ صدرها ضاق قلقًا، وراودها صديقها الملازم لها الندم. لماذا سمحت لنِك بأن يظلّ وحيدًا مع إيمي؟ كان عليها بالطبع أن تخدّر إيمي أيضًا، فهذا واضح الآن. انكمشت على نفسها بسبب فكرة تركهما عاجزتين تحاولان إيجاد طريقهما إلى المنزل كحملين جريحين.

ولكنّ هذا سخيف، إنّهما بالغتان، كانت مجرّد ليلة ماجنة، إنّها متأكّدة من أنّهما قد أمضيتا الكثير منها في الماضي.

كانت خطّتها محدودة وجريئة وعظيمة، وهذا المطلوب منها، كم مرةً عليها أن تذكّر نفسها بذلك؟

أرادت أن تستلقي وتتكوّر على صدر نِك مجدّدًا، أن تعود إلى حيث أمضت الليلة الفائتة، إلى مكمن الراحة والدفء. ولكنّها عرفت أنّ هذا ليس سوى فخّ، فحملت نفسها على الجلوس، وقالت لنفسها إن هذا لا يُهمّ، وماذا لو عرف نِك أنّ اسمها فلورينس؟ ماذا يعني هذا؟ ما الضير في ذلك؟ لن يقابلا بعضهما بعد عدّة أيام أخرى.

ارتدت ملابسها، وذهبت إلى المطبخ حيث شربت كثيرًا من الماء البارد. ثمّ ربّتت على وجنتيها بيديها المبتلتين. لا تزال الخطّة ذات تأثير، لن ترمي بالفرصة بسبب مقابلة سيئة التوقيت مع صديقة قديمة.

قالت لنفسها: "تذكّري، كوني جريئة". توقّفت للحظة، وأدركت الآن أنّها ارتكبت الخطأ نفسه مع غريتا. كانت حذرة للغاية. كانت تلك القصة التي اختلقتها عن التسمّم الغذائي سطحيّة جدًا وهشّة جدًا، ولا تتناسب مع أسلوب هيلين أبدًا.

عادت إلى غرفة نِك وأيقظته.

همست: "حبيبي، هل أستطيع استعارة حاسوبك المحمول؟".

جلس وفرك عينيه وأشار إلى كومة من الملابس الوسخة: "نعم، إنّه هناك".

بحثت تحت الملابس، ووجدت حاسوبًا متصدّعًا من نوع ديل.

سجّلت دخولها إلى حساب مود ديكسن على موقع جيميل، ثمّ فتحت تبويب رسالة جديدة، وبدأت الكتابة. قرأت رسالتها بعد أن أنهتها.

عزيزتي غريتا:

لم أكن صادقةً معك. أنا لست مريضة وليس من العدل أن أجعل فلورينس تستمرّ بالكذب من أجلي. الحقيقة هي أنّني أردت قضاء بعض الأيام بعيدًا عن كل شيء لأفكّر في بعض الأمور. لقد فعلت ذلك الآن وتوصّلت إلى قرار هامّ. أعلم أنّه سيخيب أملك وأنا آسفة على ذلك. ولكن أرجو أن تصدقيني عندما أقول لك إنّني لن أغيّر رأيي.

سأغيّر وكالتي. أقدّر كلّ ما فعلته من أجلي خلال السنوات السابقة ولكنّني أحتاج إلى وكيل يدعم طموحي الأدبي بكلّ جوارحه. أفهم لماذا دفعتني إلى أن أكتب تتمّة لكتاب رقصة الفوكستروت في ميسيسبي، ولكنّني أكتب كتابًا من نوع مختلف، وسيأخذ كل الوقت الذي يحتاجه. أحتاج إلى وكيل يدعم هذه الخطة، وأتمنى أن تتفهّمي هذا.

مود

اعتقدت فلورينس أنّها أصابت صلب الموضوع، كانت الرسالة مباشرة وتراعي المشاعر. حامت بالمؤشر فوق زر الإرسال ثمّ أجبرت نفسها على الضغط عليهن وأغلقت الحاسوب بسرعة ورمته بين كومة الملابس.

لقد تمّ الأمر.

كان نِك قد عاد إلى النوم. هناك كومة من الكتب الرثّة المستعملة في زاوية غرفته، بدأت تبحث فيها، ورأت كتابًا آخر للكاتب بول باولز، فسحبته من الكومة، عنوانه دع *كلّ شيء يتهاوى*، وهو روايته الثانية وفقًا لغلافه الخلفي ولكنّها لم تكن

ناجحة كما الأولى. تتحدّث عن صرّافة بنكية تنتقل إلى طنجة وتتأثّر بالانحلال الأخلاقي. قلّبت صفحاته فجذب عنوان نظرها، *عصر الوحوش* تجهّمت، متى سمعت هذا؟ قرأت بعض الصفحات:

> شعرت على الفور أنّها حيوان مفترس غير ممتن عندما سمعت كلمة عنيفة تُستخدم لوصفها، ولم يُسعدها هذا الإحساس على الرغم من أنّها عرفت أنّ ذلك صحيح تمامًا ولا يُقصد به تقييدها.

استرجعت المشهد في بالها عندما قرأت كلمة مفترس، يبدو أنّ هذه الجملة هي نفسها التي نقلتها من أوراق هيلين إلى الحاسوب في كيرو. لقد كتبتها هيلين بخطّ يدها، كلمة كلمة على ورقة ملاحظات وقدّمتها لها على أنّها مسودة روايتها الثانية. لماذا؟ هل هو مجرّد تصريح لامرأة معاصرة تطلقه ضدّ التشريعات الأدبية التي يحكمها الذكور؟ لا، هذا سخيف، هذه سرقة أدبية واضحة.

أدركت فلورينس أنّ هذا هو سبب إخفاء هيلين للمسوّدة عن الجميع. ولكن ما هي نهاية خطّتها؟ هذا غير منطقي أبدًا. لابدّ من أنّها عرفت أنّها لن تفلت أبدًا بفعلتها، فهناك أشخاص مجبرون على أن يمسكوا بها قبل أن يُطبع الكتاب حتّى. فهل كانت تحاول عمدًا أن تحرق اسم مود ديكسن؟

قال نِك من خلفها: "لقد أرسلت ويتني لي رسالةً للتو".

نظرت إليه فلورينس بارتباك، كانت قد نست أين هي للحظة. "ماذا؟"

كان متربّعًا في جلسته على الملاءة وعاريًا تمامًا، فكرّر ما قاله ورفع هاتفه لتراه، نظرت إلى الشاشة: "مرحبًا يا نِك، أرجوك أخبر فلورينس أنّني آسفة على ما جرى الليلة السابقة. لا أعرف ماذا حصل لي. وهل أستطيع أن أعوّض لكما عن تلك الليلة؟".

شعرت فلورينس بموجة من الراحة لأنّها بخير.

كتبت إليها: "مرحبًا، أنا فلورينس، لا تقلقي ولكنّني أعتقد أنّنا سنرتاح الليلة". حذفت المحادثة بأكملها بعد أن أرسلتها وحجبت رقم ويتني، ناولت نِك الهاتف، فرماه على الملاءة من دون أن ينظر إليه ومدّ يديه إليها.

سألها: "هل نتناول الإفطار؟" أومأت إليه برأسها، وشعرت بشعور جيد. أخيرًا، تستطيع السيطرة على الأمور.

ذهبا إلى مقهىً قريب يديره ثنائي من نيوزيلندا. راقبا السماء وقد تغيّر لونها من الأزرق الفاتح إلى البنفسجي وهما يتناولان القهوة والخبز مع الأفوكادو. كانت الغيوم الداكنة تتّحد في الأفق، بدأت المناديل وأعقاب السجائر المرمية تلتفّ تحت أقدامهما.

قالت فلورينس: "يا إلهي!".

قال نِك: "انظري إلى هذه الرياح". بدأت الأوراق على الأشجار تقاوم بعنف لتتحرّر من أغصانها، وكأنّ الرياح كانت تدّخر قوّتها البارحة من أجل هذا.

"يجب أن أجلب لوح التزلج".

"لن تخرج لركوب الموج في هذا الجو؟".

"بالطبع سأخرج، لهذا السبب أنا هنا".

"هل هذا آمن؟".

ابتسم نِك لها: "أنت لطيفة جدًا، إنّه آمن تمامًا، أقسم لك".

راقبت فلورينس رجلًا عند الطرف الثاني من الشارع يحاول نصب مظلّة مؤقتة فوق طاولة وضعت عليها منحوتات صغيرة لحيوانات. ولكنّ الرياح ظلّت تنتزع القماش من قبضته.

"هل سبق لك أن خرجت في وقت كان فيه الجوّ عاصفًا إلى هذا الحدّ؟".

"أجل، كثيرًا، في الواقع، كان الجوّ جنونيًا خلال أول أسبوع أمضيناه هنا. رياح بسرعة ثلاثين عقدة توازي الشاطئ والأمواج، كانت ملحمية، ظهرت سمكة قرش، سمكة قرش حقيقية، كانت هناك على الشاطئ، كانت نافقة".

تجمّدت فلورينس.

"يا إلهي! لن تبدئي بالقلق بشأن أسماك القرش، أليس كذلك؟".

لم تقل فلورينس شيئًا.

"حبيبتي؟ هل أنت بخير؟".

كيف استطاعت أن تكون مهملة هكذا؟ من الممكن أن تظهر جثّة هيلين، غالبًا ما تظهر الجثث، الحظ هو ما منع ظهورها حتّى الآن. بعثت هذه العاصفة المتأهّبة شعورًا جديدًا من الخوف.

نظرت إلى نِك وقالت بطريقة آلية: "يجب أن أذهب".

"ماذا؟ الآن؟".

"ألم تقل إنّك ستذهب لكي تمارس رياضة ركوب الأمواج؟".

"نعم، فلنذهب، سأوصلك بالسيارة".

أومأت إليه برأسها.

أبقت عينيها على السماء في طريقها إلى فيلا دي غرينيدز. فكانت بلون الصوان الغامق، وسحابها يتجمّع حول بعضه بشكل مشؤوم. أرادت أن تغادر البلدة فورًا، عليها أن تحزم أمتعتها، عليها أن تحجز سيارة مستأجرة، وربما عليها أن تُقدّم موعد رحلتها الجوية للخروج من المغرب، ولكن عليها أولًا أن تخرج من سيمات.

هل سيربطون الأمور ببعضها إن ظهرت جثّة؟ هل سيكتشف رمزي ما حدث؟ هل هناك من فرصة لأن يكون قد نسيها؟

أبطأ نِك حتّى توقف في مرآب السيارات، نزلت عن دراجته، ووقفت للحظة تنظر إليه. هذه هي المرة الأخيرة التي ستراه فيها، أرادت أن تقول شيئًا لتضفي على اللحظة معنىً، ولكنّها لم تعرف ماذا تقول.

سألها: "هل سأراك الليلة؟".

أومأت إليه برأسها.

وهكذا، بهذا الوداع الخالي من اللمعان، داس على دوّاسة البنزين، وانطلق بدراجته رافعًا يده مودعًا.

صاحت بعد أن كان قد اختفى: "انتبه على نفسك".

استدارت إلى المنزل، كانت الأوراق ترتجف بين يدي الرياح وتظهر منها أوجهها السفلية الباهتة الضعيفة. اختفت كلّ العصافير، فتساءلت إلى أين ذهبت؟ سقطت بعض القطرات الكبيرة على الحصى، ركضت إلى الداخل بينما بدأت البقع الغامقة على الحجارة تكثر فغطّى الأرض بساط أسود لامع.

أخذت الحاسوب المحمول من غرفة الجلوس وذهبت إلى الطابق العلوي، وجلست على حافّة السرير، وتحقّقت من بريد هيلين الإلكتروني. ليس هناك إجابة من غريتا بعد. لا بأس، هذا جيد. ثمّ وجدت وكالة تأجير سيارات في سيمات، وحجزت سيارة داسيا دستر، أيّا كان شكلها، بدا أنّها يمكنها تحمّل الطقس السيئ، وكانت متوفّرة للحجز الفوري. نظرت من النافذة، كان المطر يضرب الزجاج، وصوت الرعد يدوي من بعيد. وبعد ثوانٍ، أُضيئت الغرفة بسبب البرق القوي، هل يمكنها القيادة في هذا الطقس؟

نزلت إلى الطابق السفلي للاتصال بشركة دلتا لتغيير موعد رحلتها، فسمعت صوتًا ضعيفًا يصيح من السمّاعة عندما التقطتها لتتّصل، قال الصوت: "مرحبًا، هل يسمعني أحد؟".

وضعت السماعة على أذنها، وسمعت: "مرحبًا؟".

"من المتّصل؟".

أدركت فلورينس أنّها بالتأكيد التقطت السماعة قبل أن يرنّ الهاتف.

"أنا غريتا فروست، أحاول الاتصال بهيلين ويلكوكس".

"مرحبًا".

"هيلين؟".

توقّفت فلورينس قليلًا ثم قالت: "نعم".

"لقد وصلتني رسالتك يا هيلين، هل يمكننا الحديث عنها من فضلك؟".

"حسنًا".

سألت مجدّدًا: "أنت هيلين أم فلورينس؟"

اللعنة.

"نعم؟".

"هل أنت فلورينس؟".

"أجل".

"لماذا قلت إنّك هيلين؟".

"آسفة، شبكة الاتّصال سيئة، هناك عاصفة مجنونة تعصف في المكان هنا الآن".

مرّرت فلورينس قميصها على الهاتف محاولةً أن تختلق صوت البرق.

سألت غريتا بلطافة: "هل يمكنك إعطاء الهاتف لهيلين من فضلك؟".

"المعذرة؟"

"أودّ التحدّث إلى هيلين الآن".

"أنا آسفة، إنّها ليست هنا".

"أين هي؟".

"لا أعرف في الواقع، لقد غادرت هذا الصباح".

"إلى أين ذهبت؟".

"لست واثقة من مكانها". ثمّ خطرت على بالها فكرة فقالت: "لقد طردتني من العمل".

"طردتك من العمل؟".

"أجل".

"هذا مفاجئ!" صمتت غريتا قليلًا ثمّ قالت: "لقد طردتني أيضًا".

"حقًّا؟".

"نعم".

"هذا غير معقول".

"أجل، كان هذا ردّ فعلي أيضًا، هل قالت لماذا؟".

"كان كلامها ملتويًا، ظلّت تقول إنّني إلى جانبك، لا أعرف ما يعنيه هذا، شكّت في أنّني كنت أمرّر لك المعلومات". صمتت فلورينس قليلًا ثمّ تابعت: "قالت إنّه عليّ أن أكتب تتمّة كتاب فوكستروت لكي نصبح أنا وأنت سعيدتين".

"ماذا؟".

"كانت تمزح".

"هذا واضح".

لم تتحدّث أي منهما للحظة.

سألت غريتا: "هل قالت إلى أين ستذهب؟".

"لا، قالت إنّها تريد أن تذهب في تلك الرحلة وحدها فحسب".

"أيّة رحلة؟".

"إنّها تشبه الرحلات الفنّية على ما أعتقد، هذا هو الانطباع الذي أخذته عنها، جولة إبداعية من نوع ما".

سألت غريتا بشكّ: "أقالت هيلين إنّها ستذهب في جولة إبداعية؟".

"نعم، ولكنّها لم تقل هذا بالحرف الواحد".

"وهل قالت إلى أين ستأخذها هذه الجولة؟".

"أعتقد أنّ ما يميّز الجولات أنّها لا تحدّد الوجهة".

"حسنًا". من الواضح أنّ غريتا غير معتادة على التوتّر. "هل بدت... لا أعرف، هل بدت بحالتها الطبيعية؟ لا يبدو هذا من طبائع هيلين".

"بدت متأكّدة تمامًا".

لم تقل أي منهما شيئًا للحظة ثم قالت غريتا: "أين أنت بالضبط؟".

"ماذا؟".

"ذكريني باسم البلدة التي أنت فيها".

"لماذا؟".

"سآتي".

"ستأتين إلى هنا؟ إلى المغرب؟".

"أعتقد أنّه عليّ فعل هذا، هيلين أهمّ عملائي، وقد قلقت عليها بصراحة، لم تكن على سجيّتها مؤخّرًا".

"لا أعرف أين هي حتّى يا غريتا".

مكتبة
t.me/t_pdf

"سنجدها".

لم تقل فلورينس شيئًا.

"فلورينس، لا تقلقي، ستفهمين كل شيء، هيلين متقلّبة، ولكنّها دائمًا ما تستقرّ".

"حسنًا".

"اسمعي، سأجعل لورين تحجز لي رحلة جوية، هل هبطتما في مراكش؟".

"نعم".

"وأين ذهبتما بعدها؟".

توقّفت فلورينس قليلًا، ثمّ أعادت وضع السماعة على الهاتف ببطء، بدأ بالرنين بعد دقيقة ووقفت فلورينس أمامه ويدها لا تزال فوقه، لا تتحرّك، وأمينة تراقبها.

"لهذا السبب لا أحبّ التحدّث عبر الهاتف اللعين". أرادت أن تصرخ، جولة إبداعية؟ ما هذه الفكرة السخيفة؟ وغريتا ستأتي إلى هنا؟ لا، لا.

عبّرت عن خيبة أملها بتنهيدة متذمّرة بصوت خفيض. وبينما فعلت ذلك، ومضت أضواء المنزل وانطفأت، فنظرت إليها أمينة بخوف وكأنّها من فعلت ذلك.

38

تستطيع غريتا أن تأتي وتبحث عن هيلين بقدر ما تشاء، أما فلورينس فستغادر، هذه هي الخطّة.

بدأت تحزم أغراضها، ولم تستطع أن تقرّر ما إن كان عليها أخذ أغراضها معها أم لا. تحبّ أن تترك كل ما يتعلّق بفلورينس خلفها، ولكنّها خشيت من أنّ هذا سيسبّب طرح الكثير من الأسئلة. لم تُرد أن يبدو الأمر وكأنّ شخصين قد وصلا إلى المنزل ولم يغادر إلا واحد منهما، وتحديدًا إن ظهرت جثّة على الشاطئ. لذلك حزمت في النهاية حقيبتين واحدة مملوءة بأغراض هيلين والأخرى بأغراضها. عانت في أثناء جرّهما كل واحدة على حدة على السلالم وصولًا إلى الطابق السفلي بسبب معصمها المكسور. لاحظت أنّ المطر قد توقّف، فتركت الحقيبتين قرب الباب، وخرجت إلى الشرفة. كان الماء يقطر من كل شيء، والعصافير تقفز في الأرجاء، باحثة عما قد تكون العاصفة قد كشفته. كوفئت تلك العصافير على شجاعتها، وكانت المكافأة ديدان تطوف منتفخة على سطح مياه المطر أومعلّقة بأعلى أطراف الأعشاب. أخذت فلورينس نفسًا عميقًا، بعد خفّت درجة الحرارة.

من المؤسف أن تترك سيمات الآن، ولكن ليس لديها خيار، تنفّست بعمق واستدارت. ثمّ جمدت في مكانها، إذ استطاعت سماع أصوات قادمة من داخل المنزل، فأطلّت رأسها إلى الداخل.

انطلق صوت رجل من الممرّ: "ها هي".

وقف الضابط رمزي أمام الباب مع رجل في الثلاثينيات من عمره، يبدو من مظهره أنّه أميركي، يرتدي بنطالًا كحليًا وقميصًا.

بدت أمينة غير مرتاحة وهي تمسك الباب من أجل أن يدخلا، فخطا الرجلان نحوها بخطوات واسعة جريئة، وترك حذاءاهما بقعًا من الوحل على الأرض، ورأت فلورينس أمينة تنظر ببضيق إلى الأثر.

مدّ الرجل الذي لا تعرفه يده وقدّم نفسه: "أنا دان ماسي، من سفارة الولايات المتّحدة، أعمل في السفارة في الرباط".

نقّلت فلورينس نظراتها بين الرجلين، وسألت: "ماذا يجري؟".

قال ماسي وهو يمدّ يده مشيرًا إلى غرفة الجلوس في الخلف: "دعينا نجلس من فضلك".

ألقى ماسي نظرة خاطفة على حقائب فلورينس بينما مرّوا بجوار الدرج.

"هل أنت ذاهبة إلى مكان ما؟".

أجابت من دون استفاضة: "نعم".

جلس ثلاثتهم ووضع ماسي محفظته الصغيرة على الطاولة أمامه وفتحها. "إذًا يا سيدة ويلكوكس". نظر إلى الأعلى: "أنت هيلين ويلكوكس من كايرو في نيويورك، أليس كذلك؟" لفظ اسم البلدة بشكل خاطئ.

أومأت فلورينس إليه برأسها: "نعم، من كيرو".

"حسنًا، كان قسم شرطة كيرو يحاول التواصل معك منذ عدّة أيام".

رفعت جبيرتها: "تعرّضت لحادث سيارة، وليس لديّ هاتف".

"هل تعلمين لماذا يرغبون في التواصل معك؟".

"لا أملك أيّ فكرة".

"وُجدت جثّة في عقارك".

فكّرت فلورينس للحظة موجزة مربكة، هل هي جثّة هيلين؟ لا، هذا غير منطقي.

قالت ببلاهة: "جثّة؟".

أومأ ماسي إليها برأسه: "وُجدت في كومة السماد الطبيعي". سحب ملفًّا من محفظته وتحقّق من معلوماته ثمّ قال: "منذ ما يقارب الأسبوع". تنحنح وأضاف:

"يبدو أنّ الجثّة وجدت بعد أن قطعت شوطًا كبيرًا من عملية التحلّل، وجدها كلب جارك".

"بينتلي؟"

"ماذا؟".

"هل بينتلي هو اسم الكلب الذي وجدها؟".

تجهّم ماسي: "لا أعرف اسم الكلب يا سيّدة ويلكوكس".

"حسنًا، أعتقد أنّ هذا لا يهمّ". صمتت قليلًا ثمّ سألت: "جثّة من؟".

"هل رأيت؟ هذا هو السؤال الأول الذي أعتقد أنّ شخصًا في موقعك سيسأله". نظر إلى ملفّاته مجدّدًا طلبًا للمعلومات وقال وهو يلقي نظرة خاطفة عليها مراقبًا ردّ فعلها: "تمّ التعرّف إلى الجثة وهي تعود إلى جانيت بيرد، هل يعني هذا الاسم شيئًا بالنسبة إليك؟".

"لا".

رفع حاجبيه: "لا؟" كان وجهه صلبًا ونحيلًا حتّى ظهر منه العظم، والجلد الشاحب المليء بالنمش مشدود فوقه. بالكاد هناك ما يكفي من الجلد على جبهته لتتشكّل التجاعيد، تيقّنت بأنّه ليس بالوجه الذي يبدي الرأفة بسهولة.

"لا".

أومأ ماسي إليها برأسه: "وفقًا لليزلي بلاكفورد من جاكسون في ميسيسبي، فقد أجريتما محادثةً بشأن جانيت بيرد سابقًا هذه السنة". قلّب الأوراق في حضنه وأضاف: "في الأول من شهر آذار بالضبط، هل تتذكّرين هذا؟".

هزّت فلورينس رأسها.

"كما أنّ اسمك مدرج في أوراق الإفراج عن جانيت بيرد بصفتك الشخص الذي يجب الاتّصال به في حال الطوارئ، من الغريب أن تُدرج اسم شخص لا تعرفه، أليس كذلك؟".

"الإفراج من أين؟".

"حصلت الآنسة بيرد على الإفراج المشروط من إصلاحية ميسيسبي المركزية في الرابع والعشرين من شهر شباط من هذه السنة".

اختارت أمينة تلك اللحظة لتدخّل حاملةً طبقًا عليه ثلاث أكواب من الشاي يتصاعد منها البخار. لم يقل أحدٌ شيئًا بينما وضعتها بحذر على الطاولة واحدة تلو الأخرى، كما لو كانوا متّفقين على الصمت، وفي تلك اللحظة ارتجف الكوب الأخير قليلًا بين يديها، ثمّ غادرت الغرفة بخطوات سريعة وصغيرة.

تابع ماسي: "الآنسة بلاكفورد هي الضابط المسؤول عن إطلاق سراح الآنسة بيرد، يبدو أنّ الآنسة بيرد فوّتت اجتماعها الأول معها. ولكن بعد عدة أيام، تلقّت الآنسة بلاكفورد اتّصالًا من الآنسة بيرد، وكان اتّصالها من خطّ الهاتف الأرضي في منزلك".

حاولت فلورينس رسم ابتسامة مطمئنة على وجهها منذ وصول ماسي، ولكنّها بدأت تختفي الآن.

تابع ماسي: "اتّصلت بك الآنسة بلاكفورد في اليوم التالي، ولكنّك زعمت أنّك لم تسمعي خبرًا عن الآنسة بيرد، أصدرت ميسيسبي مذكّرة اعتقال بحقّ جانيت بيرد في السابع والعشرين من شهر آذار على أساس أنّها خرقت اتفاقية إطلاق سراحها المشروط، كانت قد فوّتت ثلاثة اجتماعات مع الضابط المسؤول عن إطلاق سراحها في تلك النقطة. ومكتوب هنا أنّ المحقّق ميشيل ليدوسكي من قسم شرطة كيرو قد التقى بك حينها في منزلك ليستفسر عن مكانها، وزعمت أنّك لم تريها".

نظر مباشرةً إلى فلورينس وأكمل: "ولكنك تخبرينني الآن أنّك لا تتذكّرين محادثتك مع ليزلي بلاكفورد، وأنّك لا تذكرين محادثتك مع المحقّق ليدوسكي وأنّك لا تعرفين جانيت بيرد، المرأة التي وجدت جثتها تتحلّل في عقارك".

هزّت فلورينس رأسها ببطء: "لا أعرف ما سأقوله لك". كان ذلك صحيحًا على الأقلّ.

زفر ماسي واستراح في جلسته قليلًا ثمّ قال: "حسنًا، اسمعي، لست هنا لأحقّق معك، لست شرطيًا، ولكن من الواضح أنّ شرطة ميسيسبي وشرطة نيويورك

ترغبان في أن تتحدّثا إليك. جئتك لكي أحثّك على العودة إلى الوطن بأسرع ما تستطيعين، اليوم إن أمكنك، أستطيع أن أساعدك في الترتيبات".

"ألا أستطيع التحدّث إليهم عبر الهاتف؟".

"لا يا سيّدة ويلكوكس، عليك بالعودة".

"هل يجب أن أعود؟ هل أنا قيد الاعتقال؟".

"ليس لديّ السلطة لأعتقلك يا آنسة ويلكوكس، أنا أقدّم لك اقتراحًا قويّ اللهجة ببساطة".

تحدّث رمزي للمرة الأولى منذ أن جلس، كادت فلورينس أن تنسى وجوده معهما. قال: "ليس هناك اتفاقية لتسليم المجرمين بين الولايات المتّحدة وهذا البلد، لا تستطيع الولايات المتّحدة أن تطالبنا بإعادتك".

قال ماسي: "هذا صحيح، ليس هناك اتفاقية لتسليم المجرمين بين الولايات المتّحدة والمغرب، ولكنّ مع ذلك، البقاء ليس بفكرة جيدة. آنسة ويلكوكس، أنت مشتبه بها بشكل رسمي في جريمة قتل، إذا رفضت العودة إلى الوطن والتعاون مع الشرطة، فتستطيع الولايات المتّحدة أن تُبطل جواز سفرك، وستفعل ذلك. لن تكوني قادرة على السفر إلى خارج المغرب طيلة حياتك، وإذا خرقت القوانين هنا يمكن أن تقاضيك الشرطة المغربية، ولن تقدر السفارة الأميركية على التدخّل"، أشار إلى رمزي وأضاف: "وقد سمعت من صديقي هذا أنّك خرقت بعضها بالفعل، ودعيني أؤكّد لك يا آنسة ويلكوكس أنّ السجون الأميركية أكثر راحة بكثير من السجون الإفريقية".

ابتسم رمزي: "أودّ القول إن السجون المغربية أكثر راحة من الكرسي الكهربائي الذي يُغرم به بلدك".

أبدى ماسي امتعاضه.

قالت فلورينس: "حسنًا، انتظر، هذا غير معقول، لم أقتل أحدًا". أدركت حالما قالت ذلك أنّه غير صحيح، ولكنّهما لا يتحدّثان هنا عن حادث السيارة. "لم أكن أعيش في كيرو في شهر شباط، ولا حتّى في الوقت الذي تقولونه".

قال ماسي: "وفقًا لأوراق ضرائبك، اشتريت العقار في شارع كريستبيل قبل سنتين، وقد أدرجته كمكان سكنك الأساسي منذ ذاك الحين".

وقفت فلورينس وتوجّهت إلى النافذة، كان قد بدأ رذاذ المطر مرة أخرى.

اللعنة.

اللعنة، اللعنة، اللعنة.

شعرت أنّ كل شيء ينزلق من بين يديها، بالطبع ستحدث الأمور بهذا الشكل، أعطيت كل شيء، كلّ شيء أرادته في حياتها، وها هو الآن يُنزع منها. كان ذلك مزحةً، وها هو يسحب القدر يده الممدودة لتحيّتها في اللحظة الأخيرة. فعلت كلّ ما كان مطلوبًا منها، عملت بجدّ وكدٍّ في المدرسة، وحصلت على منحة، وأمضت كل وقت فراغها في الكتابة مع تشجيع يُقارب الصفر، وأمضت ساعات طوال في عمل لا طائل منه، وفعلت كل هذا بلا جدوى، ثمّ يحصل شخص مثل أماندا على كل شيء أرادته، كل شيء أرادته، من دون أن تبذل جهدًا. هل كان من السخف أن تفكّر فلورينس في أنّ جائزتها قد وصلت أخيرًا بعد كل هذا الوقت؟

يبدو أنّ هذا كان سخيفًا فعلًا.

تنهدّت وقالت وهي تستدير: "الأمر هو أنّني لست هيلين ويلكوكس".

تبادل رمزي وماسي النظرات الحائرة.

سأل ماسي: "المعذرة؟".

كرّرت مشيرة إلى ملفه: "أنا لست هيلين ويلكوكس".

رتّب ماسي الأوراق على حجره ووضعها برفق على الطاولة وقال: "سيّدة ويلكوكس، أنا متأكّد من أنّ لديك تفسيرًا منطقيًا لكل هذا. أنت فقط بحاجة إلى أن تخبري الشرطة به، وتستطيعين حينها المضي في حياتك، كما يمكنك حتّى أن تعودي إلى المغرب إن أردت".

"لا، أنا جادّة، أنا فلورينس دارو. ولدت في ديتونا بيتش في فلوريدا في العام 1993. يمكنك البحث عن هذا، هيلين هي مديرتي في العمل، ولكنّها رحلت، وكنت

أتظاهر بأنّني هي لبعض الوقت فحسب، كانت مزحة من نوع ما".

قال ماسي ببرود: "مزحة؟!".

قاطعه رمزي: "ولكنك أخبرتني بأنّ اسمك هو هيلين ويلكوكس في المستشفى قبل خمسة أيام".

"حسنًا، لم أقل ذلك تمامًا، بدأت تناديني بهذا الاسم، ولم أصحّح لك خطأك وحسب".

تنهّد رمزي: "بطاقاتك الائتمانية ورخصة قيادتك وجواز سفرك، كلّها باسم هيلين ويلكوكس، وكان عقد تأجير السيارة التي تحطّمت في الحادث باسم هيلين ويلكوكس، وهذا المنزل باسم هيلين ويلكوكس". توقّف قليلًا وأضاف: "وأعتقد أنّه لديك أصدقاء هنا أيضًا، بماذا ينادونك؟".

نظرت فلورينس بحدّة وسألت: "هل كنت تراقبني؟".

"بأي اسم ينادونك؟".

رمت فلورينس يديها إلى جانبها: "باسم هيلين، هل أنت راضٍ؟ باسم هيلين ويلكوكس، أعرف، أعرف كيف يبدو هذا، ولكن أقسم لكما إنّني كنت أتظاهر بهذا فحسب".

قال ماسي: "فكّري في الأمر من منظورنا يا سيدة ويلكوكس، أيّ الأمرين مرجّح أكثر؟ أنّك كذبت بشأن اسمك بينما كنت مصابة في سرير المستشفى وبين أصدقائك وعلى الوثائق الرسمية؟ أم أنّك تكذبين الآن وأنت في ورطة؟".

"لا أكترث بما يبدو عليه الأمر، أنا فلورينس دارو، أنا فلورينس دارو فحسب".

قال ماسي: "حسنًا، هل يمكنك أن تريني بطاقتك الشخصية؟".

"ليس لديّ بطاقة". رفعت فلورينس كتفيها وأطلقت ضحكة ساخرة وأضافت: "أعلم أنّ هذا يبدو غير منطقي، ولكن ليس لديّ بطاقة. كان كل شيء في السيارة عندما تحطّمت، وهي في وسط المحيط الأطلسي على الأغلب الآن".

قال ماسي: "صحيح".

"ألا يمكنك أن تتحقّق من بصمات أصابعي؟".

"هل اعتُقلت من قبل؟".

"لا".

"ليست في الملفّات إذًا".

زفرت فلورينس بصوت عالٍ، ولكنّها لم تُجب. جلسوا بهدوء للحظة أخرى، ثمّ قالت فلورينس فجأةً: "انتظر! انتظرا هنا!" ركضت إلى الطابق العلوي، وأخذت جواز سفر هيلين من فوق الخزانة في غرفتها، وناولته لماسي في الطابق السفلي: "انظر! هذه ليست أنا، انظر بتمعّن". فتحه بحذر ونظر إلى الصورة، مرّره إلى رمزي، وتفحص كلٌّ منهما الصورة ونظرا إلى فلورينس للمقارنة.

قال ماسي وهو يهزّ رأسه: "لا أعرف".

قال رمزي موافقًا: "هذا ليس واضحًا".

"انظرا إلى أنفها".

قال ماسي: "يمكن تغيير شكل الأنف".

انتزعت فلورينس جواز السفر، ونظرت إلى الصورة.

قالت بقناعة تتضاءل: "من الواضح أنّها ليست أنا".

رفع ماسي يده، فأعادت الجواز إليه قائلةً: "لا تشبهني بأي شيء".

قال: "حسنًا، لا أستطيع أن أفكّر في أيّ سبب وجيه يضع جواز سفر هيلين ويلكوكس بين يديك ما لم تكوني هيلين ويلكوكس، ولكن اسمعي، لا يعود لي أمر تحديد إن كنت هيلين أم لا، كما قلت من قبل، هذه قضية الشرطة". وضع جواز السفر في جيب سترته الداخلي.

قالت فلورينس: "لا يمكنك أخذه، أعده ليّ".

"سيدة ويلكوكس، نظرًا لأنك مطلوبة للاستجواب في قضية قتل في ولاية نيويورك، عليّ إخبارك أنني في الواقع أملك الصلاحية لمصادرة جواز سفرك، إلا أنّني أستطيع إصدار أمر ورقي مؤقّت لإعطائك الصلاحية للسفر إلى الولايات

المتّحدة فقط، وهناك سيقابلك ضابط بشكل رسمي، ويحضرك إلى قسم شرطة كيرو من أجل التحقيق. دعيني أسألك مجدّدًا: هل أنت مهتمّة بذلك؟".

لم تجب فلورينس، وحدّقت إلى الطاولة الموضوعة أمامها.

أومأ ماسي كما لو أنه حصل على جواب منها، وقال واضعًا بطاقة عمله على الطاولة: "حسنًا، رجاءً اتّصلي بمكتبي إذا غيرتِ رأيك، وإن لم تفعلي، فكما سبق وأخبرتك لا أستطيع إجبارك. لكن الولايات المتّحدة لن تصدر جواز سفر جديدًا لك حتى تُحلَّ هذه القضية".

وقف ماسي، وبدأ بإعادة ملفّاته إلى حقيبته.

سألت فلورينس وفي عينيها نظرة عجز: "ماذا الآن؟".

قال ماسي: "الأمر خارج عن سيطرتي، عليك بالعودة إلى ديارك، عودي إلى نيويورك. أنصحك بذلك، وأتمنّى أن تأخذي بنصيحتي". ثم أشار إلى حقائبها الموجودة أسفل الدرج، وقال: "وإذا كنت تخطّطين لمغادرة سيمات، أنصحك أن تبقيني على علم بمكان تواجدك، لأن هذا سيسهّل الأمور بالنسبة إليك على المدى الطويل".

تجاهلته فلورينس، وسألت رمزي: "وماذا عنك؟". شعرت فجأةً أنها غير راغبةٍ في ذهابه، بالرغم من أن تدخّله لم يجعل حياتها سوى أكثر تعقيدًا.

هزّ رمزي كتفيه وقال: "لا أدري يا سيّدتي". للمرة الأولى منذ التقته، بدا في حيرة من أمره.

39

أول ما فعلته فلورينس بعد رحيل الرجلين هو البحث عن جانيت بيرد على الإنترنت، فوجدت مقالًا على موقع كلاريون ليدجر يعود إلى العام 2005، يقول إن فتاةً في السابعة عشرة من عمرها تدعى جانيت بيرد وجدت مذنبة بجريمة قتل رجل يدعى إيليس ويماوث في غرفة نزل في هندسفيل، ميسيسبي. ذكرت الصحيفة أنها تمسّكت بادّعائها البراءة، لكن حجّة الغياب التي قدّمتها - وهي أنها كانت مع صديقة لها طوال تلك الليلة - انهارت حالما غيّرت تلك الصديقة أقوالها.

اسم الصديقة؟ هيلين ماري ويلكوكس.

اذًا فإن جانيت بيرد هي جيني، إنّها روبي في الكتاب.

قال ماسي إن سراحها أُطلق بشكل مشروط في شهر شباط. وماذا بعدها؟ ذهبت لتجد صديقتها القديمة هيلين بعد أن أمضت خمسة عشر عامًا في السجن؟ بدا ذلك معقولًا، لكنه لم يفسّر كيف انتهى بها الأمر في كومة السماد، كانت هيلين أنانية ونرجسية لكنها بالتأكيد لم تكن قاتلة.

انتصبت فلورينس واقفة.

بالتأكيد؟ لم تكن متأكّدة من أنّها تستطيع أن تصف هيلين التي كان مزاجها متقلّبًا كالطقس، متقلّبًا لدرجة أن غريتا نفسها وصفتها بالمتقلّبة، ولا تستطيع أن تكون متأكّدة من أيّ من صفاتها.

وفقًا لماسي، كانت الجثّة في كومة السماد على طريق كريستبيل منذ شهر شباط، وهذا يعني أنه طوال تلك المدّة التي قضتها فلورينس هناك، كانت جثّة جيني

تتحلّل على بعد ياردات من المكان الذي تنام فيه. حتى إنها ألقت بقشرة موز على قمّة تلك الكومة.

ماذا قال أيضًا؟ هيلين كذبت على كلٍ من الضابط المسؤول عن إطلاق سراح جيني المشروط في الميسيسبي وعلى ضابط شرطة محلّي في كيرو. تبادرت إلى ذهن فلورينس صورة الضابط ذي الوزن الزائد يرفع بنطاله عند المدخل الخاصّ بهيلين، وهيلين تحدّق إليه وهي تقف أسفل الدرج، فأدركت أنها سمعت المحادثة كلها، وبقدر ما أمكن لفلورينس معرفته، هناك تفسيران محتملان لذلك، إما أن هيلين كانت تتستّر على جيني، أو أنها في الواقع قتلت جيني، وهذا يعني أن فلورينس كانت تعيش مع قاتلة.

أغلقت الحاسوب المحمول، ولكنّها لم تتحرّك قيد أنملة زيادةً على ذلك، أثقل قلبها خمولٌ ساحقٌ، وتبدّدت الرغبة في مغادرة سيمات التي شعرت بالراحة فيها بصدق سابقًا. لم ترد شيئًا الآن أكثر من أن تنام.

لا تستطيع المغادرة على أي حال، ليس لديها جواز سفر، البطاقة الشخصية الوحيدة التي تملكها هي رخصة قيادة هيلين، ومن الواضح أنّها لا تستطيع أن تكون هيلين بعد الآن، فهي مطلوبة بسبب جريمة قتل. ولكن ليس لديها أي بطاقة تثبت أنّها فلورينس أيضًا، إنّها لا أحد، لا شيء.

كانت متعبة، هذا ما هي عليه.

فركت وجهها بيديها.

اختارت الافتراض بأنّها في النهاية ستقنع أيّا كان قد تحتاج إلى إقناعه بأنّها فلورينس دارو. هناك أشخاص في الوطن تستطيع الاتّصال بهم، وهناك وثائق يمكنهم نبشها. ولكن كيف ستتمكّن من تفسير اختفاء هيلين؟ ومن تفسير كلّ الكذب الذي قالته منذ حادث السيارة؟ ربما لم تقتل شخصًا ما وترمِه في كومة السماد الطبيعي، ولكنّها قتلت شخصًا بالفعل، حتّى ولو كان ذلك حادثًا. كانت مجرمةً أيضًا، وسيجعلها أحدهم تدفع الثمن هنا في المغرب أو

في نيويورك. كانت متأكّدة من ذلك، وهذا ما يميّز فلورينس، دائمًا ما تدفع الثمن.

تساءلت لبرهة إن كانت تستطيع أن تحوّل كل مال هيلين إلى حساب فلورينس دارو قبل أن تستعيد هويّتها الجديدة أو أن تجعل حسابهما مشتركًا. كيف يمكن للمرء فعل ذلك؟ ولكنّهم حينها سيتّهمونها بالسرقة، لا بسرقة الهوية. بالسرقة العادية القديمة، بالسرقة الكبرى.

أخيرًا، نهضت ولكن من أجل أن تدخل غرفة الطعام، وتجلب زجاجة الشراب الأسكتلندي عن الطاولة، عادت إلى غرفة الجلوس، وسكبت القليل منها في كوب الشاي، واستلقت على الأريكة، وارتشفت ببطء. استمرّت الأوراق بالتساقط في الخارج.

في مرحلة ما، دخلت أمينة وسألتها إن كانت ترغب في تناول العشاء، فهزّت فلورينس رأسها رافضة، وعندما استدارت أمينة لترحل صاحت فلورينس: "انتظري! أمينة! هل تعرفين اسمي؟".

"اسمك يا سيّدتي؟"

"نعم، اسمي".

"السيدة ويلكوكس، أليس كذلك؟ إنّه على الأوراق".

قالت فلورينس مع تنهيدة استسلام: "هذا صحيح، هذا هو الاسم على الأوراق، أمينة، هل شعرت في السابق... وكأنّك اقترفت كثيرًا من الأخطاء لدرجة أنّك لن تجدي طريقًا للتراجع عنها مطلقًا؟ وأنّك لست متأكّدة حتّى من أنّك تريدين التراجع عنها حتّى؟".

"التراجع إلى الولايات المتحدة؟".

"لا، لا تهتمّي، لستُ منطقية، أنا آسفة يا أمينة".

قالت المرأة العجوز وهي تربّت على صدرها: "أميرة، اسمي أميرة".

"أميرة؟ اعتقدت أنّه أمينة".

رفعت كتفيها.

قالت فلورينس بينما عادت أميرة إلى المطبخ: "أنا آسفة".

تنهّدت، ما الذي اعتقدت أنّ أميرة ستقدّمه لها؟ حلًّا؟ خلاصًا؟ إذا أرادت أيًّا من هذين الأمرين سيتوجّب عليها إيجاده بنفسها.

سكبت مزيدًا من الشراب الأسكتلندي في كوب الشاي ورشفته ببطء وهي تعرف أنّه سيتوجّب عليها النوم بعد أن ينتهي، وأن تتّصل بدان ماسي عندما تستيقظ. ثمّ عليها أن تبدأ العملية الطويلة التعيسة من أجل أن تصبح فلورينس دارو مجدّدًا، هذا على افتراض أنّها ستتمكّن بطريقة ما من إقناعه بالحقيقة.

جلست على مضض، وفركت عينيها، وأخذت مشروبها إلى المطبخ، وسحبت كرسيًا بالقرب من الهاتف، وطلبت رقمًا مألوفًا.

بدت فيرا مشوّشة عندما أجابت، نظرت فلورينس إلى ساعتها، إنّه منتصف الليل في فلوريدا.

"آسفة لأنني أيقظتك يا أمي".

"فلورينس؟ ما الذي يجري؟ أين أنت؟".

"أنا مسافرة".

"انتظري".

سمعت فلورينس صوت حفيف أغطية السرير وصوت تشغيل المصباح الموضوع إلى جانب سرير أمّها، فأمكنها تخيل الغرفة تمامًا، الشراشف الوردية المطرّزة بالأزهار واللوحات الباهتة للرسام موني على الجدران. عندما تحدّثت فيرا مجدّدًا، بدا صوتها يشبهها أكثر.

"فلورينس؟ هل كل شيء بخير؟ هل تأذيتِ؟".

"أنا بخير".

"حسنًا، لماذا تتّصلين بي في منتصف الليل؟". سمعت فلورينس البرودة في صوت أمّها، عبرت المحيط الأطلسي كلّه ووصلتها، ففاجأها هذا. افترضت أنّ فيرا

ستسقط على ركبتيها مبتهلةً عندما تتواصل معها فلورينس أخيرًا.

"ماذا؟".

"في البداية، تخبريني أنّك لا ترغبين في رؤيتي مطلقًا بعد الآن، ثم توقظيني في الساعة الثانية بعد منتصف الليل، اثبتي على قرار يا عزيزتي".

"لم أقل إنّني لا أريد رؤيتك أبدًا، قلت إنّني سأكون خارج البلاد لعدّة أسابيع، أنت دائمًا تبالغين".

"لقد قلت أبدًا بكلّ تأكيد، لدي الرسالة لأثبت ذلك".

شعرت فلورينس بموجة من الحنق تتصاعد من معدتها، لم تطلب من أمّها أي شيء، ثم لا تستطيع فيرا أن تضع اتّهاماتها جانبًا ولو لدقيقة واحدة في المرّة الوحيدة التي تحتاج فيها فلورينس إلى المساعدة. صفقت فلورينس الهاتف، ورفعت كأسها، ولكنّ يدها كانت ترتعش بقوّة أكبر من أن تسمح لها بأن تشرب.

ذهبت إلى المغسلة، ووضعت كلتي يديها تحت الماء الشديد السخونة، فتسلّل الماء إلى داخل جبيرتها، فبدأ الضماد المبتل يسبّب لها الحكّة. وهاجمت يدها بحدّة بمخالبها، ولم تتوقّف إلا عندما لم تعد تستطيع احتمال الألم.

* * *

فتحت فلورينس عينيها على اتّساعهما. هناك شخص ما يطرق الباب بعنف. جلست ونظرت حولها. كانت مستلقية على الأريكة في غرفة الجلوس والظلام يلفّ المكان. نظرت إلى ساعتها لتجد أنّها قاربت العاشرة مساءً.

صاحت: "أميرة؟".

لم يجب أحد، لابدّ أنّها غادرت إلى منزلها.

مشت على رجلين مرتجفتين إلى الباب وصاحت: "من؟"

"أنا!".

تجهّمت فلورينس: "من؟".

"ميغ!"

تبًا، لقد نسيت أنّها كانت قد دعت الجميع لتناول العشاء ذلك الصباح قبل أن تنزل لتناول فطورها، وبدا ذلك وكأنّه قد حدث منذ عصور. فتحت الباب بضع إنشات، فملأ وجه ميغ الذي يشبه القمر الشقّ، وظهرت عينها الأولى بدايةً ثمّ الثانية.

سألتها ميغ ببهجة: "هل نسيتِ؟".

أومأت فلورينس إليها برأسها وهي تفرك عينيها.

"هل تريدين أن نذهب؟".

"لا، لا بأس، ادخلوا". فتحت الباب على مصراعيه، ووجدت نِك يقف مبتسمًا خلف ميغ، دخل ولفّ ذراعه حول خصرها، ثمّ دخل البقية بعده.

قادتهم فلورينس إلى الفناء الخلفي، فتألّقت النجوم وكأنّها قد غُسلت حديثًا بعد انقضاء العاصفة. كانت ميغ تحمل ستّ علب من الجعة فرفعت واحدة باتجاه فلورينس التي أومأت إليها برأسها وأخذتها.

أرادت ميغ أن تلعب لعبةً تدعى لم يسبق لي أن فعلت، حيث يقول كل شخص بدوره شيئًا لم يسبق له فعله من قبل، وإذا كان أي شخص في المجموعة قد فعله، فيجب عليه أن يشرب. لم تفعل فلورينس أي من تلك الأمور التي تثير السخرية أو تسبّب الإحراج أمام الآخرين.

للمرّة الأولى شعرت باتّساع فارق العمر بينها وبين مجموعة الرعاع هذه، كانت أكبر من نِك بعامين فقط، ولكنها بدأت تشعر حينها بأنها أقرب إلى عمر هيلين من عمرها الحقيقي. من قد يهتمّ بشأن العلاقات المحرجة؟ أكانت تلك هي الأمور التي تثير اهتمامهم؟ أهذا هو المجد بالنسبة إليهم؟

لم تكن لتسمح لنفسها بالغرق في مثل هذه التفاهات حتى لو توجّب عليها العودة إلى كونها فلورينس دارو، كانت لترفض الحياة المتوسّطة، كانت لتعيدها كما لو أنها طبق دجاج غير ناضج، كانت لـ...

نكز نِك مرفقها بلطف قائلًا: "إنه دورك، حبيبتي".

نظر الجميع إليها بترقّب، بدت الوجوه مستعدّة للانفجار من شدّة السعادة.

قالت: "لم يسبق لي أن..." رميت قشرة موز فوق جثة؟ خدّرتُ صديقةً لي؟ انتحلتُ شخصية ربّ عملي؟

وقفت فجأةً وقالت: "تخطّوني وحسب، أنا ذاهبة لإحضار مشروب آخر".

فساد الصمت المطبق، لقد أفسدت متعتهم.

40

كانت فلورينس تعاني من آثار ما بعد الثمالة، فتقلّبت على السرير. غادر نِك منذ ساعات وذهب لركوب الأمواج. نظرت حولها في الغرفة الفارغة، إذ لاتزال كل متعلّقاتها - ومتعلّقات هيلين - موضّبةً في حقائب موضوعةٍ في البهو الأمامي. وقفت فلورينس، ونزلت الدرج متثاقلةً لتسحب أغراض هيلين، وترتدي ملابسها.

ألقت نظرةً خاطفةً على غرفة الجلوس، كانت نظيفةً جدًّا، فقد أنهت أميرة للتوّ تنظيف الفوضى التي خلّفوها ليلة البارحة.

توجد مرآة معلّقة على الحائط إلى جانب الباب الأمامي، فوقفت أمامها ونظرت إلى انعكاس صورتها، إلى تعابيرها الباردة، إلى عينيها الخاليتين من أي تعبير. بدت غريبةً عن نفسها. قالت بصوتٍ مرتفعٍ ثقيل: "فلورينس".

عند ذلك، لاحظت وجود شخصٍ آخر في الغرفة، كانت أميرة تراقبها من باب المطبخ، وقد أجبرت نفسها على الابتسام.

قالت بقدر ما استطاعت من ابتهاج: "صباح الخير".

"صباح الخير، سيّدتي. هل أحضر لك القهوة؟".

"سيكون ذلك رائعًا. شكرًا لكِ".

انتقلت إلى غرفة الجلوس، وفتحت الحاسوب المحمول، حاولت استعادة بعض الطاقة التي شعرت بها البارحة. ذكّرت نفسها أن الأمواج لاتزال تجرف جسد هيلين. لكن تلك الفكرة لم تعد تبعث فيها الشعور نفسه، وحالما قرّرت التوقّف عن أن تكون هيلين، شعرت أنها معفية من كل ذنوبها، كما لو أنه لن يكون هنالك

إثم من دون المكافأة. إلى جانب ذلك، لو أن جسد هيلين قد جرفته الأمواج إلى الشاطئ، فهم على الأقل سيعرفون أن فلورينس لم تقتل جيني.

لا، ذكّرت نفسها. لا، لو أن الأمواج جرفت جسد هيلين لكانوا سيسألون كيف انتهى الأمر بها في المحيط، ولمَ لمْ تُبلّغ عن اختفائها قَطّ.

لقد انتهى أمرها، هذه هي كل الحكاية بما فيها، لقد انتهت فلورينس دارو، وكذلك هيلين ويلكوكس. على الأقل كانت هيلين محظوظةً كفاية لتموت.

جلست على الأريكة، خبّأت رأسها في كومة الوسادات، وصرخت بأعلى ما استطاعت. تمنّت لو أنها لم تأتِ مطلقًا إلى المغرب، لا، بل أكثر من ذلك، تمنّت لو أنها لم تلتقِ هيلين ويلكوكس أبدًا.

عندما نهضت، كان شعرها مشعّثًا، وكانت أميرة تضع الفنجان والصحن بهدوء على الطاولة أمامها.

قالت كما لو أنّ كل شيء طبيعيّ، وأنّها لم تكن شاهدةً على دمارها: "شكرًا لكِ".

"على الرحب والسعة".

شربت فلورينس من القهوة الساخنة القوية التأثير، وشعرت بالروح تعود إليها، ستتابع، ستكتشف حلًّا للأمور.

الخطوة الأولى هي الخروج من المغرب، ولتفعل هذا، تحتاج إلى جواز سفر. بحثت عبر محرّك البحث غوغل عن كيفية تبديل جواز سفر ضائع في بلد أجنبي. يبدو أنّها ستحتاج إلى أن تذهب إمّا إلى السفارة في الرباط أو إلى القنصلية في كزابلانكا. بحثت عن موقعهما، فاكتشفت أن كزابلانكا أقرب، ولكنّها مع ذلك تحتاج إلى أن تقود السيارة إليها لمدة خمس ساعات. ستحتاج أيضًا إلى صورة جديدة لجواز سفرها ونسخة عن جواز سفرها القديم ورخصة القيادة.

حسنًا، ليس لديها أيٌّ من هذه الوثائق. لاحظت أنّها تقضم أظفارها، فأزالتها من فمها، والتقطت بطاقة دان ماسي التي لا تزال في مكانها، فطرقت بها الكأس عدة

مـرات، ثـمّ ذهبـت إلـى المطـبخ وطلبـت الـرقم، بعـد أن نقّلـت خطواتهـا متثاقلـة، فتمايلت بينما كان الهاتف يرنّ.

"معك ماسي".

"مرحبًا سيّد ماسي، أنا فلورينس دارو".

ساد الصمت في الطرف الآخر من الخطّ.

أضافت: "المرأة التي زرتها في منزلها البارحة".

"صحيح، بالطبع، آنسة ويلكوكس، كيف يمكنني مساعدتك؟".

"آنسة دارو".

"صحيح..."

"أريد العودة إلى الولايات المتّحدة، ولكـن لـيس لـدي جـواز سـفر ولا بطاقـة شخصية".

"جواز سفرك معي".

"لا، لديك جواز سفر هيلين".

ساد الصمت مجـدّدًا، وعنـدما عـاود الكـلام كانـت نـبرة صـوته هادئًـا محـاولًا إظهار كم كان ما سيقوله منطقيًا.

"بالطبع، ذكّريني باسمك مرّة أخرى".

"فلورينس، فلـورينس دارو، وُلـدت في ديتونـا بيـتش في فلوريـدا في التاسـع مـن تشرين الثاني عام 1993".

"أليس بحوزتك أي شيء عليه اسمك؟ لا شيء على الإطلاق؟".

"لا ولكن بإمكاني إعطاءك رقم والدتي، ستخبرك. أو انتظـر، هنـاك في الحقيقـة شخص ما هنا في سيمات الآن، صديقة قديمة عرفتني منـذ أن كنـت في السادسـة مـن عمري، يمكنها إخبارك بمن أكون".

"نعم، ولكن تفهمين أنّني لا أستطيع إصـدار وثيقـة حكوميـة قانونيـة بنـاءً علـى ضمان صديقة كإثبات للهويّة، أليس كذلك؟ هل تفهمين هذا؟".

"أعلم ولكن..."

"هل يمكنك الوصول إلى شهادة ميلادك أو بطاقة ضمانك الاجتماعي؟".

"لا". هما في صندوق في خزانتها في منزل هيلين، "ولكنّني أستطيع إخبارك أين تجدهما".

تنهّد: "حسنًا، اسمعي، سأتحدّث إلى بعض الأشخاص في المكتب، وسأرى ما هي الخيارات المتاحة أمامك. ربما يمكن أن توقّع صديقتك تعهّدًا. لست واثقًا من هذا، وبصراحة، لم أواجه مطلقًا موقفًا مثل هذا من قبل، ما هو أفضل رقم يمكنني التواصل معك عبره؟".

قالت له فلورينس الرقم الهاتفي الذي قرأته على ورقة مصفّرة ملصقة على الحائط إلى جانب الهاتف.

"حسنًا، انتظري، سأكلمك مجدّدًا حالما أستطيع".

"متى؟".

مكتبة
t.me/t_pdf

"لاحقًا هذا اليوم".

"حسنًا، شكرا لك".

"وداعًا آنسة..." أوقف نفسه عن قول اسمها. "وداعًا".

أنهت فلورينس المكالمة، وبحثت عن رقم فندق لوتس، حيث قالت آيمي إنّها تُقيم مع ويتني، وطلبت التحدّث مع ويتني كارلسون، كانت الساعة التاسعة والنصف صباحًا، أملت أن تكونا في الغرفة. أملت أن تكونا في سيمات.

"مرحبًا؟"

"ويتني؟ أنا فلورينس".

"فلورينس، أنا سعيدة جدًا لأنّك اتّصلت، أشعر بشعور رهيب بشأن تلك الليلة، لا أعرف ما الذي حدث".

"لا بأس، لا تقلقي بشأنها، اسمعي، لم تُتح لنا الفرصة حقًّا لتبادل الأخبار، لذلك كنت أتساءل كم من الوقت ستبقين في سيمات".

"حتّى الغد فقط".

"ستغادرين غدًا؟".

"نعم، سنستقلّ الحافلة إلى مراكش في الصباح، ثمّ سنستقلّ الطائرة لنعود إلى الولايات المتّحدة قرابة الساعة الثامنة".

"حسنًا، اسمعي، سأتّصل بك بعد قليل، قد أحتاج إلى مساعدتك في شيء ما".

"بالطبع، أنا جاهزة لأي شيء تحتاجين إليه".

"رائع، شكرًا يا ويتني".

"هل كلّ شيء بخير يا فلورينس؟".

"كل شيء بخير، أو سيكون بخير على الأقل". صمتت قليلًا وأضافت: "أنا سعيدة حقًّا لأنّني صادفتك". فكّرت في أنّ احتمال قولها لهذا كانت ضعيفة قبل ثمانٍ وأربعين ساعة فقط.

"وأنا أيضًا".

"هناك شيء آخر، أنا آسفة لأنّني لم أردّ أبدًا على أي من اتّصالاتك أو رسائلك الإلكترونية بعد أن انتقلت إلى نيويورك، كان عليّ الردّ وأنا آسفة لأنّني لم أفعل".

"لا بأس، الناس يتباعدون، أتفهّم هذا".

بعد أن أنهتا المكالمة، لم تعرف فلورينس ما ستفعله بينما تنتظر أن يعاود دان ماسي الاتّصال بها. لمَ هي الأخرى لم يسبق لها أن تعرّضت لمثل هذا الموقف؟ لا تستطيع أن تبقى ولا تستطيع أن ترحل، لا تستطيع أن تثبت أنّها فلورينس ولكنّها لا تستطيع أن تعود هيلين، كانت بلا هوية.

في الحقيقة، هناك حرّية من نوع ما في هذا، فمن دون نفسها، لا يمكن أن يحمّلها أحد المسؤولية. وإن كان لديها كمٌّ قليل من الحرّية متبقٍ في رصيدها، فستستغلّه حتّى آخره.

مجدّدًا، التقطت الهاتف واتّصلت بنِك، فأجاب على الفور.

"ما الأخبار يا حبيبتي؟".

"أمازلت على الشاطئ؟".

"أجل، ولكنّني انتهيت من ركوب الموج".

"تعالَ، فلنثمل الليلة".

41

استلقت فلورينس على الأريكة، ورأسها في حَجر نِك، وقد شغلت زاوية الطاولة التي عليها كيس من المخدّرات وعلبة من رقائق بطاطا برينغلز بطعم البيتزا إطار رؤيتها. الساعة العاشرة مساءً، وضعت أميرة العشاء المؤلّف من الخضار المشوية ولحم العجل المشوي قبل عدّة ساعات، وقد هاجموه كالحيوانات الضارية. كانوا مبعثرين في أرجاء غرفة الجلوس الآن، متخمين وكسولين، نِك يدندن لحنًا بلا إيقاع، وهناك فتاة لا تعرفها تحتضن ليام على الأريكة إلى جانبهما، وميغ تنقر على هاتفها.

أجبرت فلورينس نفسها على النهوض، فاستغلّ نِك الفرصة لينحني إلى الأمام، ويبدأ بلفّ سيجارة على الطاولة. مشت فلورينس إلى الشرفة في الخارج، فارتجفت، فقد أصبح الهواء أبرد بعد العاصفة، ثم استلقت على أحد المقاعد الطويلة، ونظرت إلى السماء.

لم يعاود ماسي الاتّصال تلك الظهيرة، ولكنّ غريتا فعلت أكثر من مرّة، فطلبت من أميرة أن تخبرها بأنّها في الخارج. لم تعرف ما هي القصّة التي ستقولها لغريتا بعد، ولم تكن واعية بما يكفي لتتحدّث إليها، ولكنّها شعرت أخيرًا بتأثير المخدّر والشراب الأسكتلندي، لم تكن مخدّرة بالكامل، إلا أنّها كانت متعبة ومشوشة، فذهبت إلى المطبخ، وأخرجت زجاجة ماء من الثلاجة، وشربت نصفها جرعة واحدة.

عادت عبر الممرّ، فرأت ميغ تفتح الباب الأمامي.

قالت ميغ عندما لاحظت فلورينس: "مرحبًا، دعيني أقدّمك إلى هذه الفتاة، هذه فلورينس، لقد وصلت لتوّها".

فتحت ميغ الباب بضعة إنشات أخرى، فدخلت إلى الممرّ المضاء امرأة شقراء، كانت ترتدي فستانًا باللون الأحمر الكرزيّ وتبتسم ابتسامةً واسعة، مدّت يدها باتجاه فلورينس، وقالت: "مرحبًا، لابدّ من أنّك هيلين".

جمدت فلورينس في مكانها، يبدو أنّه هناك بعض الأحاسيس التي تُسرع مع الزمن، كالغضب والشهوة، ولكنّ الصدمة تولّد لحظة من السكون، تولّد ثقبًا في نسيج الزمن يتجاوز الثواني العابرة، فيميل العقل فيه عن طريقه العصبيّ الذي كان يسلكه من أجل أن يخترق طريقًا جديدًا، لم تقل شيئًا، لم تتمكّن إلا أن تحدّق إليها.

تقف أمامها هيلين ويلكوكس، هيلين ويلكوكس التي توفّيت في حادث سيارة قبل أسبوع.

قالت ميغ: "التقيت فلورينس على الشاطئ اليوم". ثمّ بدأت الروتين المألوف، قائلة لهيلين وهي تشير إلى فلورينس: "هيلين كاتبة".

قالت هيلين رافعةً حاجبها: "هل أنت كذلك فعلًا؟ هذا مبهر!"

وجدت فلورينس نفسها تهزّ رأسها ببلاهة.

"لطالما أردتُ أن أكون كاتبة، ولكنّني لا أتمتّع بالمخيّلة، هل تختلقين الشخصيات من الصفر؟ هل تخترعين حياةً كاملةً؟ هذا يبدو مستحيلًا!" وضحكت هيلين بخفّة.

وجدت فلورينس صوتها أخيرًا: "ما الذي تفعلينه هنا؟".

جعّدت هيلين جبهتها بقلق: "أنا آسفة، قالت ميغ إنّه لا ضير من أن أمرّ بكم، ولكنّ آخر ما أردته هو أن أتطفّل".

نظرت ميغ إلى فلورينس نظرة مرتبكة، ثمّ قالت مؤكّدة: "بالطبع يمكنك البقاء، كلّما زاد العدد زاد المرح".

قالت فلورينس: "اتبعيني إلى المطبخ، سأعدّ لك مشروبًا".

"لا بأس، أنا لا أشرب".

"سأحضر لك الماء إذًا؟" وضعت يدها على زند هيلين لتسحبها.

نظرت هيلين نظرة متسائلة إلى ميغ، فسألت ميغ فلورينس بدورها: "هل أنت بخير؟".

أدركت أنّ هيلين تستمتع بهذا، فقالت: "أنا بخير".

قالت ميغ ممسكةً يد هيلين: "فلنذهب جميعنا إلى غرفة الجلوس، هل أنتما موافقتان؟" فركضت فلورينس خلفهما ككلب مروّض.

قدّمت ميغ هيلين إلى المجموعة على أنّها فلورينس، بالطريقة نفسها التي قدّمت فيها فلورينس قبل أيّامٍ فقط. نظرت فلورينس إلى نِك لترى إن لاحظ الاسم وتذكّر أنّه الاسم نفسه الذي نادتها به إيمي، إلا أنّه أومأ إليها برأسه وقال: "كيف حالك؟" فقط.

جلست فلورينس متصلّبة على الأريكة، بينما أخفت هيلين نفسها في أحضان أريكة أخرى وأشعلت سيجارة، وقد بدت مرتاحةً تمامًا، بدت أكثر سمرةً مما كانت عليه عندما رأتها فلورينس آخر مرة، ولكنّها لم تتغيّر فيما عدا ذلك. لا كدمات، لا جراح، ولا عظام مكسورة.

شعرت فلورينس بنفسها تُسحب مكرهةً إلى دورها القديم، دور الفتاة المتوسّلة الفقيرة، الحذرة، الفتاة التي تحاول مراعاة ما يُغضب هيلين، وفكّرت في أنّه إذا أرادت هيلين أن تلعب هذه اللعبة، فلا بأس، ستلعبها هي الأخرى.

سألتها: "من أين أنت إذًا؟".

قالت هيلين مبتسمة: "من فلوريدا".

"من أين في فلوريدا؟".

"بورت أورنج".

"لم أسمع بها مطلقًا".

"لا يُفاجئني هذا، فهي ليست معروفة".

"لا بأس بهذا، الأماكن المعروفة مبالغ في تقديرها".

ابتسمت لها هيلين متظاهرة بما يشبه البهجة، إلا أن فلورينس رأت شيئًا آخر في عينيها، ربما الدهشة، فشعرت أن نفسها تمتلئ بالسعادة رغمًا عنها.

تابعت فلورينس: "هل مضى على سفرك فترة طويلة؟".

"قرابة الأسبوع".

"أين؟ هنا في المغرب؟".

"تقريبًا، كنت مؤخّرًا في الرباط".

"ما الذي أخذك إلى هناك؟".

"كنت أهتمّ ببعض الأعمال".

"ما هو مجال عملك؟".

"التصنيع".

"ما الذي تصنعينه؟".

"المحرّكات بشكل أساسيّ".

بدأت فلورينس بالضحك، ولم تستطع منع نفسها من ذلك، "المحرّكات، أفترض أنّك تصنعين محرّكات المراكب، أليس كذلك؟".

"محرّكات كلّ ما يسير على الماء".

كان باقي أفراد المجموعة يتابعون حوارهما باهتمام شديد، ويديرون رؤوسهم من واحدة إلى الأخرى كحكّام مباريات التنس.

سألت ميغ ببطء: "هل تعرفان بعضكما؟".

قالت هيلين: "بالطبع لا".

هزّت فلورينس برأسها رفضًا، وابتسامة مرتبكة لا تزال مرسومة على وجهها.

استمرّت الليلة كما تستمرّ كل الليالي خلال الساعات التالية القليلة، أثارت فلورينس وهيلين انتباه المجموعة، وظلّ الجميع يثملون أكثر فأكثر، ولكنّ فلورينس لم تسمح لقطرة أخرى من الكحول بأن تتجاوز شفتيها، ولم تشرب هيلين شيئًا سوى السجائر. كأنّهما تتقدّمان رويدًا نحو مركز الصورة، وتصبحان

أكثر ذكاءً وحدّةً مع كل خطوة، بينما يغيب الآخرون كلّهم في الضبابية.

أخيرًا، حلّ منتصف الليل، وبعد أن تشارك الجميع سيجارة من الحشيش وسقطوا في حفرة ذهول جماعي، وقفت هيلين، وأمسكت بيد فلورينس وسألت: "هلّا ذهبنا؟". وكأنّها تفعل أكثر الأمور اعتياديةً في العالم.

أومأت فلورينس إليها برأسها، وأمسكت هي الأخرى بيد هيلين، فتفاجأت من أنّها ارتجفت بشدّة، وكأنّها تلمس شبحًا.

42

قادتها هيلين إلى الغرفة الأولى أعلى الدرج، الغرفة التي كانت تُقيم فيها في السابق، ولكنّها الآن تفيض بآثار سكن فلورينس فيها.

سألت وهي تنظر حولها: "هل أفهم من هذا أنّك تعتبرين غرفتي غرفتك؟".

خجلت فلورينس، فقد شعرت وكأنها أمسكت بها وهي تجرّب ملابسها الداخلية، وكانت في الواقع ترتدي واحدًا منها فعلًا، فقالت معتذرة: "اعتقدت أنّك مُتِّ".

تناهى إلى مسمعهما صوت ضحكة تنفجر من أفواه من في الطابق السفليّ.

"من الواضح أنّك كنت حزينة جدًا ومكسورة بسبب هذا".

"ما الذي يجري يا هيلين؟".

أمرتها هيلين وهي تشير إلى السرير: "اجلسي".

طاوعتها فلورينس.

قالت هيلين: "كان عليّ أن أذهب إلى الرباط".

"ولكنّك اختفيت فجأةً، واعتقدت أنّك مُتِّ، لماذا لم تتّصلي بي؟".

"لم أستطع إخبارك، هذا يصبّ في مصلحتك".

أطلقت فلورينس زفرةً غاضبة، لم تكن تريد انتظار تفوّه هيلين بالمعلومات بالسرعة التي تراها مناسبة، ولم تعد تريد أن تكون الغبية بعد الآن. سألتها: "هل يتعلّق الأمر بجانيت بيرد؟".

ضاقَت عينا هيلين وقالت: "من أين سمعتِ بهذا الاسم؟".

"أتى البارحة رجل من السفارة إلى هنا، لقد ماتت جانيت بيرد، إنها مدفونة في كومة السّماد الخاصّة بك. ومن الواضح أنهم يعتقدون أنك قتلتِها، لا، بل

للتوضيح، يعتقدون أنني أنا من قتلتها، إذ إنهم يظنّون أنني هيلين ويلكوكس".

سألت هيلين وهي تنقل نظرها في أرجاء الغرفة: "ولِمَ يعتقدون ذلك؟".

"نعم، من الواضح أنك تعرفين أنني كنت أدَّعي أنني أنتِ، هل هذا ما تريدين سماعه؟ لأن ذلك الانتهاك يبدو بسيطًا مقارنةً بما تخطّطين لفعله".

رفعت هيلين حاجبًا من دون أن تقول شيئًا.

"هل قتلتِ جانيت بيرد؟ جيني؟".

"إن الأمر معقّد يا فلورينس".

"إما أن تكوني قاتلةً أو لا".

جلست هيلين على السرير إلى جانب فلورينس، وقالت: "سأخبركِ ما حدث، هل هذا جيّد؟ فقط... أعطيني دقيقةً واحدة". أخرجت علبة سجائرها من جيبها، وأشعلت واحد، فلاحظت فلورينس أن يدها كانت ترتجف قليلًا.

بدأت هيلين الكلام: "خرجت جيني من السجن في وقتٍ سابق هذا العام، ولم نكن على اتّصال ببعضنا، لذا، لم تكن لديّ أدنى فكرة عن خروجها حتى ظهرت على عتبة باب منزلي. حدث ذلك خلال عاصفةٍ ثلجيةٍ عاتية، قرابة الساعة السابعة أو الثامنة مساءً، كنت في ذلك الوقت أقرأ في الطابق السفلي قرب المدفأة، عندما رأيت ضوء المصابيح الأمامية عند مدخل منزلي. لقد عشتِ هناك، وأصبحتِ تعلمين أنه ما مِن أحدٍ يزورني، وأنه من المستحيل أن يكون أحدٌ ما قد انعطف بطريق الخطأ إلى هناك. لذا، صعدتُ إلى الطابق العلوي لأحضر سلاحي".

"هل تملكين سلاحًا؟".

"بالطبع أملك سلاحًا، امرأة ساذجة لأقصى الحدود فقط من ستعيش بمفردها وسط الغابة من دون سلاح. لذا، على أي حال، عدتُ إلى الأسفل ورأيت سيارة أجرة تتوقّف، فتصورّتُ أن أغلب القتلة والمغتصبين لا يستقلّون سيارات الأجرة إلى منازل ضحاياهم، لذا، وضعتُ المسدس من يدي، واتّجهتُ نحو الباب. كانت هي هناك، يا إلهي، في البداية، لم أتمكّن من التعرّف إليها، إذ لطالما كانت جميلةً

يا فلورينس، جميلة. كان جميع شبان هاندسفيل مهووسين بها، والرجال أيضًا، وكان هنالك مدرّس اعتاد التربّص بها مثل حيوانٍ جريح. لكن الشخص الذي رأيته تلك الليلة لا تظهر على ملامحه أي سمة من سمات الجمال، بدت وكأنها مدمنةً على مخدّر الكريستال ميث. كان شعرها طويلًا قذرًا وقد غطّاه الشيب بالكامل، وقد فقدت بعضًا من أسنانها، على الرغم من أننا متقاربتان في السنّ، لكنها بدت وكأنها في الستّين من عمرها".

توقّفت عن الكلام، وصحّحت جملتها: "كنا متقاربتين في السنّ".

"أمسكت بي وعانقتني، ولا يمكنني أن أصف لكِ كم كانت رائحتها كريهةً! كانت مثل... رائحة عَرق القطط، مثل رائحة عرق القطّة المتخمّر. ولكن ماذا كان بإمكاني فعله؟ عانقتها أيضًا، ثم دعوتها للدخول، لقد كانت أقدم صديقةٍ لديّ. أدخلتها إلى المطبخ، وسكبت لنا بعض القهوة، وجلسنا هناك. بدا الوضع غير مريح، فقد رأيتها آخر مرّةٍ عندما كنا في السابعة عشرة من عمرنا. أما في ذلك الوقت، فلم يكن قد بقي لدينا أي شيءٍ مشترك، لا شيء. كانت تعاني من تلك الحركات العصبية كالنقر على كفّيها، كان الجلد المحيط بأظافر يديها قد انكشط، وكأن أحدهم فركه بسطحٍ خشن. أخيرًا، لاحظتُ أنها تنظر إلى شراب البوربن الموضوع فوق الثلاجة، فقدّمت لها القليل منه، ووضعتُ لكل منّا القليل منه في القهوة، وبعدها بدأت الأمور تصبح أسهل بعض الشيء، بدأَت بالكلام. أخبرتني أنني الشيء الوحيد الذي ساعدها على تجاوز فترة السجن، وأنها فهمت لم فعلتُ ما فعلتُه، وأنها سامحتني، إننا شقيقتان – ولطالما كنا كذلك وسنبقى دومًا".

"سامحَتكِ على ماذا؟".

"ماذا؟".

"قلتِ إنها سامحتكِ".

"آه، نعم، ذلك الشيء، لقد سلبتُها حجّة غيابها، سألتني إن كان بإمكاني القول إنّها كانت برفقتي طوال تلك الليلة، وأنا وافقت، لكن والدي حرص على جعلي

أدرك كم كانت تلك فكرةً سيئة، الحمد لله، أعني أنني لم أعرف مخاطر الحنث باليمين، اعتقدت أنّ الكذب على الشرطة كالكذب على المعلّمين. لذلك عدت وقلت الحقيقة، وهي أنّنا كنا معًا في تلك الليلة، ولكنّها غادرت مع إيليس قرابة الساعة الحادية عشرة، وهنا انهارت دعائم قضيتها".

سحبت هيلين الدخان من سيجارتها وتابعت: "كلّما شربت أكثر كانت تصبح أكثر غرابة، أكثر جنونًا تقريبًا. تنقّلت في المطبخ، وبدأت ترفع كل شيء وتسألني عن سعره، تفتح الخزائن وتصفقها، أصبحت غاضبة، ثمّ تغيرت فجأةً، وطالبت بحصّتها من القصّة، واعتبرت أن زجّها في السجن خطأي، وأنّني أصبحت أكثر غنىً مع الوقت بسبب قصّتها".

"هل عرفتْ بشأن الكتاب؟".

"نعم، وجد الكتاب طريقه إلى السجن، وتحدّث الناس بشأنه، وحالما عرفت عمّا يتحدّث أدركت أنّه يتمحور حول حياتها، قالت إنّني سرقتها". حرّكت هيلين عينيها بامتعاض.

"لقد سرقتها في الواقع، أليس كذلك؟".

"كل الكتّاب الجيدين يسرقون، دوستويفسكي وشكسبير والجميع، كما أنّها قصّتنا على كلّ حال، لطالما كانت قصّتنا".

"حسنًا، ما الذي حدث؟".

"أصبحت مجنونة، هذا ما حدث، قالت إنّها تريد المال الذي جنيته من الكتاب، وأنّه مالها. استمرّ كل هذا الصراخ والنحيب لساعات. وفي النهاية، تمكّنت من إقناعها بالنوم في منزل الاستضافة عند الساعة الرابعة بعد منتصف الليل. في اليوم التالي، نمنا لوقت متأخّر، ثمّ أمضينا وقتًا لطيفًا، ذهبنا في نزهة، وتحدّثنا وحضّرت الغداء لنا. ولكنّني بعدها أخبرتها بأنّه عليها أن تعود إلى ميسيسبي، وأنّه من غير الصواب أن تخرق إطلاق سراحها المشروط. حتّى إنّني عرضت عليها أن أساعدها في الوقوف على قدميها، ولكنّها... لا أعرف، هاجمتني".

"ماذا تقصدين بهذا؟".

"أمسكت سكينًا من الحافظة الخشبية الموضوعة على طاولة المطبخ، واندفعت باتجاهي. لم أعرف ما عليّ أن أفعل، سيطرت عليّ الغريزة، أمسكت مزهرية وضربتها بكل ما أُوتيتُ من قوّة. هل سمعتِ بأي شيء أكثر سخافة من هذا؟ إنّه يشبه قصّة من قصص البرامج الكرتونية التي تخاطب الأطفال، وتُبثّ في الصباح. ظننت بسذاجة أنّها ستقف وهي تشعر بالدوار، وعلى عينيها هالات سوداء، وفوق رأسها حلقة من النجوم تدور وتدور. ولكنّها لم تفعل ذلك، بقيت مستلقية هناك فحسب، لقد ماتت".

"يا إلهي!".

لم تقل هيلين شيئًا.

"حسنًا، ما الذي حدث؟".

قالت هيلين: "جزعت، عليك أن تتفهّي هذا، رأيت كل شيء ينكشف، سيعرفون من أنا، وأنّني كتبت الكتاب، يا إلهي، هل يمكنك أن تتخيّلي كيف سينتشر هذا؟ سيكون رهيبًا جدًا، مبتذلًا جدًّا، لم أطق التفكير فيه".

نظرت فلورينس إليها غير مصدّقة: "هيلين! قتلت جيني لتحمي هويّة مود ديكسن؟".

قالت هيلين وعيناها تضيقان: "لا! قتلتها دفاعًا عن النفس، ولكنّني دفنتها لحماية هويّة مود ديكسن، من يكترث بما يحلّ بالجثث؟ لن يشكّل ذلك فارقًا بالنسبة إليها".

تذكّرت فلورينس أنّها فكّرت بالطريقة نفسها بعد أن اعتقدت أنّ هيلين قد توفّيت، قالت هيلين وكأنّها قد قرأت أفكارها: "هل أخبرت أحدًا بموتي للبحث عن جثّتي عندما اعتقدت أنّك قتلتني؟ إنّه الشيء نفسه".

قالت فلورينس من دون اقتناع: "ليس كذلك".

"بالطبع هو كذلك، نحن نشبه بعضنا يا فلورينس".

نظرت فلورينس بعيدًا كي لا تتمكّن هيلين من أن ترى أنّها تبتسم، لم تستطع ألا ترى في المقارنة مديحًا، حتّى في هذه اللحظة.

"على أي حال، فقد حدث كل شيءٍ بسرعة، لم يكن الأمر قرارًا عقلانيًا، لقد كان بسبب دفعة من الأدرينالين وكل ما كنت أفكّر فيه هو أنني لا أستطيع السماح بالعثور على تلك الجثّة في منزلي، لم يكن بمقدوري تحمّل التحقيق، ولم أرد أن أُستجوب. أنا شخصٌ متحفظٌ للغاية، يا فلورينس، أنت تعرفين ذلك".

وجدت فلورينس نفسها تومئ إليها بالموافقة، كما لو كان ذلك سببًا وجيهًا لدفن جثّة.

"حسنًا، لمَ وضعتِها في كومة السماد؟".

"حسنًا، كان ذلك في شهر شباط، في خضمّ عاصفةٍ ثلجية! هل تدركين كم كانت الأرض صلبة؟ بالإضافة إلى ذلك، فإنّ كومة السماد في الواقع تعدّ المكان الأنسب للتخلّص من أية جثّة، ففي فترةٍ أقل من ستّة أشهر ستتلاشى بقرةٌ كاملة بما في ذلك أسنانها، عظامها، وكل شيء".

تذكّرت فلورينس بعض قصص طفولة هيلين من كتابها رقصة الفوكستروت في الميسيسبي، علّمتها والدتها كيف تدقّ عنق دجاجة عندما كانت في السابعة من عمرها.

تابعت هيلين: "بالطبع، في الصباح التالي، أدركتُ الخطأ الهائل الذي ارتكبته، ولكنّني لم أتمكّن من إخبار الشرطة في ذلك الوقت، ماذا أفعل؟ هل أسحبها من كومة السماد، أكنسه عنها، وأعيد وضعها على أرضية المطبخ؟ يصبح ادّعاء الدفاع عن النفس أصعب قليلًا بعد أن تكوني قد دفنتِ الجثّة اللعينة".

لم تقل فلورينس شيئًا، حاولت تخيّل منظر هيلين وهي تجرف نفايات المطبخ، والقذارة، ورقائق الخشب عن جثّة صديقتها القديمة، وبطريقةٍ ما بدا لها هذا وكأنّه لم يحدث فعلًا، وكأن هيلين كانت تروي مجرّد حكاية.

قالت هيلين: "وعندها بدأتُ بالتفكير في الهرب".

"الهرب؟".

"التخلّي عن كوني هيلين ويلكوكس، والابتعاد عن كل ذلك كنت مستعدّة للتغيير على أية حال، لم أكن قادرةً على كتابة أي شيء جديدٍ بالاهتمام منذ مدةٍ طويلة. قرأتِ كتابي الجديد، وتعرفين أنه ليس بجودة رقصة الفوكستروت في الميسيسبي".

ارتجفت فلورينس، وفكّرت في إخبار هيلين أنها قرأت كتاب بول باولز، لكنها لم ترد أن تقاطع القصّة.

"كان التفكير في الهرب في البداية مجرّد تجربةٍ فكريةٍ، لعبةٌ كنت ألعبها مع نفسي، كيف أستطيع الاختفاء؟ كيف سأتمكّن من الحصول على هويّةٍ جديدة؟ إلى أين سأذهب؟ هل سأتمكّن من الاستمرار بنشر أعمالي باسم مود ديكسن؟ كيف سأحصل على الأجر؟ هل ينبغي لي إخبار غريتا؟ استقرّ رأيي على المغرب لعدم وجود معاهدة تسليم المجرمين فيها، بدا المكان هنا جيّدًا للعيش، إنه أفضل من كوريا الشمالية على أي حال، طقسٌ جميل، حضارة جيّدة، طعامٌ شهيّ، والكثير من السيّاح، كما فيه أيضًا قدرٌ كافٍ من الفساد بحيث يمكنني الحصول على اسم مزيّف بسهولة. لكن ذلك كلّه كان مجرّد تكهّنات حتى تلقّيتُ تلك المكالمة".

"من الضابط المسؤول عن إطلاق سراح جيني المشروط؟".

أومأت إليها هيلين، وقالت: "سألتني إن كنت قد تلقّيتُ أخبارًا من جيني، قلتُ لها إنني لم أفعل، وعندها قالت لي إن المثير للانتباه أنها تلقّت بريدًا صوتيًا من جيني، وأن تلك المكالمة كانت من منزلي". هزّت هيلين رأسها، وقالت: "يا إلهي، يا لها من غبية، جيني هي الوحيدة التي قد تتّصل بالضابط المسؤول عن إطلاق سراحها المشروط من خطّ هاتف خارج الولاية".

"والضابط المسؤول عن إطلاق السراح أرسل الشرطي المحلّي؟".

"تعرفين بأمر ذلك أيضًا، أليس كذلك؟ حسنًا، بالطبع تعرفين، فقد كنتِ هناك. نعم، أتى وكان يحسبني آوي هاربةً في منزلي، لكنه لم يكن يحمل مذكّرة تفتيش، لذا

طلبت منه الانصراف، فكانت تلك غلطتي، وأدركت ذلك لاحقًا. لو عاد حاملًا معه مذكّرة لكان بإمكانه تفتيش المكان بأكمله بما في ذلك الفناء الخلفي، وحتى كومة السماد. كان ينبغي أن أتعاون معه، وآخذه في جولةٍ صغيرة في المكان، لكنني لم أفعل. وعندها أدركت أنه سيتوجّب عليّ البدء بوضع حجر الأساس للهروب. في حال عاد مرةً أخرى، أريد أن أكون خارج البلاد، مع هويّةٍ جديدةٍ جاهزة. وإذا عثروا على الجثّة، سأبدأ بتنفيذ الخطّة، وسأترك هيلين ويلكوكس خلفي، وسأصبح شخصًا آخر".

وقفت فلورينس، وسارت باتّجاه النافذة، بينما كانت هيلين تشرح الأمر بلا شغف، بدا الأمر وكأنها تسرد طريقة إعداد اللازانيا، كما لو أن فلورينس حمقاء لعدم فهمها الأمر. ربما كانت حمقاء فعلًا وقتها، لأنها لم تفهم، لم تفهم على الإطلاق، لم تكن الوقائع مترابطةً بشكلٍ مقنع.

استدارت باتّجاه هيلين وقالت: "ولكن لِمَ أحضرتِني إلى هنا؟".

"بصراحة، لأنني كنت خائفة، لم أعرف إن كان بمقدوري تجاوز هذا وحدي".

راقبت فلورينس وجه هيلين، فشعرت بالدفء يتفجّر من داخلها كينبوع، ولكنّها دفنت هذا الشعور، "إنها تفاهات يا هيلين".

أطلقت هيلين ضحكةً خافتة: "حسنًا، نعم، احتجتُ إليكِ للإبلاغ عن اختفائي، لم يكن باستطاعتي الاختفاء من دون ترك أثر. عرفت أنهم سيفترضون أنني هربت، وسيأتون بحثًا عني، لكن إن بلّغتِ عن الحادث، فإن هذا على الأقل سيهدّئ شكوكهم، فكنت بحاجةٍ لأن أجعلكِ تصدّقين أنني متُّ بالفعل. حقًا، كان ذلك من أجل حمايتك، لم أرد أن تكوني ذات صلة بهذه الجريمة، كان جهلك هو حجّة غيابي".

بدأت فلورينس بهزّ رأسها. أخيرًا، أصبحت القطعة المفقودة في مكانها الصحيح.

"هل خطّطتِ لذلك الحادث؟ هيلين، كدتُ أموت!"

"لا يا فلورينس، بالطبع لم أخطّط لحادث السيارة! أقسم لكِ. كانت خطّتي استئجار قارب والذهاب للسباحة بين الأمواج المتلاطمة، وعندها كنت سأختفي من هناك، أما حادث السيّارة فكان مجرّد - حادث. أقسم لك، لكنني وجدتها فرصة مناسبة، واستغللتها، وغادرت".

"ولِمَ عدتِ؟".

"كنت جالسةً في مقهى في مدينة الرباط، وحدثَ أن لمحت في يدِ شخصٍ يجلس على طاولة مجاورة جريدةً تحمل اسمي، هيلين ويلكوكس. طلبتُ منه إخباري ماذا ورد في ذلك المقال، وعندها أدركت ما حدث، أدركت أنك كنت تدّعين أنكِ أنا، أو لا أدري، ربما صدمتِ رأسكِ خلال الحادث واعتقدتِ أنّكِ أنا، ولم يكن لديكِ فكرةٌ عمّا كنتِ تقحمين نفسك فيه، وعلمتُ أن الشرطة قد تأتي بحثًا عنكِ، بسبب جيني، بسبب الفوضى التي خلّفتُها ورائي".

شعرت فلورينس أن ساقيها على وشك الإنهيار، جلست على السرير، وجلست هيلين بجوارها، وبقيتا صامتتين لدقيقة.

أخيرًا، قالت هيلين: "اسمعي، أعلم أن هذا كثيرٌ عليكِ، وأتفهّم شعورك بالغضب، لديكِ كل الحقّ لتكوني غاضبة. لكن رجاءً حاولي أن تتذكّري أنني فعلت كلّ ما بوسعي لأبقيكِ سالمة قدر الإمكان".

لم تسمع فلورينس هيلين تتوسّل بهذا الشكل من قبل.

سألتها فلورينس: "هل عدتِ من أجلي؟".

"بالطبع، فأنا لستُ وحشًا".

لم تكن فلورينس واثقةً من هذا الأمر، ولكن بغض النظر عن ماهية السبب الحقيقي، أدركت أنها امتلكت السُّلطة الكاملة. كان باستطاعتها تسليم هيلين لو أرادت ذلك، بإمكانها الاتّصال بالشرطة الآن. ستودّ أن ترى النظرة على وجهَي كلّ من الضابط رمزي ودان ماسي عندما تقدّم لهما هيلين ويلكوكس الحقيقية. لكن

ماذا بعدها؟ بعد ذلك لن يكون لدى فلورينس خيارٌ سوى العودة إلى الولايات المتّحدة من دون منزل، من دون عمل، ومن دون مال.

وضعت فلورينس رأسها بين يديها.

قالت هيلين: "أنتِ مرهقة، لمَ لا تأخذين قسطًا من الراحة، وبإمكاننا التحدّث أكثر في الصباح".

أومأت فلورينس إليها بالموافقة، كانت مرهقةً بالفعل، بإمكانها الحصول على بعض الوقت لمعالجة هذه المعطيات الجديدة، ولتقرّر ماذا ستفعل ما دامت هيلين تعرف أن قدرها بين يدي فلورينس.

قالت بفتور: "حسنًا، دعيني أُخرج أغراضي من غرفتك".

"لا بأس، ابقي هنا، سأذهب أنا إلى الغرفة في نهاية البهو".

"هل أنتِ متأكّدة؟".

كانت هيلين تقف عند الباب، استدارت باتّجاه فلورينس، وقالت بابتسامةٍ ماكرة: "بالطبع، هل تريدين معرفة ردّ فعلي عند رؤية ذلك المقال في الجريدة في الرباط؟".

"ما كان ردّ فعلك؟".

"فكّرت بأنّك أحسنت عملًا، كنت منبهرة من أنّك نجحت في الأمر، أدركت أنّ هذه ليست الاستجابة المتوقّعة لمعرفة أنّ مساعدتي قد سرقت هويّتي، ولكن كما تعلمين، لم تلقَ عقلية القطيع أيّ قبول عندي من قبل".

ابتسمت فلورينس: "تعلّمت من الأفضل".

"حسنًا، لا أستطيع أن أنكر هذا".

"حتّى إنّني التقيت بصديقة كبرت معها، وظلّت تناديني بفلورينس، هلعت في البداية، ولكنّني استطعت لاحقًا أن أتعامل مع الموقف".

"حقًّا؟".

"وقلت للشابّ الذي كنت أواعده أنّني كرهت اسمي في أثناء نشأتي، لذلك قرّرت تغييره عندما صرت في الجامعة".

رفعت هيلين حاجبيها: "هل صار لهيلين ويلكوكس حبيب في أثناء غيابي؟ من هو؟".

"نِك، الشابّ صاحب الجدائل".

كشّرت هيلين: "أفهم من هذا أنّني لا أزال أحتاج إلى أن أعلمك بعض الأمور حول ذوقك في الرجال".

ضحكت فلورينس: "إنّه لطيف".

"كلمة لطيف هي مجرّد طريقة مهذّبة لقول بليد".

أضافت هيلين بنبرة ألطف: "اسمعي، لنضع المزاح جانبًا، لقد قدّمت لك الكثير لتفكّري فيه، وسأتفهّم وضعك إن كنت تشعرين بالارتباك، تذكّري فقط أنّنا في الجبهة ذاتها هنا. لا تزال خطّتي أن أختفي، ولكنّني سأفعل ذلك بطريقة تتركك سالمة، وسأعوّضك عمّا فاتك خيرًا، هل تفهمين؟".

أومأت إليها فلورينس: "أفهم".

هزّت هيلين برأسها مؤكّدة: "أنت فتاة جيّدة". ثمّ انزلقت خارجة من الباب، وأغلقته خلفها فأحدث صوت صرير خفيف.

* * *

ظلّت فلورينس تغطّ في النوم المتقطّع وتستيقظ منه، وظلّت الموسيقى في الأسفل تقلق مضجعها، ثمّ تذكّرت أنّ هيلين عادت، وبدأت دوّامة من الأسئلة تحوم في عقلها، أسئلة تمنّت لو أنها طرحتها، ولكنّها لم تفعل.

شعرت في لحظة ما بوجود كيان في الغرفة، جلست فوجدت هيلين واقفة على بعد عدّة أقدام منها، تراقبها، ونور القمر يضيء نصف جسدها.

"هيلين؟ هل أنت بخير؟".

"لم أستطع النوم، اعتقدت أنّك قد تكونين مستيقظة، ولكن لا تقلقي، إنّ الوقت متأخّر".

"لا بأس"، رفعت نفسها أكثر، "تعالي واجلسي".

"لا، عودي إلى النوم"، ثمّ غادرت الغرفة.

بعد دقائق، لم تكن فلورينس متأكّدة إن كان هذا حلمًا، ثمّ استيقظت مجدّدًا، لا يزال المكان مظلمًا، التوتّر يقطع الأنفاس، كما يهتزّ وتر الكمان الذي نقر لتوّه.

وضعت قدميها على الأرض الباردة، ومشت في الرواق، كان المكان هادئًا ولم يكن هناك من صوت سوى صوت خرير المياه في نافورة الحديقة الخلفية في الأسفل.

ذهبت إلى الطابق السفلي، كانت غرفة الجلوس في حالة فوضى، ولكن لم يكن أحد فيها، لابدّ من أنّ ميغ والآخرين قد غادروا.

تناهى إلى سمعها صوت ضوضاء من الحديقة، فتحت الباب الفرنسي في الجهة الخلفية من المنزل، ورأت هيلين تقف تحت السماء القاتمة، كانت تقف بالقرب من المسبح.

"هيلين؟".

قفزت هيلين واستدارت ويدها على قلبها: "فلورينس! لقد أخفتني".

"ما الذي تفعلينه؟".

"لم أستطع النوم، أصبح الجوّ هادئًا هنا بعد أن خفّت الحرارة".

"هل أنت بخير؟".

"لقد مرّت عليّ أيام طويلة، بل أسابيع، بل أشهر طويلة".

"هل ترغبين في بعض الصحبة؟".

"لا، عودي إلى فراشك، وسأخلد أنا إلى النوم قريبًا".

"هل أنت متأكّدة؟".

"أنا متأكّدة، ليلة سعيدة".

عادت فلورينس إلى الطابق العلوي، ولكنّها لم تستطع النوم، فالتقطت كتابها، وبعد نصف ساعة سمعت وقع خطوات هيلين على الدرج، فتوقفت لبرهة أمام غرفة فلورينس، ثمّ تابعت المشي نحو نهاية الرواق، وأغلقت باب غرفتها بهدوء.

43

نزلت فلورينس إلى الطابق السفلي بعد الفجر بقليل، لم تستطع النوم بعد أن وجدت هيلين بالقرب من المسبح، اعتقدت أنّ ذلك قد حصل قرابة الرابعة بعد منتصف الليل.

بدأت أميرة الحديث عندما دخلت فلورينس إلى المطبخ.

قالت: "لقد استيقظت باكرًا".

"لم أستطع النوم، هل جهّزت القهوة؟".

"أنا أُجهّزها الآن".

تساءلت فلورينس في أي ساعة تصل أميرة في الصباح، فغالبًا ما تكون هنا بالفعل عندما تنزل.

بعد دقائق، استقرّت فلورينس على الشرفة في الخارج مع كوب من القهوة وقطعة خبز محلّى، كان الضوء ينير السماء شيئًا فشيئًا، وأشجار النخيل تسطّر حدودها بسكون.

فكّرت فلورينس في الأمر المريب الذي أبقاها مستيقظة لفترة أطول مقارنة بالأمور الأخرى، لأنه كان الأمر الوحيد الذي تستطيع إزالة ريبته بخلاف الأسئلة الأخرى التي لا يعرف أجوبتها سوى هيلين.

أيجب عليها أن تُخبر عن هيلين؟

فصّلت السؤال، وفكّرت في أجزائه. بالطبع عليها فعل ذلك، فعلى المرء أن يخبر الشرطة عن المجرمين في المجتمعات الحضارية، هذا ببساطة ما يحصل، بل إنّها قد تُتّهم بالتواطؤ معها إن لم تفعل. ولكن منذ متى تعيش في مجتمع حضاري؟ هل عاشت فيه خلال حياتها كلّها؟

كانت هيلين هاربة، واحتاجت إلى مساعدة فلورينس، وقد خاطرت في الواقع بحياتها، وعادت من أجلها.

بالإضافة إلى ذلك، لم تحبّ فكرة وجود هيلين في السجن، يشبه الأمر وضع طير في قفص، وهذا هدر لطاقاتها.

تذكّرت أنّ هيلين قالت إنّها أرادت الاختفاء بطريقة تترك فلورينس سالمة، وأنّها ستعوضها، فتساءلت فلورينس عما يعنيه هذا بشكل عملي، وافترضت أنّها في موقع يخوّلها تحديد ثمن هذا.

"أنت محروقة بفعل الشمس".

انتفضت فلورينس، كانت هيلين تقف عند الباب.

وضعت فلورينس يديها على وجهها.

"أنت محمرّة بالكامل، لم ألحظ هذا الليلة الفائتة، يجب أن تعتني بنفسك أكثر، هناك واقٍ من أشعّة الشمس في حقيبة مستحضرات الحمام"، جلست هيلين، "هل نمتِ؟".

"لا، وأنت؟".

"نمت قليلًا، ولكنّني بخير، القليل من القهوة ستعالجني".

جاءت أميرة إلى الشرفة تحمل ركوة القهوة في الوقت المناسب، حيّت هيلين بهدوء، وكأنّها توقّعت دائمًا عودتها. وربما انتظرت عودتها بالفعل.

عندما عادت إلى المنزل، سألت هيلين: "بماذا أخبرت أمينة؟".

رفعت فلورينس كتفيها قائلةً: "لم أقل لها شيئًا في الحقيقة، قلت إنّك في مراكش". أدركت كم كان من الغريب عدم شرح سبب إصاباتها، وسبب عودتها حافية في سيارة الشرطة، فقالت بسبب شحّة التفسيرات: "اسمها أميرة".

سألت هيلين بلا اهتمام وهي تأخذ قطعة كرواسان وتدهن العسل فوقها: "حقًّا؟ اسمعي، يجب أن أذهب إلى البلدة هذا الصباح، سنتحدّث عن الخطوات القادمة عندما أعود".

"ما الذي ستفعلينه في البلدة؟".

"من الأفضل ألا تعرفي".

"لم يعد لدينا سيارة".

تناولت هيلين رشفة من القهوة وقالت: "بل لديّ واحدة، بالمناسبة ما اسم ذلك الرجل من السفارة؟".

"اسمه دان، بطاقته على الطاولة في غرفة الجلوس، لماذا؟".

"لديّ خطّة، سأهتمّ ببعض التفاصيل ثمّ سأخبرك بكل شيء". شربت المتبقي من قهوتها دفعة واحدة ووقفت.

"ستغادرين الآن". لم تكن الساعة قد بلغت السابعة صباحًا.

"لا تؤجّل عمل اليوم إلى الغد".

راقبت فلورينس هيلين تختفي في المنزل المظلم لتجهّز نفسها.

وبعد نصف ساعة، غادرت هيلين وبقيت فلورينس وحيدة مجدّدًا.

رنّ الهاتف عند الساعة الثامنة، استمعت إليه بانتباه، ردّت أميرة، ومدّت رأسها بعد دقيقة إلى الشرفة وقالت: "إنّها السيّدة غريتا مجدّدًا يا سيّدتي".

أومأت فلورينس إليها برأسها مع تكشيرة ووقفت.

قالت عندما وضعت الهاتف على أذنها: "مرحبًا، غريتا".

"فلورينس، ما الذي يحصل؟ أحاول الوصول إليك منذ أكثر من أربع وعشرين ساعة".

نظرت فلورينس إلى ساعتها: "كم الساعة عندك؟".

"فلورينس، أنا هنا، أنا في مراكش".

"ماذا؟".

"أنا هنا منذ ظهيرة البارحة".

"أين؟".

"في فندق لا مامونيا"، عرفت فلورينس اسم الفندق من البحث الذي أجرته

قبل أن تحجز لرحلتهما، تكلّف الغرفة فيه خمسمئة دولار لليلة، هل كان ذلك منذ أسبوعين فقط؟

"اسمعي، أين أنت؟ لا أعرف إلى أين يجب أن أذهب لألقاك".

"سأغادر مكاني، سآتي لأقابلك".

"ماذا عن هيلين؟".

"أخبرتك أنّ هيلين رحلت، لم تعد هنا". حالما قالت الكذبة أدركت أنّها لن تُسلّم هيلين للشرطة، سيكون ولاؤها دائمًا للدخلاء الذين انتسبوا إليّ، لا للموظّفين الملتزمين بالقواعد مثل الضابط رمزي ودان ماسي، ولا حتّى لغريتا.

"هل تعتقدين أنّها عادت إلى مراكش؟".

قالت فلورينس بحزم: "نعم، رحلة عودتنا يوم الأربعاء، ليس لديّ أي سبب يمنعني من التفكير في أنّها لن تعود".

"حسنًا، فلنلتقِ هنا إذًا، هل ستغادرين الليلة؟".

"بعد أن أنتهي من إنجاز بعض الأمور".

"حسنًا، فلنتّفق على أن نتناول شرابًا في فندقي الليلة، هناك حانة جميلة خلف الردهة، سأكون هناك عند الساعة السادسة".

"حسنًا، أراك حينها".

"اتّصلي بهاتفي المحمول إن طرأ أيّ تغيير في الخطّة".

أغلقت فلورينس السمّاعة، وتساءلت إن كان عليها الذهاب للقاء غريتا فعلًا، فماذا ستخبرها؟

قرّرت أن هيلين ستعرف ما يجب فعله، وسيكون لديها خطّة، لطالما كان لديها خطّة.

44

تصاعد بعد نصف ساعة صوت هدير عال من محرّك دراجة، ثمّ اختفى فجأة. نظرت فلورينس من النافذة، فوجدت ميغ تترجّل عن دراجتها في موقف السيارة، فذهبت فلورينس لتفتح الباب الأمامي.

سألت ميغ: "مرحبًا، هل نِك هنا؟".

"لا، لماذا؟".

"هل سمعت شيئًا عنه؟".

"لا، ما الذي يجري؟".

"كان يُفترض به أن يلاقي ليام وجي لركوب الأمواج هذا الصباح، قبل ساعتين، ولكن لم يتمكّن أحد منا من التواصل معه، ولم أجده في منزلهم أيضًا".

"ألم يعد معهم البارحة؟".

"لا، قالوا إنّه بقي في منزلك". بدت ميغ غير مرتاحة. "هل كان يتحدّث مع فلورينس".

ابتسمت فلورينس: "لا بأس في هذا، يُسمح له بالتحدّث إلى الفتيات الأخريات".

"إن سمعت خبراً عنه، هلّا أخبرت أحدًا منّا؟".

أومأت إليها فلورينس برأسها.

استقرّت بعدها على أحد الكراسي الطويلة في الخارج، كان هناك تقلّب مرتبك في معدتها لم تستطع تجاهله أكثر من ذلك، أخذت القهوة مفعولها، وبدأ

وابل من الأسئلة التي لم تستطع طرحها البارحة بقصف صفاء ذهنها اللجوج.

كيف تمكّنت هيلين من السباحة بعد خروجها من السيارة الغارقة؟ هل حاولت إنقاذ فلورينس؟ أين كدماتها وعظامها المكسورة؟ ولماذا وظّفتها هيلين لتطبع لها صفحات من رواية منشورة؟

وقفت بغتةً، ثم ذهبت إلى غرفة تناول الطعام حيث تركت حاسوبها المحمول، بحثت: "نسيتُ كلمة سرّ حاسوبي المحمول".

لماذا لم تفكّر في هذا من قبل؟ لا يمكن أن تكون عملية إعادة تعيين كلمة السرّ أبسط من ذلك.

ركضت إلى غرفتها في الطابق العلوي، فصعدت كل درجتين معًا، فتحت حاسوب هيلين، فكانت بطاريته قد فرغت من الطاقة، وضعت قابس شاحنه في المقبس الكهربائي، وضغطت زر التشغيل بينما استمرّت في الضغط على زرّ كوماند، فأخذها هذا إلى وضع الاسترجاع حيث كلّ ما توجّب عليها فعله هو كتابة: أعد تعيين كلمة السر، فجعلت الكلمة الجديدة زودلز، وهكذا، ملأ سطح المكتب الشاشة، لم يستغرق الأمر سوى دقيقتين.

اختفت حماسة فلورينس سريعًا، فليس هناك ملفّات أو مجلّدات على سطح المكتب، كما كان مجلّد الوثائق وسلّة المحذوفات فارغين أيضًا، ففتحت متصفّح الإنترنت وكان تاريخ البحث محذوفًا أيضًا.

طرقت فلورينس بأصابعها بلطف على لوحة المفاتيح، ثمّ بحثت عن: كيفية استرجاع الملفّات المحذوفة، كانت المواقع الأولى الأكثر زيارةً تعود إلى إعلانات لبرامج تدّعي أنّها تسترجع الملفات المحذوفة، فحمّلت البرنامج الأول لقاء 1.99 دولارًا وراقبته وهو يبحث في القرص الصلب ويُعيد أخيرًا مجلّدًا اسمه الكتاب الثاني. فسحبته فلورينس إلى سطح المكتب وفتحته، فوجدت داخله عدة وثائق تبدأ أسماؤها من المسوّدة 1 إلى المسوّدة 4، فتحت أحدثها، فلم تكن رواية بول باولز التي كانت تكتبها لأسابيع، لم تقرأ هذه الكلمات من قبل.

ألقت ليليان نظرةً خاطفةً على إيريس، كانت قد شحبت وسط الحرارة بينما تراقب الصيّاد يضرب الأخطبوط حتّى الموت. نظرت ليليان بعيدًا إلى الأفق، عرفت أنّ عدم منفعة إيريس تكمن هنا بالضبط، في سذاجتها، ولكنّها وجدت ذلك بغيضًا مع ذلك، يُشعرها الضعف بالاشمئزاز كما تصوّرت أنّ العنف والأخلاق السيئة تُخيف الآخرين، إنّها معزولة بسبب قوّتها.

توقّفت فلورينس عن القراءة، وأدركت أنّها كانت تحبس أنفاسها فأفرجت عنها بقوّة، نزلت إلى آخر الملفّ.

وضعت ليليان ستّ حبات من عقار كلونوبين في جيب فستانها، تخيّلت أنّ هذا سيكون كافيًا، فقد أخبرها الطبيب أن تأخذ نصف واحدة فقط من أجل الرحلة.

أعادت التحقّق من الطريق إلى المطعم على هاتفها، شارع بدر هو الطريق الوحيد للذهاب إليه، أو للعودة منه.

أغلقت فلورينس الحاسوب المحمول بعنف، وأجبرت نفسها على التنفس بعمق عدّة مرات، ثمّ وقفت ومشت إلى الحمام ورجلاها ترتجفان، ثبّتت نفسها في الحمام للحظة ولكن لم يحصل شيء. انتقلت إلى المغسلة، وفتحت صنبور المياه الساخنة لبرهة، وحالما شعرت باحتراق جلدها تباطأت أنفاسها، شاهدت نفسها في المرآة، عندما شعرت أنّها أكثر ثباتًا، أغلقت الصنبور، وعادت إلى الحاسوب المحمول. أغلقت الملفّ من دون أن تقرأ أكثر منه، وبحثت عن رقم قسم شرطة كيرو في نيويورك.

استمعت إلى الهاتف يرنّ عدّة مرّات في المطبخ في الأسفل قبل أن يردّ أحدهم.

"معك قسم شرطة كيرو".

"مرحبًا، هل يمكنني التحدّث مع المحقّق ليدوسكي من فضلك؟".

حُوّلت إلى وضع الانتظار، ثم كلّمها صوت أخر: "مرحبًا؟"

"المحقّق ليدوسكي؟".

"من المتكلّم؟".

"أنا فلورينس دارو، مساعدة هيلين ويلكوكس".

صمت: "أتمنّى أن يكون الهدف من اتّصالك أن تخبريني على أي رحلة ستعود".

"تريد أن تعرف أولًا إن كانت مشتبهًا بها في قضية جانيت بيرد".

شهق: "تريد أن تعرف أولًا إن كانت مشتبهًا به في قضية جانيت بيرد؟ إنّها ليست مجرّد مشتبه به، إنّها المشتبه به الوحيد، إنّها القاتلة".

"وهل قتلت جانيت بيرد بكلّ تأكيد؟ أليس من الممكن أن يكون قتلها دفاعًا عن النفس؟".

"أربع طلقات في مؤخّرة رأسها؟ أجل، أفترض أنّها جريمة قتل، إنّها جريمة مُنكَرة".

أغلقت فلورينس السمّاعة، وأمسكت بأقرب كرسي وجذبتها نحوها.

سمعت هيلين تقول: "لذلك ركضت لأجلب بندقيتي من الطابق العلوي..."

حاولت فلورينس تذكّر كل شيء قالته هيلين في الليلة السابقة، هل هناك أكاذيب أخرى؟ هل كلّ ما قالته أكاذيب؟ يبدو أنّ هذا الافتراض السليم.

تذكّرت فجأة إيجاد هيلين واقفة بالقرب من المسبح في منتصف الليل، لا، لا. هزّت رأسها بعنف لطرد الفكرة البشعة التي استقرّت فيه.

ولكنّها هبّت واقفةً مع ذلك.

أسرعت إلى الخارج نحو حافّة المسبح الذي تغطّيه الأوساخ، حدّقت إلى أعماقه السوداء المخضرّة، فلم تتمكّن من رؤية شيء. أمسكت حجرًا من أصيص الأزهار ورمته فيه، فمزّق حفرة صغيرة على سطح القذارة المتشكّلة فوق الماء، وسرعان ما هدأ السطح وسُدّت الحفرة، ولم يعد هناك أثر للحجر.

ألقت فلورينس نظرة سريعة على المنزل في الخلف، وبدأت برفع طرفي بنطالها القطني، ولكنهما لم يثبتا، فخلعته أخيرًا.

"هل ستسبحين؟".

انتفضت فلورينس، ودارت حول نفسها، كانت أميرة تقف على الشرفة حاملةً وعاء ريّ الأزهار.

أومأت إليها فلورينس برأسها، وقالت ببهجة أجبرت نفسها عليها: "أعتقد أنّني سأفعل".

"سأجلب لك منشفةً".

"شكرًا لك".

نزلت الدرجة الأولى بحذر شديد مع تكشيرة، كانت المياه أبرد مما توقّعت، وكانت الطحالب على السطح لزجة وزلقة، تقفز فوقها دزينات من الحشرات ذات الأرجل الطويلة.

نزلت بقية الدرجات وأسنانها تصطكّ من البرد، ثمّ تجوّلت في المياه الضحلة التي تصل إلى خصرها، ولم تجد شيئًا.

تقدّمت أكثر وهي تركل المساحة الواسعة بقدميها، فمسحت المسبح بكامله تقريبًا، وبدأت تشعر بأنّها سخيفة.

وفجأة شعرت بشيء ما يرتطم برجلها، هناك شيء ما، ما هو؟

حرّكت قدمها حوله، كان من الصعب عليها البقاء في مكان واحد والمياه تصل إلى إبطيها، ها هو ذا، إنّها تشعر بهذا الشيء مجدّدًا.

أخذت نفسًا عميقًا، وغطست تحت الماء، فتحت عينيها ولكنّها لم تتمكّن من رؤية أي شيء، لا ضوء يخترق السُخام الأخضر، مدّت يديها أمامها فلمستا شيئًا ليّنًا، ربما قماش، تحسّسته بيديها، فتبيّنت أسنانًا، أنفًا، حركته فشعرت بخصلة شعر مجدولة بيدها.

ناضلت فلورينس لتصل إلى القسم الضحل من المسبح، وهي تخبط الماء بعنف، قالت مرارًا وتكرارًا: "اللعنة". هناك طحالب في فمها، هناك طحالب تتدلّى من شعرها ورموش عينيها، "اللعنة! اللعنة! اللعنة!"

خرجت من المسبح، وأمسكت المنشفة التي تركتها لها أميرة.

"اللعنة".

لفّت المنشفة حولها، وركضت إلى غرفة الجلوس في الداخل، فانزلقت قدماها الرطبتان على الأرض المبلّطة، وكان عليها أن تتمسّك بالجدار لتثبت نفسها. أين هي؟ أين بطاقة دان ماسي؟ ليست على الطاولة، تحقّقت من أسفل الطاولة، من أسفل الكراسي، لقد اختفت.

"اللعنة".

أخذت الحاسوب المحمول من غرفة الطعام، وبحثت عن رقم السفارة في الرباط، حملته إلى المطبخ متجاوزة أميرة مجدّدًا واتّصلت بالرقم.

"معك ماسي".

قالت فلورينس بصوت خائف متهدّج: "لقد قتلته، لقد قتلته".

"ماذا؟ من معي؟".

"أنا فلورينس دارو".

"كنت أحاول التواصل معك".

"عادت هيلين، هيلين الحقيقية، كانت هنا، قتلت صديقي، قتلت نِك، أرجوك، عليك بمساعدتي".

"اهدأي، اهدأي، أعيدي ما قلته مجدّدًا ببطء".

تنفّست فلورينس: "عادت هيلين ليلة أمس، مديرتي، هيلين ويلكوكس، تلك التي لديك جواز سفرها، وقد قتلت شخصًا، قتلت نِك". انقطع صوت فلورينس، تذكّرته مرتديًا العباءة والعمامة في السوق وهو يبتسم خجلًا. كان في الرابعة والعشرين من عمره وحسب ماذا فعلت؟ لم تعرف فلورينس ما إن كانت تطرح هذا السؤال على نفسها أم على هيلين.

"ما اسم نِك الأخير؟".

"نِك... نِك..." أدركت أنّها لا تعرف اسم عائلته. "إنّه في المسبح".

"آنسة ويلكوكس، أريد منك أن تنصتي إليّ، سأمر بمنزلك، ولكنّ هذا سيستغرق مني عدّة ساعات، سأتّصل أيضًا بالضابط رمزي لأرى ما إن كان بإمكانه الوصول أسرع، ولكنّني أريدك أن تعرفي أنّني تحدّثت مع فلورينس سابقًا هذا اليوم".

"ماذا؟".

"أخبرتني القليل عمّا يحصل".

"ماذا تقصد؟".

"قالت إنّك كنت تفكّرين في بعض الأفكار المجنونة، كالانتحار والفرار من القانون، وقالت إنّك كنت تحتسين الكحول كثيرًا، وإنك كنت تجلبين بعض المخدّرات غير القانونية، حتّى إنّها قالت إنّك عرضت عليها عشرة آلاف دولار لقاء جواز سفرها".

"لا، تلك هي هيلين، أخذت بطاقتك، لقد أخذتها".

"نحنا جميعًا هنا لمساعدتك، نحنا جميعًا معك، فلنهدأ للحظة، سأغادر مكتبي الآن وسيستغرق وصولي خمس ساعات، سأتّصل برمزي حالما أُنهي المكالمة، وإذا استطعت التواصل معه، فسيتمكّن من الوصول إليك في غضون عشرين أو خمسٍ وعشرين دقيقة. وسأكون عندك قريبًا أيضًا، ابقي مكانك فحسب، لا تفعلي شيئًا متسرّعًا".

"حسنًا". أطلقت فلورينس تنهيدة ارتياح: "أسرع أرجوك".

انحسر الأدرينالين من جسدها كما تنحسر أمواج البحر، بدا أن العالم يبطئ وتيرته، رأت نفسها كما تراها أميرة، تقف في بقعة من الماء الوسخ، بلا بنطال، تضمّ الحاسوب المحمول إلى صدرها، وشريط شاحنه يتدلّى على الأرض.

قالت لأميرة: "أنا آسفة، أنا آسفة".

ثمّ صعدت إلى الطابق العلوي، يجب أن تفكّر، يجب أن تستحمّ.

دخلت حمّام غرفتها للمرة الأولى منذ الحادث، وأقفلت الباب خلفها، تركت الماء يجري حتّى أصبح حارًّا جدًا، ثم وقفت تحته، لم تتكبّد عناء رفع جبيرتها بعيدًا

هذه المرة فقد كانت مبتلةً بالفعل بسبب المسبح.

سيأتي رمزي، وسيأتي ماسي، ستجعلهما يصدّقانها في النهاية، يمكن أن توقّع ويتني تعهّدًا، ويمكن أن تجلب أمّها إلى هنا، لا يمكن أن يحبسوها بصفتها هيلين ويلكوكس، كل ما تحتاج إليه هو الصبر والهدوء.

خرجت من تحت الدوش، وكانت تجفّف نفسها عندما سمعت طرقًا لطيفًا على الباب.

قالت هيلين بهدوء: "فلورينس؟".

تجمّدت فلورينس في مكانها: "دقيقة من فضلك".

"هل كل شيء بخير عندك؟".

مكتبة
t.me/t_pdf

"نعم، كل شيء بخير".

"وضعت أمينة الغداء، ارتدي ملابسك وانزلي لتأكلي".

"حسنًا، أمهليني دقيقةً".

استمعت فلورينس إلى صوت هيلين تبتعد، فنشّفت وجهها بالمنشفة بقوّة، وارتدت ملابسها، ونظرت من نافذة الغرفة التي تواجه مرأب السيارات، لا أثر لرمزي بعد. لم تكن متأكّدة من أنّ ماسي تواصل معه حتّى، ليس بإمكانها الاختباء في الحمام طيلة اليوم، لذلك ذهبت إلى الطابق السفلي.

سمعت هيلين تتحدّث مع أميرة على الشرفة، كانت حقيبة هيلين موضوعة على الطاولة عند الباب الأمامي، رمقت فلورينس الشرفة من الباب نظرة سريعة، وتوجّهت بسرعة إلى الطاولة، فوجدت في داخلها جواز سفر أميركي. سحبته وفتحته.

كان جواز سفرها، بالطبع هو كذلك، ها هو اسمها الكامل، فلورينس جوان دارو، ها هو تاريخ ميلادها كما رأته يُسجّل رسميًا مرّات لا تُحصى في حياتها، ولكنّها وجدت بجانبه صورة هيلين ويلكوكس.

وضعت الجواز في جيبها الخلفي.

كيف فعلت هيلين هذا؟ هل هذا ما كانت تفعله في الرباط؟ هذا كل ما احتاجت إليه بما أنّها تمتلك جواز سفر فلورينس ورخصة قيادتها، هذا كل ما هي بحاجة إليه، بالإضافة إلى صور جديدة.

في الخارج، كانت هيلين جالسةً في الظلّ إلى الطاولة التي وضعت عليها أميرة وجبة الغداء، فقطفت حبّة عنب من عنقودها، وسحقتها بأسنانها بمرح.

"هل كان حمّامكِ منعشًا؟".

"نعم، شكرًا، كيف كانت البلدة؟".

"جيّدة. التقيتُ صدفةً ببعض أصدقائك، ميغ وذلك الشابّ نِك، على ما أعتقد".

"آه، جيّد". أين هو رمزي؟

جلست فلورينس، ورفعت كأس العصير إلى فمها، وعندها أدركت أن هذه الكأس كانت موضوعةً على الطاولة في أثناء وجود هيلين وحدها وقبل وصولها، فادّعت أنها أخذت رشفة عصير، وأعادت الكأس إلى مكانها على الطاولة، فشعرَت بالغثيان، لم تستطع أن تأكل، ولاحظت أن يدها كانت ترتعش فأخفتها أسفل الطاولة.

قالت هيلين: "تبدين شاحبة".

"إنني أعاني من آثار ما بعد الثمالة".

راقبت فلورينس هيلين وهي تدهن قطعةً من الخبز بالزبدة وتأكلها، فسحبت شفتيها إلى الخلف بتجهّم مع كل قضمة كي لا يتلطخ أحمر شفاهها. قاتلة، كانت تتناول الغداء مع قاتلة، لقد قتلتْ شخصين، جيني ونِك، وربما إيليس ويلماوث أيضًا - الرجل الذي أمضت جيني خمسة عشر عامًا في السجن بسبب اتّهامها بقتله. ما احتمال أن تكبر فتاتان صغيرتان، صديقتان مقرّبتان، وتصبحا قاتلتين، أو أن تكون إحداهما مريضةً نفسيًا، وساديةً كفاية لتتّهم الأخرى بجريمة ارتكبتها هي؟ بالتأكيد من لا يملك تحفّظاتٍ حيال انتزاع حياة شخصٍ ما، لن يكون لديه أي

إحساسٍ بتأنيب الضمير حيال إرسال شخصٍ آخر إلى السجن، حتى ولو كان ذلك الشخص أقرب صديق إليه.

سرقت جواز سفر فلورينس الآن، حتى تتمكّن من استخدامه بالطبع، ويجب على فلورينس دارو أن تتنحّى عن الطريق إلى الأبد.

لكن ماذا تستطيع أن تفعله عدا الجلوس إلى الطاولة وتناول الغداء، كما لو أن كلّ شيء طبيعي؟ فهي لا تستطيع مواجهتها، من يعرف ما كانت هيلين قادرةً على فعله؟ كانت تملك سلاحًا في كيرو من دون عِلم فلورينس، لا، كل ما تحتاجه فلورينس هو انتظار وصول المساعدة.

أقنعت نفسها بأن رمزي سيأتي إلى هنا قريبًا.

خرجت أميرة حاملةً طبقًا كبيرًا من سلطة الدجاج، وضعته على الطاولة واستدارت نحو فلورينس، وسألتها: "هل حظيتِ بسباحةٍ لطيفة؟".

تجمّدت فلورينس، فنظرت إلى هيلين، التي عبست وحدّقت إليها، ولم تتحرّك أيّ منهما، فعادت أميرة التي لم تتلقَ إجابةٍ عن سؤالها إلى المطبخ. ثنت هيلين يدها اليمنى، فقفزت فلورينس من مكانها، وارتطمت كرسيها بالأرض محدثةً جلبةً قوية، ودخلت المنزل راكضةً، واندفعت بسرعة إلى صعود الدرج. كانت خطوات هيلين تدّق الأرض بعنفٍ وهي تركض خلفها، وثبت فلورينس عائدةً إلى غرفتها القديمة، إلى الحمام، ثم استدارت وأقفلت الباب وجلست لاهثةً خلفه.

بعد مرور ثانية، قرعت هيلين الباب بلطف.

كانت تدندن: "فلورينس". قرعت الباب ثانيةً وهي تقول: "فلورينس، هل أنتِ بخير؟".

قفزت فلورينس من مكانها إلى حوض الاستحمام، وسحبت ركبتيها إلى الأعلى وضمّت ساقيها إلى صدرها.

هزّت هيلين مقبض الباب، بهدوءٍ في البداية، ثم بشكلٍ أقوى، دفعت الباب بكامل جسدها في النهاية. الباب قديمٌ، لكن الخشب سميك وقوي، فكرت

فلورينس في أنه سيصمد. يبدو القفل النحاسي العتيق صلبًا أيضًا، توقّف الباب عن الاهتزاز، وصار بإمكانها سماع لهاث هيلين في الجهة المقابلة.

كان صوت أنفاسهما وهما يستنشقان الهواء كلّ ما أمكن سماعه لدقائق.

أخيرًا سألت فلورينس: "لمَ قتلته؟ لم يكن سوى شابّ لطيف بسيط".

عرفتْ أن دفع هيلين إلى التحدّث هو الطريقة الأفضل لكسب الوقت ريثما يصل رمزي، ولكن ما أرادته كان أكثر من ذلك، كانت بحاجةٍ إلى الحصول على تفسير.

سألت هيلين بلطف: "قتلتُ من؟".

"تعرفينَ مَن، نِك، لمَ قتلتِ نِك؟".

تغيّرت نبرة هيلين وقالت: "إذا أردتِ توجيه أصابع الاتّهام نحو شخص ما فعليكِ النظر في المرآة، فلورينس، أنتِ من قتلتِه. كان ينبغي لك فقط مواصلة الخدعة، كانت جيّدة، أردتِ أن تكوني هيلين ويلكوكس؟ رائع! لك ذلك، مهما كلّف الأمر، لكن لا يمكنك الحصول على الاثنتين، لا يمكنك أن تكوني هيلين وفلورينس معًا، هذا جشَع!"

قالت فلورينس مجدّدًا برقّةٍ أكبر: "لقد كان شابًّا لطيفًا".

بصقت هيلين وقالت: "إنها ترّهات، لقد كان مدمنًا ناضجًا، ويتصرّف مثل شابّ يافع ليجذب النساء إلى سريره".

لم تجب فلورينس.

قالت هيلين بعد لحظة: "انتظري، سأعود حالًا"، ثم أضافت، وهي تضحك ضحكةً جنونيةً: "لا تهربي".

45

سمعت فلورينس صوت خطوات هيلين تتبدّد بسرعة، انتظرت ثوانيَ معدودة، ثم فتحت الباب قليلًا، وألقت نظرةً إلى الخارج، لم تكن هيلين في الغرفة، فهرعت إلى النافذة ونظرت إلى مرأب السيارات، لا أثرٍ لرمزي، التفتت إلى الخلف، أين يفترض بها أن تذهب؟ كان بإمكانها سماع خطوات هيلين على الدرج عائدةً إليها، فتراجعت إلى الوراء ودخلت الحمام، وأعادت إقفال الباب.

سألت هيلين: "عفوًا، أين كنا؟".

"أرجوكِ يا هيلين، فقط أخبريني ما الذي يحدث، قولي الحقيقة هذه المرّة".

ساد الصمت دقيقة، ثم قالت هيلين: "خذي، انظري إلى هذه". انسلّت قطعة ورقٍ مطويّة من تحت الباب، "هذه ستفسّر كلّ شيء".

حدّقت فلورينس بحذرٍ إلى الورقة، ما الذي يمكن أن تحتويه؟ وضعت يدها على حافة حوض الاستحمام، ودفعت نفسها إلى الوقوف، ثم سُمِع صوت تحطّمٍ ثقيل، فانكسر قسم من الباب وتناثرت أجزاؤه على الأرض، كان الصوت واضحًا، لقد أطلقت هيلين النار على الباب، وثقبت الرصاصة وسطه.

صرخت فلورينس: "هيلين، هل جننتِ؟" سمعَت ضحكةً مكتومة من الجهة الأخرى للباب، لم تعتقد فلورينس أن هيلين قد تؤذيها، بدا كل شيء وكأنه لعبةٌ تمارسها بداعي المرح حتى تلك اللحظة.

قالت هيلين: "يستحقّ الأمر المحاولة".

تمكّنت فلورينس من الوصول إلى مكبس الماء الموجود إلى جانب المرحاض وهي داخل الحوض، واستخدمته لتسحب الورقة، ففتحتها لتجدها بيضاء فارغة.

أخذت كلتا المرأتين استراحةً قصيرة وبقيتا صامتتين، سحبت فلورينس منشفة عن الرفّ النحاسي الثقيل المثبت على الحائط، ووضعتها في الحوض بعد طيّها.

وقالت: "من المفترض أن أميرة قد سمعت هذا، لابدّ أنها ستتّصل بالشرطة الآن".

"لقد أرسلتها إلى منزلها".

"حسنًا، لقد تحدّثت إلى الشرطة قبل الغداء، إنهم في طريقهم إلى هنا".

توقّفت هيلين، ثم قالت: "لا أصدّقك".

"اتّصلي بدان ماسي في السفارة! اسأليه".

"تعلمين أنني سأبقى هنا، فلورينس، وسأنتظر خروجك، ستضطرّين إلى الخروج في النهاية".

أغمضت فلورينس عينيها بإحكام، سيكون رمزي هنا قريبًا، وسيجد أنها تبقيها رهينةً لديها تحت تهديد السلاح، وسيكون كلّ شيءٍ واضحًا.

قالت: "أنتِ خطّطتِ للحادث لكي أموت وتسرقين هويّتي".

"أحسنتِ".

أدركت فلورينس، كم كان موقفها سخيفًا، فمشاعرها قد جرحت، وكلّ ما أرادته خلال الأسابيع القليلة الماضية هو أن تحبّها هيلين فقط، وها هي تحاول قتلها بدلًا عن ذلك، هذا ليس ما يفعله الناس عادةً بمن يحبّونهم.

كانت هيلين تنقر بالمسدس على الباب برفق، وكأنها سئِمت.

سألت فلورينس: "لكن لماذا لم تدعيني أحلّ مكانك طالما عرفتِ أن ذلك ما كنت أفعله على أية حال؟ لمَ عُدتِ؟".

"إنه المال، بالطبع".

"أيّ مال؟".

"مالي، لقد جعلتكِ المستفيدة من تركتي، يجب على هيلين ويلكوكس الموت من أجل أن تحصل فلورينس دارو على المال، وأنا فلورينس الآن، تذكّري هذا".

أعجبت فلورينس، على مضض، بهذه الفكرة المميّزة، بإمكان هيلين العيش على أنها فلورينس دارو، كما بإمكانها الحصول على مالها بطرقٍ شرعيةٍ. "ولكن لـمَ ورطتِني منذ البداية؟ ألم يكن بإمكانك فقط شراء جواز سفرٍ مزوّر أو شيء من هذا القبيل؟".

"ومن أين تحصلين على ذلك يا فلورينس؟ من متجر جوازات السفر المزوّرة؟ هل يبيعون أرقام الضمان الاجتماعيّ أيضًا؟ وسجّلات الائتمان؟ لم تكن لديّ أدنى فكرة عن المكان الذي يحصل منه الناس على وثائق مزوّرة".

سألتها فلورينس بصوتٍ هادئ: "أكنتِ حقًا ستقتلينني؟" ظلّت فكاهة هيلين تبعدها عن هذه الحقيقة البسيطة غير القابلة للتغيير. لكنّها الآن مستقرّة في أحشائها كصخرة، كانت ستموت لولا ذلك الصيّاد الذي لم تشكره حتى على إنقاذها. "هل كنت ستقتلينني من دون أي تأنيب ضمير على الإطلاق؟".

تنفّست الصعداء وقالت: "فلورينس، اعتقدتُ أنني كنت واضحةً معك، نحن وحيدون في هذه الحياة، نحن فقط نفعل ما بوسعنا القيام به للنجاة".

لم تقل فلورينس شيئًا، كان ذلك صحيحًا، كانت هيلين واضحةً معها.

أصبح صوت هيلين أرقّ بعض الشيء: "لم أكن سأقتلك بكل تأكيد في البداية، لو مرّت ستة أشهر وتحلّلت جثّة جيني، كنت سأطردك وحسب وأواصل حياتي. ولكن كان عليّ أن أفترض بأن كل شيءٍ سينكشف بعد زيارة ذلك المحقّق ليدوسكي، كان علينا الخروج من البلاد، ثم شاهدتهم يعثرون على الجثّة عبر كاميرات منزلي".

"عبر ماذا؟".

"نظام الحماية الخاصّ بي، هناك كاميرات منتشرة في المكان كلّه، اكتشفت الشرطة الجثّة في اليوم التالي من قدومنا إلى سيمات، كل ذلك حدث بسبب ذلك الكلب القذر، كان محظوظًا لكوننا في النصف الآخر من العالم".

"لمَ نحن هنا؟ بالتأكيد ليس لدراسة كتابك الجديد، فهو ليس أكثر من سرقةٍ أدبيةٍ لكتاب بول باولز".

"لم أكن متأكّدةً أنك ستلاحظين ذلك، لم يكن عليّ أن أخاطر بذلك، لكن بالطبع لم تتوقّعي مني أن أكتب روايةً جديدةً كاملة فقط كي تحصلي على شيءٍ تطبعينه من أجلي، على أيّة حال، أتينا إلى سيمات من أجل طريق بدر، ابحثي عن الطريق الأكثر خطورةً في المغرب على الإنترنت، إنه على رأس تلك القائمة".

تذكّرت فلورينس المسوّدة التي استعادتها من حاسوب هيلين، تفقّدت آيريس الطريق إلى مطعم دار آمال عبر شارع بدر على هاتفها، ثم أعادت تفقّده مرةً أخرى، وقالت: "وجدتُ مسوّدتك، المسوّدة الحقيقية".

قالت هيلين والفخر يملأ صوتها: "إنها جيّدة، أليست كذلك؟".

اعترفت فلورينس: "نعم، إنها كذلك، وأخيرًا فهمتْ، أنتِ لا تكتبين قصصًا خيالية، وربما لا تستطيعين، كلّ كلمةٍ في كتابك رقصة الفوكستروت في ميسيسبي كانت حقيقية، أنتِ قتلت ذلك الرجل، وتركتِ جيني تدخل السجن بسبب ذلك بالرغم من أنها لم تفعل شيئًا".

"بل فعلت، كانت هناك، كانت مهمّتها جعله يثمل، وقد نفّذتها، كنا فقط سنعبث معه قليلًا... لكنني لم أستطع التوقّف. لم أستطع التوقّف وحسب، كان ذلك أروع شعور على الإطلاق".

"ولتكتبي كتابًا آخر، احتجتِ إلى قصّةٍ جديدة".

"أعترف بذلك، نعم، احتجتُ إلى مادّةٍ جديدةٍ للكتابة. لكن صادف أن يكون قتلك أكثر الطرق فعاليةً لتنظيف الفوضى التي خلّفتها جيني على عتبة بابي، وعلاوةً على ذلك، فإنني كنت مستعدّةً لترك تلك الحياة خلفي، كنت أشعر بالضجر".

تحدّثت هيلين بصوت منخفض النبرة: "أعتقد أنك تفهمين، يا فلورينس، الرغبة في أن تصبحي شخصًا آخر. الحياة متنوّعة، وهناك طرقٌ كثيرةٌ لتجربتها. يا له من أمرٍ مخزٍ أن تذوقي طعم حياةٍ واحدةٍ فقط! وخصوصًا تلك التي وُلدنا لنعيشها. أمكنني الشعور بروحك الحرّة في المرة الأولى التي رأيتك فيها، اخترتك أنت، عرفتُ أنّه يمكنك التخلّص من حياتك القديمة، وكأنّك تخلعين معطفًا".

"اخترتني؟".

"اخترتُ أن تكوني معطفي الجديد".

أخيرًا، فهمت فلورينس كلّ شيء، لم يكن توظيف هيلين لها مساعدةً مجرّد ضربة حظّ، لقد سعت إليها. من المستحيل أن تكون فلورينس المرشّحة ذات المؤهّلات الأفضل، كانت قد طردت لتوّها بسبب ملاحقة عائلة مديرها، ولكنّ ما احتاجت إليه هيلين لم يكن مساعدةً موهوبةً، بل هويّة جديدة.

تذكّرت فلورينس رؤية حساباتها على الإنستغرام والفيسبوك ولينكد-إن في تاريخ البحث على حاسوب هيلين، لقد أجرت أبحاثها، ووجدت شخصًا يشبهها بما يكفي، شخصًا لن يفتقده أحد، لا يمكنك أن تطلب رداءً أفضل من فلورينس دارو، كانت هيلين تخطّط لجريمتها قبل أن تلتقيا حتّى.

عندها عرفت فلورينس أنّها لن تكون قادرةً على تخليص نفسها من هذا بواسطة الإقناع بالكلام، خياراتها الوحيدة هي أن تماطل أو أن تقاتل، نظرت حولها باحثةً عن شيء يمكنها استخدامه كسلاح.

سألت فلورينس: "وماذا الآن؟ هل ستطلقين النار عليّ؟ وترمين جثّتي في المسبح أيضًا؟".

"في الواقع، كانت خطّتي أن أحقنك بجرعة زائدة من الهيروين، ولكنّني أعتقد أنّك لن تخرجي وأنت تمدّين يدك من أجلي، حتّى وإن طلبتُ هذا بلطف".

"اللعنة عليك يا هيلين!".

"الفكرة ليست بتلك السخافة يا فلورينس، لا أريد أن أكون قاسية بلا داعٍ، ولكن ماذا لديك لتعيشي من أجله؟ حياتك فارغة، أستطيع أن أعرف هذا بناءً على كتاباتك فقط".

"ربما عليّ أن أقتل شخصًا ما أيضًا لكي يكون لديّ ما أكتب بشأنه، هل انحباس أفكار الكاتب حجّة قوية للدفاع عن النفس لارتكابه جريمة قتل هذه الأيام؟".

ضحكت هيلين: "أرأيت؟ لا تستطيعين حتّى ابتكار أفكارك الخاصّة، عليك سرقة أفكاري، ولكن ما رأيك بأن أرسل 100.000 دولار إلى أمّك لقاء أتعابها إذا خرجت وتعاونت؟ فكّري في هذا".

لم تستطع فلورينس ألا تضحك: "هيلين! لا أكترث بشأن أمي، ولن أدعك تحقنينني بإبرة هيروبين".

تنهّدت هيلين: "لا بأس".

لم تتحدّث أي منهما بعدها، ثمّ رنّ صدى صوت معدنيّ عالٍ في الحمام، فتكوّرت فلورينس خلف حافة المغطس. استرقت نظرةً عندما تلاشى الصدى، كانت هيلين قد أطلقت النار على القفل، فتخلخل بعض الشيء، ولكنّه لا يزال في مكانه، فتساءلت كم تمتلك هيلين من الرصاصات.

ثمّ أزّ صوت طلقة أخرى، فانخلع القفل من الباب، وبدأت هيلين تركله، قفزت فلورينس واقفةً، لقد تحطّم القفل بأكمله، ضربة أخرى وستكون في الداخل.

قالت فلورينس بيأس: "انتظري! انتظري!".

ركلت هيلين الباب ودخلت.

46

كان المغطس فارغًا.

التصقت فلورينس بالحائط إلى جانب الباب، وتمسّكت بالرفّ النحاسي الذي انتزعته من الجدار، وحالما دخلت هيلين، هوت فلورينس بسلاحها المبتكر على رأس هيلين بكلّ ما أوتيت من قوّة، فشعرت بتهشّم العظم عندما ضربتها بسلاحها الفتّاك.

ثمّ ركضت.

كانت في منتصف الدرج ولا تزال ممسكة برفّ المناشف عندما سمعت شيئًا يصطدم بأرضية الحمام.

المسدس.

اتّخذت قرارًا في أقلّ من الثانية، توقّفت واستدارت وعادت، كانت هيلين على ركبتيها عند باب الحمام، تمسك برأسها بيديها، والدم يتدفّق من بين أصابعها، فأمسكت فلورينس المسدس المرميّ على الأرض إلى جانب كرسي الحمام ووجّهته نحو هيلين.

نظرت هيلين إلى الأعلى، ولكنّها لم تتحرّك.

التقطت فلورينس منشفةً كانت قد سقطت على الأرض ورمتها إلى هيلين التي لفّتها خلف رأسها واتكأت على إطار الباب.

خطت فلورينس من فوقها، ومشت عائدةً إلى النافذة في غرفة النوم، مبقيةً عينيها والمسدس مصوّبَين على هيلين، ألقت نظرة خاطفة إلى الخارج، لا أثر لرمزي بعد.

استدارت فلورينس إلى هيلين وقالت: "اعتقدت أنّ ذلك كان تمثيلًا، كلّ تلك القسوة، وفكرة أنّك لا تدينين بأي شيء لأي أحد".

قالت هيلين بصوت أجشّ: "ليس عليّ أن أتظاهر بأنّني شخص لست عليه، بخلافك".

قالت فلورينس بنبرة دفاعية: "أنا لا أتظاهر".

شهقت هيلين: "بالطبع تفعلين، بدأت تقلدينني في اليوم الذي وصلت فيه، ألا تعتقدين أنّني لاحظت ذلك؟ اهتمامك الجديد بالأوبرا والنبيذ؟ وتقولين كلماتي؟ حتى إنك ترتدين ملابسي يا فلورينس".

نظرت فلورينس إلى فستانها الذي ترتديه، وقالت: "حسنًا، وما الذي يعنيه هذا؟ كرهتُ حياتي وأردت شيئًا أفضل، هل هذا سيّئ جدًا؟".

قالت هيلين: "اصنعي حياةً أفضل إذًا! لا تسرقيها".

لم تقل فلورينس شيئًا، ولكنّها استطاعت الشعور بوجهها يتوهّج محترقًا، هذا هراء، الجميع يسرق، بمن فيهم هيلين، سرقت من جيني، سرقت ممّن عرّفها على فيردي وتشتيونوف-دو-باب.

لا، لن تعتذر فلورينس عن الطريقة التي وصلت من خلالها إلى هنا، لقد سئمت الاعتذار، يمكنها أن تكون من تريد أن تكونه، وستصل إليه بأي طريقة تحتاج إليها. أخفضت المسدس إلى جانبها، ولكنّه رفعته مجدّدًا وصوّبته نحو هيلين، وقد انفرجت شفتاها عن ابتسامة خبيثة.

قالت هيلين بنبرة أشدّ هلعًا من السابق: "اسمعي، سنقتسم المال". كان الدم يقطر من أذنها اليمنى.

هزّت فلورينس برأسها وهي لا تزال تبتسم.

"يمكنك الحصول على كل شيء إذًا، يمكنك الحصول على اسم مود ديكسن، سأبدأ من الصفر".

هزّت فلورينس رأسها مجدّدًا.

توقّفت هيلين قليلًا، ثمّ ظهرت على وجهها الملطّخ بالدماء ابتسامة من ابتساماتها التي تفتقر إلى بروز الأسنان، ولمعت عيناها، وضحكت. "لن تفعليها يا فلورينس، أنا أعرفك، لا تجرئين على فعلها".

وقفت فلورينس مرتجفةً، واتّكأت على إطار الباب.

قالت فلورينس: "توقّفي! اجلسي أرضًا!"

بدأت هيلين بالسير بلا ثبات في الغرفة نحو الرواق، "ألم تتعلّمي شيئًا يا فلورينس؟ لا يمكنك أن تطلقي النار على شخص من الخلف وأن تدّعي بعدها أنّك فعلتها دفاعًا عن النفس".

راقبت فلورينس بلا حيلة المسافة بينها وبين هيلين تتّسع، قالت مجدّدًا: "توقّفي!"

توقّفت هيلين قليلًا عند الباب وهي لا تزال تشيح بوجهها بعيدًا عن فلورينس، وقالت بهدوء: "كنت أستطيع أن أجعل فلورينس دارو عظيمة، ولكن أنت؟ أنت لا أحد، لا أحد".

أخذت فلورينس نفسًا عميقًا.

ذكّرت نفسها بأنّ الهلع ما هو إلا هدر للطاقة، فركضت في الغرفة وعبرتها بثلاث وثبات طويلة سريعة، وبينما كانت هيلين تقف على بعد قدم عن سور الهوّة التي تطلّ على الطابق السفلي، وضعت فلورينس يديها على ظهر هيلين ودفعتها بقوّة.

47

وصلت فلورينس إلى مدخلٍ شديد التقوّس في جادّة حمان الفطواكي، كان اسم الفندق مكتوبًا في الأعلى: لا مامونيا.

خطت عبر المدخل، ودخلت ساحةً غنية بأشجار الزيتون والنخيل، وفي الطرف الآخر، انبثق من بين أوراق الأشجار مبنى ذو واجهةٍ مزخرفةٍ بشكلٍ معقّد.

استغرق الطريق من الفندق المغربي الطراز المدعوّ بيلسا قرابة عشر دقائق، اجتازت الشوارع الضيّقة المكتظّة بسهولةٍ مدهشة، وانعطفت نحو الجادّة الصاخبة، وقد أشعرتها تلك الفوضى بالقوّة أكثر مما أشعرتها بالارتباك.

اعتمرت فلورينس قبعة قشّ واسعة أطرافها كانت قد اشترتها من السوق ذلك الصباح ووضعت نظارتين سوداوين كبيرتين، على الرغم من أنّ الغسق بدأ يحلّ، فتح رجلان يرتديان عباءتين حمراوي اللون، ويضعان طربوشين أبيضين زوجًا من الأبواب الخشبية عندما اقتربت منهما، وتدلّى فانوسٌ مضاءٌ من الأعلى بشكلٍ مترنّح.

كان الجوّ العام في ردهة الفندق أشبه بالسوق الحرّة، بوجود متجر إيف سان لوران ومحلٍّ شهيرٍ ببيع حلوى المعكرون الباريسي. كان ذلك مجرّد معبدٍ آخر مكسيّ بالرخام مختصّ ببيع الرفاهيات، وفكّرت في كيفية احتمال أن الأمر نفسه ينطبق على جميع أنحاء العالم. كانت هيلين محقّة، إن الانعزال والحرّية يشكّلان أثمن صور الترف.

أخبرتها غريتا أن تقابلها في الحانة التي تقع خلف الردهة مباشرةً، فوجدتها فلورينس تضع نظارتين للقراءة بتوازن على طرف أنفها، في زاويةٍ مظلمة، خلف

ستارة حريرية ذهبية اللون، وهي منشغلة بهاتفها، الأمر الذي عكس على وجهها إشراقًا مثاليًا.

قفزت من مكانها عندما ألقت عليها فلورينس التحية، رفعت نظارتيها وأطبقتهما بضغطة قوية، وقالت: "فلورينس، لقد فاجأتني، اجلسي، رجاءً".

استقرّت فلورينس على الكرسي المخمليّ الفاخر قبالة غريتا.

قالت غريتا مشيرةً إلى نادلٍ يرتدي سترةً باللون الأحمر البرغندي: "ها هو الرجل، أخبريه ما الذي ترغبين فيه".

قالت فلورينس، وهي تومئ إلى كأس النبيذ الفارغ الموضوع بالقرب منها على الطاولة: "سأطلب أيًا كان ما تحتسينه".

أنهت غريتا كأسها، وقالت له: "نريد كأسين من نبيذ العنب الأسود".

أومأ الرجل إليها برأسه وانسحب، تمامًا كما أتى، من دون أي جلبة.

بدأت غريتا بالكلام: "إذًا...". لكن فلورينس قاطعتها: "لدي أخبار سيّئة يا غريتا، لا يمكنني الجلوس هنا لدقيقةٍ واحدة وأنا أدّعي أن كل شيءٍ بخير".

اختنق صوت فلورينس.

رفعت غريتا حاجبيها من الدهشة، وقالت واضعةً يدها برقةٍ على جبيرة فلورينس: "ماذا حدث؟ يا إلهي، ما به معصمك؟".

"حسنًا، هذان فصلان مختلفان لحكايةٍ واحدة، وهي ليست بالقصيرة".

عندها وصل النادل حاملًا شرابهما، جلستا بصمتٍ بينما وضع الكأسين على منديلي طاولة أبيضي اللون.

أخذت فلورينس رشفةً من شرابها.

وبدأت بالحديث: "غريتا، سمعتك في الماضي تنادين هيلين بالمتقلّبة وصعبة الإرضاء، لكن الحقيقة أكبر من ذلك بكثير، سوف أتوقّع منك حسن الظنّ، وأفترض أنك لا تعلمين ما أنا على وشك إخبارك به. لم تكن رقصة الفوكستروت في ميسيسبي عملًا خياليًا، لقد قتلت هيلين شخصًا عندما كانت في السابعة عشرة من

عمرها، وألقت باللوم على صديقتها المقرّبة، وجنت بعدها الملايين من كتابتها عن ذلك".

عبست غريتا: "ماذا؟". كان من الواضح لفلورينس أن دهشتها حقيقية.

تابعت فلورينس شرح ما حدث بين جيني وهيلين عندما كانتا مراهقتين، ثم ما حدث منذ وقتٍ قريب. كيف ذهبت جيني لزيارة هيلين بعد إطلاق سراحها المشروط في شهر شباط، وكيف قتلتها. أصغت غريتا بصمت أغلب الوقت، لكن عندما وصلت فلورينس إلى الجزء المتعلّق بكومة السماد، قاطعتها قائلةً: "فلورينس، إنها ادّعاءات بغاية الخطورة، هل أنت متأكّدةٌ بشأن كل هذا؟".

قالت فلورينس: "بإمكانك البحث عن هذا عبر الإنترنت، الآن. ابحثي عن هيلين ويلكوكس، كيرو، نيويورك".

تردّدت غريتا، ولكنّها التقطت هاتفها، وبدأت الكتابة، فراقبت فلورينس وجه غريتا وهو يمتقع لونه.

همست غريت: "يا إلهي!"

تابعت فلورينس، وحدّة الجو تتصاعد، فشرحت لها لماذا وظّفتها هيلين، وذلك من أجل قتلها وتزييف الحقائق وسرقة هويّتها. حتّى إنّها غيّرت وصيّتها لتتمكّن من أن تحتفظ بالمال.

هزّت غريتا رأسها: "عرفت أنّ هناك شيئًا غير طبيعي عندما أخبرتني أنّها أرادت مساعدةً، لم يكن الأمر منطقيًا، لطالما كانت السرّية اهتمامها الأساسيّ".

وصفت فلورينس حادث السيارة وقالت وهي ترفع جبيرتها: "هكذا حصلت على هذه". بينما سردت عودة هيلين إلى الفيلا لتكمل العمل الذي فشلت فيه، وترقرقت الدموع في عينيها.

"كان لديها مسدس يا غريتا، لم أعرف ما أفعله، لم يُصوّب مسدس باتجاهي من قبل، كان الأمر مرعبًا".

هذا ما أخبرت به رمزي وماسي أيضًا، تصرّفت دفاعًا عن النفس.

سألت غريتا متعجّبة: "ومن أين حصلت هيلين على مسدس؟".

"من الرباط على ما أعتقد، الشرطة تبحث في أمره".

لم يكن هذا صحيحًا تمامًا، فقد بدا كل من رمزي وماسي متلهّفين لإغلاق القضية، بعد أن صارت مصدر إحراج لهما هما الاثنين، إذ لم يصدّق أيٌّ منهما فلورينس عندما حاولت إخبارهما بالحقيقة حول هويّتها. كان ماسي قد أحضر جواز سفر هيلين معه إلى الفيلا وعندما قارن الصورة بوجه المرأة الميتة على الأرض، أدرك ورمزي أخيرًا أنّهما كانا أيضًا بيدقين في لعبة هيلين.

قالت غريتا: "الشرطة؟ هل هيلين محتجزة إذًا؟".

هزّت فلورينس رأسها وأطلقت نحيبًا قصيرًا: "قاومتها، وذلك بفعل الغريزة البحتة، فوقعت خلال الصراع من فوق السور في الفيلا، وقعت على الأرض المبلّطة في الأسفل، وماتت على الفور وفقًا لتقرير الشرطة".

وضعت غريتا يديها على فمها وهمست: "هيلين ماتت؟".

أومأت إليها فلورينس برأسها.

"يا إلهي".

"أعرف أنّ هذه صدمة مرعبة".

قالت مجدّدًا: "يا ربّي".

"من المؤكّد أنّها كانت صدمة بالنسبة إليّ، مع أنّني لست متورّطة في هذا مثلك".

حدّقت غريتا إلى فلورينس بحدّة: "ماذا تقصدين؟".

"حسنًا، لقد خسرت للتوّ أكبر عملائك، لا أستطيع أن أتخيّل حتّى كيف تشعرين". أخفضت صوتها: "لأنّ مود ديكسن ماتت أيضًا".

قالت غريتا بنبرة تفتقر إلى ثقتها المعتادة: "أؤكّد لك يا فلورينس أنّ هذا ليس أول ما يقلقني الآن".

"بالطبع لا، من المؤسف أنّ هيلين قد ماتت، أقصد أنّه من المأساة أيضًا أنّ العالم لن يحصل أبدًا على كتاب آخر من مود ديكسن، كانت موهوبةً جدًا".

أومأت غريتا إليها برأسها وهي تدير كأس النبيذ بيدها: "كانت موهوبة فعلًا".

جلستا صامتتين للحظة.

ثمّ تنحنحت فلورينس قائلةً: "ما لم..."

"ما لم ماذا؟".

"لا، أنت محقّة، ليس هذا الوقت المناسب للتفكير في أشياء كهذه".

قالت غريتا بصبر نافد: "ما لم ماذا؟".

"اعتقدت فقط أنّه عليّ أن أذكر أنّه لديّ مسوّدة هيلين، مسوّدة روايتها الثانية. لم تكن ما كنت أطبعه في كيرو أبدًا، كانت تعمل على شيء مختلف تمامًا، كانت أحداث القصّة مستندة إلى الخطّة التي ستجريها في أثناء كتابتها، وهي قتلي وسرقة هويّتي".

وضعت غريتا كأس النبيذ: "هل أنهت هيلين كتابها الثاني؟".

"لم تنهِه بعد، أقصد أنّه من المبكر جدّاً أن نسميه كتابًا، ولكن يمكن بالفعل أن تعرفي أنّه بنفس مستوى الفوكستروت في ميسيسبي".

بدأ اللون يعود إلى وجنتي غريتا: "هل هو معك؟". نظرت إلى حقيبة فلورينس على الأرض.

"لا، لم أعتقد أنّه من الحكمة أن أجلبه، إنّه آمن في غرفة الفندق".

"أحتاج إلى أن أرى تلك المسوّدة يا فلورينس".

"حسنًا، إنّه يحتاج إلى الكثير من العمل كما أخبرتك".

"لا بأس في هذا، يمكننا إيجاد شخص يساعدنا في العمل عليه، مات فيتزجيرالد قبل أن ينهي رواية ذا لاست تاكون". أطلقت ضحكة صغيرة: "تذكّرت الآن بعد أن فكّرت في الأمر أنّها كانت روايةً تتحدّث عن أحداث حقيقية".

شاركتها فلورينس الابتسامة وقالت: "في الواقع، كنت أفكر في أنّني أستطيع فعلها يا غريتا".

تجعّدت جبهة ريتا: "فعل ماذا؟"

"إنهاء القصّة، لقد عملت مع هيلين أكثر مما فعل أي شخص آخر غيرك، أعرف كيف تفكّر وكيف تكتب. بالإضافة إلى ذلك، قلت أنتِ إنّني موهوبة، حتّى إنّك قلتِ إنّني أذكّرك بها".

أومأت غريتا إليها برأسها ببطء: "لقد فعلت، لقد قلت ذلك". ارتشفت قليلًا من شرابها، وحدّقت إلى الطاولة التي بجوارهما حيث كانت تجلس امرأتان تلتقطان صورًا لمشروبيهما. "وأنا ملتزمة بكلامي، تمتلكين الإمكانيات، ولكنّ هذا سيكون إجراءً كبيرًا يا فلورينس. هذا المشروع... بالنظر إلى... بالنظر إلى كل شيء... حسنًا، لماذا لا نرى ما لدينا قبل أن نتّخذ القرارات حول إمكان المضيّ قدمًا، لا أستطيع أن أصدّق أن هيلين ماتت".

حدّقت فلورينس بغريتا من دون أن تتكلّم، ومض ضوء الكاميرا من الطاولة المجاورة، فأغمضت غريتا عينيها، ولكنّ فلورينس لم تفعل.

قالت فلورينس بهدوء: "غريتا، رسغي مكسور ولديّ ضلعان مهشّمان، ليس لديّ عمل ولا مكان أسكن فيه، ولا داعي لأن أزيد على ذلك أنّك الشخص الذي أوقعني في هذا المأزق، من هو الشخص الذي جلس وراقبني وأنا أفكّ العقد؟ كنت متواطئة مع هيلين سواء أعلمت بذلك أم لم تعلمي".

أصبحت غريتا شاحبة مجدّدًا، ولكنّ فلورينس لم تستطع أن تستسلم الآن.

"يمكنك شجب جرائم هيلين كما ترغبين، ولكن لا يمكنك أن تنكري أنّك استفدت منها، كم جنيت من كتاب رقصة الفوكستروت في ميسيسبي؟ ما هي الفرص الأخرى التي اقتنصتها؟ أنت شريكة في جرائمها، في جريمتيها، وأنا الضحية، وأعتقد أنّني أستحقّ بعض التعويض". تناولت رشفة من نبيذها. "ألا توافقين؟".

حدّقت غريتا إلى فلورينس مكتوفة اليدين.

وأخيرًا قالت: "فلورينس، أفهم من أين يأتي كل كلامك، وأنت محقّة، أنا متواطئة في بعض من هذا، ومن المؤكّد أنّني لا أخفّف من شأن ما حدث. ولكنّني لا

أستطيع أن أدعك تكتبين كتاب مود ديكسن التالي، لأنّك ببساطة كنت ضحيّتها. وعلى الأغلب تستحقّين فعلًا بعض التعويض ولكن لا أستطيع أن أخبرك الآن بأنّ هذا سيكون تعويضك، أنا آسفة".

هزّت فلورينس رأسها فورًا مبتسمة وقالت: "أنت محقّة يا غريتا، بالطبع أنت محقّة، لا أعرف ما الذي كنت أفكّر فيه، كان يومًا جنونيًا". شدّت بيديها من تحت الطاولة على حزام حقيبتها بأصابع بيضاء.

بدأ رجل يرتدي بذلة رسمية العزف على البيانو في الزاوية.

تنفّست غريتا بعمق، وقالت: "بالطبع كان كذلك، إن هذا كثيرٌ عليّ أيضًا لأستوعبه، فلورينس، أمهليني فقط دقيقةً واحدةً لأستوعب هذا كلّه. أترغبين في شرابٍ آخر؟ أعتقد أننا نستحقّ كأسًا أخرى في مثل هذه الظروف، وربما بإمكانكِ إخباري عن الكتاب بينما نشرب".

ظهر النادل مجدّدًا أمام طاولتهما وكأنّه سمعها: "سيّدة فروست، أعتذر على المقاطعة، ولكن هناك مكالمةً لكِ في مكتب الاستقبال".

قالت غريتا بعبوس: "أتساءل من قد يكون هذا الذي لم يتّصل عبر هاتفي المحمول، اعذريني لدقيقة رجاءً يا فلورينس".

مكتبة
t.me/t_pdf

غادرت الغرفة على عجل.

جلست فلورينس من دون حراك خلال فترة غيابها، فبدأت الفتيات الجالسات على الطاولة المجاورة بنقر القطع من طبق الكاليماري، قال عازف البيانو شيئًا ما عن عازف الجاز كولترين.

عادت غريتا بعد دقيقة وقالت: "كان ذلك غريبًا، لم يكن هناك أحدٌ على الخطّ".

أمسكت بهاتفها المحمول لترى إن كانت قد فاتتها مكالمةٌ ما.

قالت فلورينس: "غريب".

جلست غريتا، وأنهت شرب نبيذها، ثمّ سألت: "هل طلبتِ مزيدًا من النبيذ؟".

"بصراحة يا غريتا، لا أشعر بأنني على ما يرام، إنني تحت تأثير مسكّنات الألم، وهذا يجعلني مشوّشة الذهن بعض الشيء. هل نستطيع طلب بعض الطعام؟ هل بإمكاننا طلب خدمة الغرف في غرفتك أو شيء من هذا القبيل؟ يساعد تناول الطعام عادةً في مثل هذه الحالة".

"بالطبع، نستطيع فعل ذلك، فقط دعيني أخبر النادل بأن يضع هذا على حسابي".

48

قالت غريتا حالما فتحت باب غرفتها: "اعذريني على هذه الفوضى".

كانت الغرفة كبيرةً وجيّدةَ الإنارة، الجدران مغطّاةٌ بالفسيفساء، مع فراشٍ ملكيٍّ ضخم، وكانت نظيفةً ومنظّمة عدا سترةً مرميةً على ظهر الكرسي في الزاوية.

سارت فلورينس إلى النافذة، ونظرت إلى الخارج، كانت حديقةٌ واسعةٌ مزروعةٌ بصفوفٍ من أشجار البرتقال في الأسفل، وبالكاد يظهر القمر في السماء المظلمة.

سألت غريتا: "هل أحضر لك شيئًا؟ لدي مياهٌ في الثلاجة الصغيرة".

أجابت فلورينس: "لا، أنا بخير، شكرًا لكِ".

كانت فلورينس تقف بشكلٍ مريب في وسط الغرفة، واضعةً يديها في جيبيها.

جلست غريتا على السرير، وفركت وجهها قائلةً: "يا إلهي، أشعر بالإرهاق".

أومأت إليها فلورينس: "لست متفاجئةً من ذلك".

أغمضت غريتا عينيها، اعتقدت فلورينس لوهلة أنها غرقت في النوم وهي جالسة، ثم فتحتهما وقالت بمجهودٍ كبير: "ما الذي كنّا..."

جلست فلورينس بجوار غريتا، وساعدتها على الاستلقاء على السرير، وقالت: "أعرف كيف تشعرين، لقد تعرّضتِ لصدمة".

نظرت غريتا إليها، واتّسعت عيناها الزرقاوان بحيرة مشوّشة.

وضّحت لها فلورينس الأمر: "إنها حبوب الهيدروكودون، إنه مسكّن الألم الذي أعطوني إياه في المستشفى بعد الحادث، توقفتُ عن أخذ هذه الحبوب لأنني لم أحبّ الشعور الذي سببته لي، إنه شعورٌ بالتشويش أليس كذلك؟"

أومأت إليها غريتا: "التشويش، نعم، لكنكِ..."

"لمَ لا تغمضين عينيكِ قليلًا؟".

أطاعتها غريتا وكأنها طفلٌ صغير، جلست فلورينس تراقبها لدقيقةٍ من الوقت، فقد تفاجأت من أنّ الحبّات أعطت نتيجةً بهذه السرعة، كانت قد وضعت خمس حبّات في شراب غريتا عندما كانت تتلقّى ذلك الاتصال في الردهة، أي حبّةً زيادة عمّا أعطته لويتني، أتمّت ميغ مهمّتها بالكامل والأكثر أهميةً من ذلك أنها لم تسأل أي سؤال.

عندما تأكّدت فلورينس من أن غريتا لم تعد صاحية، وقفت وأخذت زوجًا من القفازات البلاستيكية من حقيبتها، ولبست القفازين، ثم سحبت كيسًا ورقيًا متجعّدًا في داخله حقنةٌ جديدة، وحقيبة مليئة بمسحوق رمادي اللون وشريط مرن. وجدت هذه الأشياء مع هيلين؛ كل الأدوات اللازمة للموت بجرعةٍ زائدة من الهيروين وهو ما خطّطت هيلين لاستخدامه من أجل التخلّص من فلورينس.

لم يكن لدى فلورينس سوى وقتٍ قصير للقيام بجردٍ سريع لجيوب هيلين قبل وصول رمزي إلى الفيلا، لكنها كانت ممتنة لقيامها بذلك، ثم ركضت باتجاه رمزي باكيةً، فتلقّى عناقها له بشعورٍ واضحٍ من عدم الارتياح. ثم أعادت فلورينس سرد الأحداث السابقة لقدومه وهي متقطّعة الأنفاس، سردت صراعهما للاستحواذ على المسدس وسقوط هيلين. لم يتفحّص أي شيءٍ بعد ذلك، ولم يطرح كثيرًا من الأسئلة.

أما الشيء الذي أخفته عنه فلورينس فهو أنّها وجدت دائرةً من الدم تتوسّع حول رأس هيلين وكأنها هالةٌ تحيط بها بعد سقوطها أرضًا، بعد أن أطلقت أنينًا يائسًا منخفض الصوت، فالتقت عيناها بعيني فلورينس، وكان الخوف ظاهرًا فيهما.

قالت وهي تلعق شفتيها المبلّلتين: "ساعديني، ساعديني".

قالت فلورينس: "كل شيءٍ سيكون على ما يرام".

"شكرًا لكِ".

"لا، آسفة، عنيتُ أن كل شيءٍ سيكون على ما يرام بالنسبة إليّ".

سحبت وسادة من غرفة الجلوس وثبّتتها على وجهِ هيلين، فحاولت هيلين المقاومة، إلا أنها كانت مصابةً، كانت كخنفساءٍ انقلبت على ظهرها، وبقيت فلورينس في تلك الوضعية لفترةٍ بدت لها طويلة، كان إحساسها بالملل والتصلّب يتزايد. وفي النهاية، توقّفت هيلين عن المقاومة وبقيت ساكنةً بلا حراك، فسحبت فلورينس الوسادة. كانت عينا هيلين مفتوحتين وزجاجيّتين، عندها سمعت صوت عجلات سيارة رمزي على الحصى في الخارج.

كان عليها الارتجال في سيمات، ولكن الآن، في غرفة غريتا في الفندق، عملت فلورينس بهدوءٍ وبشكلٍ منظّم. وكان لديها وقتٌ كافٍ، وهذا ما ذكّرت نفسها به.

دخلت الحمام، وسكبت المسحوق في كأسٍ على المنضدة، ثم أخذت من حقيبتها، علبةً من سُمّ الفئران، كانت قد اشترتها وهي في طريقها إلى الفندق، ورشّت السمّ في الكأس، أيضًا. وفكّرت في أنه لا مزيد من أنصاف الحلول. أضافت قليلًا من الماء وحرّكت كل تلك المكوّنات معًا.

نظرت داخل عبوةٍ رخاميةٍ موضوعة على المنضدة، فوجدت لفافةً من كرات القطن. أخذت واحدة وثبّتتها في أعلى كأسٍ ثانية بينما قامت بتصفية السائل الرملي عبرها. في وقتٍ سابقٍ من ذلك اليوم، شاهدت لعدّةِ مرّاتٍ مقطع فيديو على اليوتيوب زوّدها بالتعليمات اللازمة خطوةً بخطوة.

بعد ذلك، غمست رأس الحقنة في هذا المزيج العكر، وسحبت المكبس، ونقرت على الحقنة وهي لا تزال في الكأس لتدفع أية فقاعاتٍ من الهواء، إن وجدت، إلى الأعلى.

عادت إلى غرفة النوم، كان فم غريتا مرتخيًا وبدا تنفّسها ثقيلًا ومبحوحًا.

في البداية، التقطت ذراع غريتا اليمنى بلطف، لم تُبدِ أي ردّ فعل، وربطت فلورينس الشريط المرن بإحكام حول العضلة ذات الرأسين حتى برز الوريد الأرجواني اللون إلى الخارج، وأخذت فلورينس نفسًا، ودفعت الإبرة داخل الوريد، فانزلق الوريد بسرعةٍ إلى الجانب، وأخذت نفسًا آخر لتثبت يدها وأعادت المحاولة.

وجدت الإبرة طريقها هذه المرة، أنّت غريتا ورفرفت بعينيها، فدفعت فلورينس المكبس إلى الأسفل ببطء، وهي تراقب انسياب السائل منها، فتوقّفت عندما أفرغت نصف الكمية وسحبت الإبرة.

ثم انتقلت فلورينس إلى الذراع الأخرى، وكرّرت العملية، وقامت بذلك مرّاتٍ عديدة، أعادت ملء الحقنة مرةً تلو الأخرى، حتى أحدثت ما يقارب اثني عشر ثقبًا على جسد غريتا. أرادت من خلالها إقناع الشرطة بقصّةٍ الإدمان على تعاطي المخدّرات، ورغم ذلك تمنّت ألا يتجاوز التحقيق ذلك الحدّ. كانت تعتمد على المصالح المشتركة بين الفندق والشرطة في التكتّم التامّ عن الحادثة. فالسياحة، في نهاية المطاف، كانت بغاية الأهمّية.

عندما وضعت فلورينس الإبرة بين اثنتين من أصابع قدم غريتا، تشنّج جسد غريتا فجأةً. وبدأ بالاهتزاز بشدّةٍ وسال سائلٌ أصفر اللون من فمها، فُتِحَت عينا غريتا والتمستا الحصول على المساعدة بشكلٍ حثيث، فطأطأت فلورينس رأسها بشكلٍ غريزي.

عندما وقفت وهي تشعر بالجبن، كانت عينا غريتا مفتوحتين، لكن جسدها ساكن بلا حراك.

ضغطت فلورينس مستخدمةً اثنين من أصابعها على معصم غريتا، فلم تشعر بأي شيء، أحضرت مرآة الزينة من الحمام وثبّتتها أمام فم غريتا تحسّبًا. هذه طريقةً قديمة، ولكن كان على فلورينس التأكّد، لم تسمح بأن تستيقظ غريتا وتروي القصص.

عندما تأكّدت من أن غريتا قد لفظت نفسها الأخير، أعادت المرآة إلى الحمام، ثم ضغطت بأصابع غريتا على الحقنة وزجاجة السائل.

وقفت فلورينس، وجالت بعينيها في أرجاء الغرفة، فبدت كما كانت عند دخولها إليها. ألقت نظرةً أخرى على غريتا، وقد بدأ جسدها يتّخذ لونًا شاحبًا غير طبيعي، ثم التقطت حقيبة يدها. علّقت لافتةً كُتبَ عليها الرجاء عدم الإزعاج على

مقبض الباب وأغلقته بهدوء، ثم نزعت في الرواق القفازات البلاستيكية وحشرتها في جيبها الخلفي.

انتهى الأمر، لقد فعلتها.

نظرت إلى ساعة يدها بينما كانت في انتظار وصول المصعد، إنها السابعة إلا عشر دقائق، سيصل بائع المخدّرات الذي عرّفها ليام إليه قريبًا. سبق أن أخبرته أن يسأل عن غريتا فروست في مكتب الاستقبال، لكنها راسلته من الهاتف الرخيص الذي ابتاعته من مكانٍ ما قرب ساحة الفناء، كتبت إليه: بإمكانك الصعود مباشرةً إلى الغرفة ذات الرقم 714. كانت تتمنّى أن تصبّ الشرطة تركيزها عليه في حال تفحّصت الأشرطة الأمنية لاحقًا، لا على المرأة المغطّاة الوجه التي تعتمر قبعةً واسعة الأطراف.

فُتِحَ باب المصعد، وعبرت بسرعةٍ الردهة المزدحمة وصولًا إلى الشارع المظلم الدافئ حيث ألقت بالهاتف والقفازات بهدوءٍ في حاوية نفاياتٍ ممتلئة.

49

"سيّداتي وسادتي، بلغنا ارتفاع ثلاثين ألف قدم، يبدو أننا سنحظى برحلةٍ جميلةٍ اليوم، لذا اجلسوا، واسترخوا، ولا تتردّدوا بإعلامنا في حال وجود أي شيءٍ نستطيع فعله لجعل رحلتكم أكثر راحةً".

أخذت فلورينس رشفةً أخرى من الشمبانيا، ومدّت ساقيها.

قالت مضيفة الطيران، التي تضع كحلًا بطريقةٍ مُتقنة على عينيها، وهي مبتسمة: "أتودّين أن أحضر لكِ شيئًا، آنسة دارو؟".

"بطّانيةً أخرى، رجاءً".

"بالطبع".

ضغطت فلورينس على زرّ ما فانبسط مقعدها متّخذًا وضعية الاستلقاء، ثم سحبت عصابة العينين، وغطّت بها عينيها.

هذه هي الطريقة المثالية للسفر، لم تعد مناداتها بالآنسة دارو تثير استياءها. كان عليها استعادة اسمها القديم مجدّدًا، لكن الثلاثة ملايين دولار التي ورثتها مع المنزل، قدّمت لها بعض العزاء، القليل من العزاء في الواقع، كانت حريصةً على عدم استخدام بطاقات هيلين الائتمانية خلال الفترة المتبقّية لمكوثها في المغرب، لكنها رفعت مستوى تذكرة سفر فلورينس دارو الرخيصة مستخدمةً رزمةً من المال وجدتها في صندوق سيارة هيلين المستأجرة، إذ يستحقّ الأمر بعض المخاطرة.

أحضرت مضيفة الطيران البطّانية، ووضعتها بلطفٍ على جسد فلورينس.

بينما كانت هناك تستمع إلى هدير المحرّكات، حثّت ضميرها على العثور على أي شعورٍ بتأنيب الضمير، لكنها لم تجد أيًا من ذلك.

لم يساورها الشكّ في أنه كان بمقدورها السماح ببقاء هيلين على قيد الحياة. كل ما كان عليها فعله هو الانتظار لخمس دقائق أخرى ريثما يصل رمزي... ولكن عندها سيتوجّب عليها العودة لتكون فلورينس القديمة.

بالتأكيد كانت قادرةً على ترك غريتا تعيش، لو أنها كانت مستعدّةً للتخلّي عن اسم مود ديكسن، وهو ما لم تكن مستعدّةً لفعله، تمنّت بصدقٍ أن توافق غريتا على عرضها. كان قتل غريتا خطّة فلورينس البديلة في حال عدم موافقتها.

لا، لم تكن نادمةً على الإطلاق، لقد حصلت على ما أرادته بشدّةٍ طوال حياتها، حتى ولو كانت قد حصلت عليه بأكثر الطرق غرابةً وغموضًا على الإطلاق، فمن الحماقةً ترك ذلك يفلت من بين يديها.

شعرَت بالسوء حيال نِك، لكنّ مقتله لم يكن خطأها، هيلين هي التي قتلته. كما أنّها بالكاد كانت تعرفه في حقيقة الأمر، لو انتهت علاقتهما بشكلٍ طبيعي، ككلّ علاقات العطلات العابرة، لكان قد تلاشى تمامًا من ذاكرتها.

قطع أفكارها الرجل ذو الصوت الحادّ الجالس في الجهة المقابلة عندما صرخ بصوتٍ مرتفعٍ في الممرّ طالبًا مزيدًا من نبيذ العنب الأسود.

رفعت فلورينس العصابة عن عينيها واعتدلت في جلستها فجأةً، وقلبها يخفق بقوّة، بينما هرولت مضيفة الطيران في الممرّ ومعها زجاجة نبيذ.

هزّت فلورينس رأسها، فليس هنالك شيء.

استلقت، لكن عندما أغمضت عينيها تراءت لها غريتا وهي تنظر إليها بشكلٍ مروّع بعينيها الزرقاوين، وكانت تقول: "مشوّشة... نعم..."

حرّكت مقعدها ثانيةً إلى وضعية الجلوس، ربّتت على خديها برفق، ثم أخرجت من حقيبتها دفتر ملاحظاتٍ وقلمًا.

قرّرت الإبقاء على النصف الأول من مسوّدة هيلين على حاله كما وجدته، ثم في منتصف الرواية، سيتبدّل الراوي لتصبح الأحداث من وجهة نظر إيريس.

بدأت بالكتابة:

كانت ليليان مخطئةً، لم تكن آيريس ضعيفةً كما اعتقَدَت، جعلتها حياتها المليئة بخيبات الأمل أكثر صلابةً، وارتكبت ليليان خطأً جسيمًا بتقليلها من قيمة هذه النسخة الأقبح والأضعف، استخدمت نفسها كطعم، غير مدركةٍ أن آيريس كانت تتضوّر جوعًا ولن تشبع بمجرد اقترابها من العظمة.

مكتبة
t.me/t_pdf

50

كان المنزل القديم على طريق كريستبيل باردًا من الداخل، بالرغم من موجات الحرّ المبكرة في شهر أيار التي أذبلت كل شيءٍ آخر، أغلقت فلورينس الباب خلفها، وتنفّست بعمق، تجوّلت بهدوءٍ في الغرف الصامتة، وكأنها تراها للمرّة الأولى. أصبحت مُلكًا لها الآن، كل شيءٍ هنا أصبح مُلكًا لها، لن تُنقَل الممتلكات والنقود نظريًا إلى اسم فلورينس قبل بضعة أشهر، لكنها ستدع هذه الأمور الورقية المطبوعة لأصحاب العقول الصغيرة.

نظرت خارجًا إلى الفناء الخلفي، فكانت كومة السماد قد نُبِشَت بالكامل، وقد رفرف شريط التحذير الأصفر الذي تلفّ الشرطة به مسارح الجرائم في الهواء بعد أن أفلت من الأوتاد التي كانت تثبته، وقد أكّدت لها الشرطة أن موت هيلين أغلق التحقيق في قضية مقتل جيني بيرد.

غَرَفت فلورينس القهوة ووضعتها في آلة صنع القهوة ثم شغّلتها، وبينما دبّت فيها الحياة، فكّرت فلورينس في الأسابيع القليلة المنصرمة.

بينما كانت تخطّط لقتل غريتا، اجتاحها أخيرًا شعورٌ بما يبدو عليه فعلًا شعور أن تكون هيلين ويلكوكس. أخذها ذلك التخطيط للجريمة إلى داخل عقل هيلين بطريقةٍ لم تفعلها قراءة كتبها ولا العيش في منزلها.

أدركت كم كانت هيلين حذرة، كانت هيلين في الواقع شديدة التفكير في كل احتمالٍ طارئ، كان ذلك الدرس من هيلين ميراثًا ربما أكثر قيمة من المنزل أو النقود.

عندما أصبحت القهوة جاهزة، أحضرت الفنجان والهاتف المحمول إلى غرفة الجلوس، واتّصلت برقم والدتها.

عرفت فلورينس أن فيرا ستكون جالسةً في مطبخها الصغير أصفر اللون، تحتسي فنجانًا من القهوة المحلّاة بإفراط، قبل التوجّه إلى عملها.

ردت فيرا قائلةً عبر الهاتف: "مرحبًا". اعتادت والدتها الردّ على الأرقام المجهولة.

"أمي، أنا فلورينس".

ساد الصمت.

"أعلم أنكِ غاضبةٌ مني، لكنني بحاجةٍ إلى أن تفعلي شيئًا من أجلي، أتستطيعين أن تقرئي لي الرسالة التي تحدّثتِ عنها سابقًا، تلك الرسالة التي أرسلتُها لكِ وكتبتُ فيها أنني لا أريد رؤيتكِ ثانيةً؟ أريدك أن تخبريني متى أرسلتها لكِ".

تنهّدت فيرا وقالت: "انتظري، عليّ البحث عنها".

عندما عادت قالت: "أُرسِلَت يوم الأحد الماضي، في الواحد والعشرين من شهر نيسان، أتذكّر ذلك لأنني كنت قد غادرت الكنيسة للتوّ عندما تلقّيتها، وتحمّست للغاية عندما رأيت رقمك يظهر على الشاشة، ثم قرأتها: أمي، لقد فكّرتُ مليًا في هذا الأمر، لذا لا تعتقدي أنه قرارٌ متسرّع، لا أريد أن أتحدّث إليك مجدّدًا، فأنتِ تشعرينني بالخجل، ولم تفعلي شيئًا سوى عرقلة تقدّمي طوال حياتي. إذا حاولتِ التواصل معي مجدّدًا، سأغيّر رقمي".

شعرت فلورينس بالحرارة تنبعث من وجهها، على الرغم من أنها لم تكتب تلك الكلمات، إلا أنّها بالتأكيد فكّرت فيها، جعلها تخيّلها لمنظر فيرا عند تلقّيها تلك الرسالة ترغب في البكاء الآن.

الواحد والعشرون من نيسان، كان ذلك اليوم التالي لحادث السيّارة، ولابدّ أن هيلين كانت تنهي بعض الأمور العالقة قبل أن تأخذ دور فلورينس دارو.

"أمي، أنا آسفة للغاية لأنك اضطررت إلى قراءة ذلك، لكن عليك أن تصدّقيني، فأنا لم أكتب تلك الرسالة. يجب أن أخبرك قصّة، إنها قصّة طويلة، ومعقّدة، لذا ربما سترغبين في أن تجلسي".

ارتشفت فيرا من قهوتها بصوت مرتفع، وقالت: "إنني أصغي".

أخذت فلورينس نفسًا عميقًا، وبدأت: "في كانون الأول الماضي، أقمت علاقة مع مديري".

عرفت فيرا القصّة الكاملة بعد أن انتهت المكالمة بعد خمسٍ وأربعين دقيقةً، أو على الأقل النسخة التي أخبرتها فلورينس للسلطات؛ مؤامرة القتل، ومحاولتها اليائسة للدفاع عن نفسها. لم تذكر أن هيلين ويلكوكس كانت في الواقع مود ديكسن، لم تكن واثقةً حتى من معرفة والدتها مَن تكون تلك، ولم تذكر أيضًا غريتا فروست، التي بدأ موتها للتوّ بإحداث موجات ذعر في دور النشر. نشرت فروست/ بولين بيانًا صحفيًا محبِطًا من دون ذكر تفاصيل القضية.

اتّفقت فلورينس ووالدتها على الحديث مجدّدًا في غضون أسبوع، فلن تسمح فلورينس لفيرا بالاقتراب منها كما تشاء، لكنها ستبقيها في حياتها، إذ علّمتها معركتها القصيرة مع الموت عندما كانت في المغرب أن الانعزال المطلق كان نموذجًا لضعفها، ومن الخطر عدم التواصل الدائم مع شخص، لأن على أحدٍ ما أن يلاحظ غيابك.

سكبت فلورينس لنفسها كوبًا آخر من القهوة.

حان الوقت لتبدأ العمل. أخيرًا، أصبح لديها قصّة لترويها، لم تكن لتبدّدها، لن تخيّب رواية مود ديكسن الثانية آمال العالم، فكّرت في أنها قد تكشف يومًا ما أن مود ديكسن ليست سوى فلورينس دارو. كانت في الثالثة والعشرين عندما صدرت رواية "رقصة الفوكستروت في ميسيسبي"، إنه سنٌّ مناسب للتصديق بشكلٍ تامّ. فقد كتبت ماري شيلي كتابها "فرانكنشتاين" عندما كانت في التاسعة عشرة. ويتوافق التوقيت مع نشر القصّة أيضًا، حيث ستقول إنّها ألّفتها عندما أنهت دراستها الجامعية، وخلال إقامتها في جاينسفيل بعد ذلك وهي تعمل في مكتبة. فكّرت كم ستشعر آن، مالكة المكتبة التي عملت فيها، بالدهشة عندما تكتشف أن موظّفةً لديها كانت كل ذلك الوقت تكتب روايةً كلاسيكيةً معاصرة. تخيّلت كيف سيبدو وجه

سايمون عندما يعرف بالأمر، وكذلك وجه أماندا، وسيفكّرون، كم اتّسمت بالتحفّظ والوقار، لإبقاء الأمر سرًّا طوال ذلك الوقت.

يا إلهي، لقد أضاعت هيلين تلك الفرصة، حصلت على ما قد يقوم الناس بالقتل من أجل الحصول عليه، ورفضته. ضربت الشهرة عرض الحائط وكأنها بعوضة ماصّة للدماء.

لكنه لم يكن عبثًا، لم يكن عبثًا على الإطلاق.

نظرت إلى ساعتها، فكانت العاشرة صباحًا. طلبت رقمًا آخر على هاتفها المحمول.

أجابت امرأةٌ شابةٌ ببهجةٍ مصطنعةٍ: "مرحبًا، هنا شركة إيتش إم كيه".

كانت شركة هاربر ماستون وخان واختصارها إيتش-إم-كيه أكبر وكالات المواهب في نيويورك، لم تمثّل الكتّاب فقط، بل الممثّلين، والرياضيين، والموسيقيّين، والمشاهير.

قالت فلورينس: "مرحبًا، أودّ التحدث مع دينيز ماستون من فضلك".

"من المتّصل؟".

سكتت فلورينس، ثمّ قالت: "أخبريها أنّني مود ديكسن".

مكتبة
t.me/t_pdf

مكتبة
telegram @t_pdf

تمثل رواية من هي صاحبة الاسم السري؟ الظهور الأول لأليكساندرا أندروز، حيث قدمت عملاً من التشويق النفسي على سياق «غون غيرل»، قصة الشراكة بين روائية مشهورة عالمياً ومساعدتها الشابة والمحبطة، حينما تُجرد المساعدة من جميع آمالها في أن تصبح كاتبة يكشف ذلك عن رغباتها الوحشية وقسوتها القاتلة

جودي كلاين من شركة ليتل، براون، للنشر ربيع العام 2021.

بالنسبة إلى قراء «ذا ساينلت باشينت» - هي رواية مشوقة، محبوكة جيداً ومبنية حول شخصية، تدور حول روائية مشهورة وبلدة صغيرة، تناضل في صراع في سبيل الحصول على الثروة والشهرة.

فلورنس دارو هي مناضلة من بلدة صغيرة تسعى جاهدة إلى أن تصبح كاتبة مشهورة. تظن أن الكون قد أتاح لها أخيراً الفرصة الكبيرة عندما تصادف فرصة لتصبح مساعدة مود ديكسون؛ الروائية المشهورة الذي تستخدم هذا الاسم لإخفاء حقيقة شخصيتها (مثل إيلينا فيرانتي). يبدو ترتيب الأحداث مثالياً. يمكن لهيلين أن تكون معقدة، لكنها منبع للحكمة الراسخة في الكتابة والعيش، حتى أنها دعت فلورنس إلى رحلة بحثية في المغرب، حيث تدور أحداث روايتها الجديدة. لم يسبق لفلورنس أن سافرت خارج البلاد، ولعلها تخيلت أنها ستعيش أخيراً بعض المغامرات المشوقة لتتمكن من الكتابة عنها بنفسها. ولكن عندما استيقظت فلورنس في المستشفى بعد حادث سيارة مروع وموت هيلين، بدأت تتخيل ما سيكون عليه الحال إن حلت محل شخصية هيلين، واسمها الأدبي مود ديكسون...

تتمتع ألكسندرا أندروز بـ61 عاماً من الخبرة في الظواهر الخارقة عن الطبيعة، وأمضت 46 عاماً منها في العمل مع مرشديها الروحيين وأحبائها. عملت في «بروبوبليكا»، و«ذا باريس ريفيو» وكمؤلفة إعلانات تجارية. تعيش في نيويورك مع زوجها وولديها.

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com

ISBN: 978-614-01-3158-3
9 786140 131583